

كتاب جيل جديد الحادي عشر

فِي مَديح اللُغة

كتاب احتفائي بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية

الفهرس :

تقديم

تحتفي اللغة العربية في 18 ديسمبر بيومها العالمي ، ونحن في جيل جديد حاولنا أن نواكب هذه المناسبة عبر عدد خاص .

هكذا بدأت الفكرة ثم ما لبثت أن تطورت وتشعبت وزادت تصنيفاتها حتى وصلت لستة تصنيفات قسمنا عليها فصول هذا الكتاب (مقالات كتاب المجلة ، مقالات المترجمين ، مقالات كُتاب تم استكتابهم خصيصًا لهذا الموضوع ، ترجمات خاصة من الإنجليزية والفرنسية عن اللغة العربية ، والفصل قبل الأخير يحتوي على حوارين خاصين ، أما الأخير فكان للاستطلاع الذي تم اجراءه في صفحة المجلة على الفيسبوك) .

نأمل أن تكون هذه المادة المقدمة ذات فائدة وإضافة لكل قارئ مهتم باللغة ومشتغل عليها .



كتابات كتاب جيل

اللغة العربية وعلم اللغة الحديث

محمد أحمد محمد إسحق :

مدخل:

اللغة أشبه ما تكون بالكائن الحي ، فهي تُولد ، تنمو ، وقد تتلاشى وتموت، وهذه الخصائص تشترك فيها جميع اللغات بما فيها اللغات التي نُطلق عليها جهلًا مصطلح " رطانة أو لهجات " ونعتقد بأنها ليست لغات ، وهي في الواقع لغات ولا تُقل منزلة عن غيرها من اللغات الأخرى) .

يكاد يكون الطلاب في الوطن العربي متفقين في عدة نقاط حول اللغة العربية وهذه النقاط كالآتي :

.يعتقد الكثيرون بأنها لغة صعبة وغير مفهومة .

- يفضلون دراسة لغات أخرى عليها .

.لا يدخل الكثير منهم كلية اللغة العربية عن رغبة منهم .

.يتخرج الكثيرون من أقسام اللغة العربية دون أن يفهموا ما درسوه بصورة جيدة .

والسؤال الذي نطرحه هنا هل اللغة العربية صعبة ومعقدة ؟

يُقسم العلماء اللغة من حيث اكتسابها إلى لغة أولى وهي اللغة الأم التي يكتسبها الطفل داخل المنزل ، و لغة ثانية وهي اللغة الأجنبية ، ففي السودان مثلا الدارجية السودانية تُعد هي اللغة الأولى لعدد كبير من السكان ، وعندما تدرس الإنجليزية مثلا فهي تُعد لغة أجنبية ، ولكن هناك اللغة الفصحى التي هي لغة التدريس في المدارس فهي تختلف عن الدارجية وبالمقابل لا يمكن أن نصفها بأنها لغة أجنبية ، فلذلك تكون في منطقة وسطى بين اللغة الأم واللغة الأجنبية ، يقول محمود السعران في كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : (يقول الفهري الطفل العربي لا يتعلم العربية الفصحى بنفس المعنى الذي يتعلم به لغة أجنبية ثانية كالفرنسية والإسبانية والإنجليزية ، بل إن الملكة التي يكونها الطفل العربي في عاميته كثيرا ما تمثل جزءا مهمًا من الملكة التي سيكونها في الفصيحة ولذلك كانت الفصيحة لغة بين الأولى والثانية في منظورنا) .

وبما أن اللغة الفصحى ليست لغة الأم فهذا يعني أن الطالب العربي عندما يتعلم الفصحى يتعلم لغة جديدة فينبغي أن يُتعامل مع الفصحى عند تدريسها للطلاب معاملة اللغة الأجنبية ، وأن يُهتم بكافة

المهارات عند التدريس ، (مهارة القراءة ، الكتابة ، الاستماع ، والتحدث) ، وحسب تجربتي مع دروس اللغة العربية من الأساس حتى المرحلة الجامعية ، في كل هذه المراحل هناك إهمال لمهارتي الاستماع و التحدث ، فلم نر معامل صوتية للاستماع ، ولا أندية للخطابة ، حتى داخل الفصل يكون الطلاب مستمعون فقط ، وهذا الخلل يخرّج طالبًا له معرفة بقواعد الصرف والنحو ولكن عندما يتحدث يقع في أخطاء صرفية ونحوية وقد لا يستطيع الحديث بالفصحى كحال الكثير من خريجي أقسام اللغة العربية ، وهذا بسبب أنهم لم تُتح لهم فرصة الحديث بالفصحى .

منهج تعليم العربية في معظم المؤسسات التعليمية في الوطن العربي لم يعد بناءً على نظريات علم اللغة الحديث في تعليم اللغات ، وقد أُعدت المقررات بصورة تقليدية عشوائية غير مدروسة .وطوال مراحل دراستي واتصالي بأساتذة العربية في مؤسساتنا التعليمة عرفت أن معظم الأساتذة بعيدين كل البعد عن علم اللغة الحديث ، والذي يعرف منه شيئًا فتجده قرأ الملاحظات اللغوية التي دونها سيبويه و الخليل وغيرهما من العلماء المتقدمين ، ورغم أهمية هذه الملاحظات إلا أنها ليست كافية وقد احتوت على الكثير من الآراء التي أثبت علم اللغة الحديث عدم صحتها . ففي مجال دراسة الأصوات قد تقدم علم اللغة الحديث في دراسة الأصوات اللغوية ، وقد لجأ للكثير من الوسائل الآلية ، فعن طريق المجهر نلاحظ كل عضو من أعضاء النطق وهو يؤدي وظيفته أو عن طريق التصوير بأشعة إكس ، وبإمكاننا كذلك تسجيل الصوت تسجيلًا آليا ، وكل هذه الأشياء الحديثة التي استخدمها علم اللغة لم تكن موجودة في الماضي لذلك لم يكن وصف القدماء للأصوات بذات الدقة التي وصفها بها علم اللغة الحديث . لاشك أن فهم طبيعة الأصوات وطريقة نطقها وخصائصها يساعد في نطق الأصوات ويعالج أخطاء النطق ، فالعربية بحاجة إلى استخدام نتائج علم اللغة الحديث ومن الأهمية بمكان أن يفهم المعلمون علم الأصوات في صورته الحديثة . وفي النحو قد ظهرت الكثير من النظريات اللغوية في تحليل الجمل وتفكيكها ،الأمر الذي يبسطها ويعمق فهمها ، ومع الأسف هذه النظريات لا يستصحبها المعلمون في تدريس النحو و غالبيتهم يجهلونها ، لذلك يشعر الطالب العربي بأن النحو جامد ومعقد ، يقول عبد الراجحي في كتابه علم اللغة التطبيقي : (إن ثمة فرقًا جوهريًا بين النحو وتعليم النحو ، الأول هو علم النحو ،ويقدم وصفًا لأبنية اللغة ، وهو حين يفعل ذلك إنما يلجأ إلى "عزل" الأبنية من سياق الاستعمال ويصفها في إطار" تعميم " و" التجريد" أما تعليم النحو فشيء آخر نشأ له علم باسم النحو التعليمي pedagogical) grammar (، وهو يأخذ من الوصف الذي توصل إليه علم النحو لكنه لا يأخذه "كما هو" إنما يطوعه

لأغراض التعليم ويُخضعه لمعايير أخرى تستعين بعلم اللغة النفسي في السلوك اللغوي عند الفرد،وبعلم اللغة التربية في نظريات التعليم وإجراءات التعلم)

ونخلص إلى أن اللغة العربية ليست معقدة أوعصية على الفهم وإنما أساليب تدريسها التي لم تخضع إلى أسس علمية سليمة هي التي تصعبها . وأرى أنه لابد أن تستفيد العربية من كل نتائج علم اللغة الحديث عند إعداد المقررات الدراسية ، وتستفيد الدولة بصورة عامة من هذا العلم عند وضع الخطط اللغوية حتى تقوم العربية بدورها المنوط بها تؤدي رسالتها بأكمل وجه .

الهوامش :.

دكتور محمود السعران . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي .

.الدكتور عبد الراجحي . علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية.

طفلُ الثلجِ والرماد

مؤيد محجوب عثمان :

لم تكُن يومًا اللغة وسيلةً للتواصل فحسب ، بل هي ركيزةٌ من ركائز الدعم الجوّاني .. إذ يتطلب من إصلاح النفس مثلاً وجود اللغة ، والتفكير لا يقوم إلا بها ، والفهم أساس كل شيء للعالم والوجود والكون كله ، كله يكون باللغة .

بالنسبة للكاتب في لحظة الكتابة المقدسة ، تكون اللغة هي الفعل الثاني ذا الأولوية بعد عمليتَي الشهيق والزفير... وبالنسبة لي فقد اتّقدتُ باللغة من سنواتي العشر الأولى ، وأول ما كتبتُ ، كتبتُ القصيدة في العاشرة من عمري ، بإستراتيجية بسيطة مثل اختيار الكلمات المتشابهات ، ثم إدخالهن في جمل ذات أوزان متشابهة ... ولم تزل في كل الأحوال استراتيجتي مشابهة لَها ، حتى مللتُها وارتميتُ في كنف النثر الحبيب .

حين تُسأل من أي نبعٍ استهللتَ المشوار ، أيّ مِشوارٍ كان .. ستكون الإجابة في منتهى البساطة والبديهة ، فإن عُدت بالتسلسل للوراء لتصل أي فعل مُكتسب ، لن تعصر ذاكرتك طويلاً ، أو تستغرق في التفكير قبل أن تذكر اسم والِديك أو أحدهما .. وهنا أمي كانت النقطة الجوهرية خلف تلقيني معاني المصطلحات العربية الفصيحة ، سواءً من القرآن أو المصادر المقروءة أو المسموعة . لم تكن تملْ من أن تُعيد على مسمعي كلمة كانت ذكَرَتها لي في الصباح . حيثُ صدق أعزَّ من قال : (أنِ اشكر لي ولوالديك) .

بعمر الثامنة تقريبًا ، توقفتُ في مُقدمة الفصل ، وخلفي معلِمين أحدهما يتباهى بي أمام الآخر والتلاميذ ، ذلك المتباهي كان أستاذي الكريم في اللغة العربية آنذاك سعد الخثلان . مدّ لي الآخر مقالةٌ جلبها معه وطالبني بالقراءة ، كي يختبر السبب في مقدرتي على القراءة قبل التلاميذ ؛ إن كان يعود السبب لتدرُّبي على نصوص الكتاب مسبقًا . وعندما -وفقني الله- فرغتُ من قراءة النص ، كانت إشراقةٌ متهللة بانت على وجه أستاذي الموقر.. أُريدُ أن أقول لمن يحمل لافتة (اللغة موهبة) ، يصعُب القول بأن ثمّ فرقٌ حقاً بين الموهبة الفريدة والعمل الدؤوب .. إن الفِعل المُكتسب الذي يأتي بالمزاولة أسمى بمراتٍ من الطاقة اللاإعتيادية التي يُولَد بها الإنسان ... أهم الأعمال هي المُكتسبة ، لأن باكتسابنا لها مع تكويننا للخبرات المتراكمة ، يُصبح من الصعب الجزم بأنها ليست موهبة فطرية .

ثم تطوف بي الأيام ، ويكبر الطفل الذي في صدري ، لأدخل مغارة الأدَب ، لا بلِ الذهَب ... كنتُ محظوظًا حينما قرأتُ لكل كاتب وكأنه يقصدني بكتابه ، وأخاطبَه ، وأشعر بالحزن والحنين حين أُفارق وطنه الأبيض ، وطنُ الثلج والرَّماد .

أغلبُ الظنَّ بأن المرء لو قرأ مثل عمرِهِ مرتين ؛ فهو في كل مرة سيصيبه ذهول المرة الأولى ، إن المسافات والأمتار غير مُستشعرة في رفقة الأدب ، إنه مثل طفل يولَد كل يوم من جديد لا يشيب ، لا يشيخ ، ولا يُصيبهُ السُّقم .

وهكذا طفِقتُ أقتات على الصفحات الصغيرة -الإلكترونية تحديدًا- دون أن أشعُر بالشَّبَع منهن ، دون الشعور بالسأم ، ذلك لأن الاستعارات والأساليب والأفكار دومًا متجددة ، مثل نهرٍ جليل ، طويل يمتد من الجنوب نحو الشمال بشموخٍ ليس له مثيل .

شيئاً فشيئاً تطبع فينا اللغة قبلاتها على جبين كُلٍ مِنا مما يقرؤه ، الطنطاوي يقول " مِثل الطعام لا يذهب سُدى في جسدك ، لا تذهب أطنان الكلمات التي تقرؤها هباءً "

ضوءٌ في لغة الضاد

فاطمة فردان :

إن اللغة جعلت من المفردات بمختلف نظائرها معانٍ مشــتركةٍ تحتَ إطار موحّدٍ يفسّــرهُ كل من ينتمي للجنسِ البشــري بالمعنى نفســه، وهي أول ثورة لاتصــال البشــر بعضــهم ببعض، ثمّ عقِبَ اللغةَ الرّســمُ بالكلمات لحفظها وتخليدها ما بقي الدهر؛ إذ يقوم الإنسان بترجمة المَعنى في فكرِه و صياغته ضمنَ قالبٍ لغويّ أدَبيّ، وَ يُجمّلهُ بِمُحَسّن بَديعيّ على سبيل المِثال. أما بعد الإسلام؛ أُنزلَ القرآنُ عربيّاً، وَكانت المعجزَةُ تتجلى في فصاحتهِ وبلاغته، لتزداد اللغة العربيّة في جذورها عُمقًا، وَتبقى في ثباتٍ وقوّة، تتغلغلُ فينا وَريدَ سلسبيلٍ لا يضمحل .

أنا فاطمة فردان، أبلغ من العمر21 سنة، أقرأ، وأكتب.. صديقتي اللّغة مُذ كانَ عُمري في بداياتِ العَشر، حيثُ بدأتُ أقرأ القرآنَ بفصاحةٍ وأحرصُ على أن لا تشوب قراءتي أخطاء، وَشجّعني على ذلكَ حينَ سَجّلني والداي لحضورِ دروسٍ يومية في القراءة الصحيحة للقرآن عند معلّمٍ في القرية. أمّا المادّة التي كانت دائمًا ما تستهويني في المدرسةِ الإبتدائية فأتَحمّسُ لأستَبِقَ الزّميلاتِ وَ أرفعُ سبّابَتي بِشقاوةٍ لأُجيبَ على سؤال المعلّمِ أو مشارَكته هي اللغةُ العربيّة، أحببتُ القِراءةَ في كتاب اللغة العربية ، وَ إذا مررتُ بنصٍ نثريٍّ أو قصصيّ أو شعريّ لا بُدَ لي من وقفةٍ تأمليّةٍ بتمعُّنٍ فيه. هنا.. عرفتُ أنَّ لي أساسًا فطريًّا ما يلبِثَ أن يرى الضّوءَ عندَ هذه النقطة. ناهيكَ أنّ لي أستاذة منذُ تلك السنةِ وللآن لم أنسَ فضلَها وتكَرُّمها عليّ، رأت فيّ حبّ القراءة فَزوّدتني بمقتبساتٍ مطبوعة من نصوص طه حسين، والجاحظ، وغيرهما من أعلام اللغة لأقرأها، و طرحت عليّ اسم كاتبةٍ عربيةٍ لأنتقي كتبها وهمست لي:"إن هذه الكاتبة تكتب بأسلوبٍ جميلٍ وبسيطٍ موازٍ لعقلك، أنصحكِ بقراءةِ كتب لها ما دُمت في هذا العمر الصغير.".. و بعدها بفترةٍ بسيطةٍ سافرتُ إلى "سوريا" وكانَ الباعَة منتشرون على طول الطريق و خيامٌ في وسط الطريق تفيضُ بالكتب المتنوعة، وَلم أتخطَّ الخيمة الأخيرة التي توقفت عندها إلا وفي يدي كومةُ كتبٍ انتقيتها بهوسٍ وشغفٍ لنفس الكاتبة .. هنا كانت البداية .

قرأت كثيرًا من العبارات التي تتضمن في معناها إن القراءة دائمًا ما تقودُ إلى الكتابة.. أؤمنُ بهذا وأصدّقهُ تصديقًا يقينيًّا، إذ أنني اجتزت المرحلةَ الإبتدائية وأنا أقرأ، ثمَّ التحقتُ بالمرحلةِ الإعدادية وَقد بدأتُ أكتُب

نصــوصًــا نثريّةً بمعانٍ بســيطةٍ ومفرداتٍ محدودة، تملؤها الأخطاء الكتابية والإعرابية. وقد عرفتُ من تجربتي أن القراءة تثري اللغة وتنهض بتحقيق شخصـية الفرد كما يقول أرسـطو: " قل لي ماذا تقرأ؟ أقُل لكَ من أنت."، فقرأتُ المَزيدَ من الكتبِ لمُختلفِ الكتّاب، وبالفِعلِ كانت مفارقةٌ كبيرة بعد أن اغتنيت بالكثير من المفردات الجديدة والمختلفة، وتغيّر أسلوب الكتابة عندي للأفضل.

أما في المرحلة الثانوية، بدأت أكتب الشــعر النثريّ والمقفّى، وتقدّمتُ فيه بســرعةٍ أكبرَ من الفارقِ الزّمنيّ الذي تطوّرت فيه عندما كنت أكتب النثر؛ بالرغم من أنني لم أدرس الشـعر ولا غرقتُ في بحورِه حتّى، ربّما يعودُ الســبب لاغتنائي أكثر بالمفردات وازديادِ تعلّقي بالقراءة والكتابة بشــكل عام. أدمَنتُ القراءة لدرجة أنها صارت جزءًا أساسيًا يتحكّمُ في نفسي وعاطفتي ومزاجي ويومي وحياتي !

و خلال المرحلتين الأخيرتين ؛ الثانوية والجامعية ، أدركتُ تمامًا أنّ المعرفة لا تُستنبط إلا من كتاب، وكانت الســلبية الوحيدة في حياة القراءة عندي أنني ركزتُ دائمًا على الكُتب من الصــنفِ الروائي أكثر من غيرها، وقررت التنويعَ أكثر لقراءة الكتب من مختلف الأصــنافِ لأتغذى بها تغذية تعريفيّة وتثقيفية في مجالات الحياة المتنوعة. ناهيك عن صــدورِ كتاب إلكترونيٍّ لي تحت عنوان "نايُ وطنٍ مكســور " بالإضــافة إلى أن اللغة – على الجانب الشخصي- شغلت الحيّز من الفراغ الفكري، وصقلَت القراءةُ شخصيتي في جوانب كثيرة، و جعلت مني إنســانًا عزيز الذات، واثق الشـخصــية، طليق اللســانِ، واســع المدارك، أما في مجال التخصص الجامعي فقد ساهمت اللغة في أن تنعِش بريق الجرأة الإعلامية عندي أكثرَ فأكثر، وغرسَت في نفسي وشَخصي كلَّ السمات التي على الإنسانِ عمومًا والإعلاميّ خصوصاً أن يتحلّى بها؛ وأكثر.

إذًا ، فاللغة تصقل الشخصـية، وتنمي المواهب، و تُثري العقلَ في عالَمِ الأفكار بالمفردات و المعاني، بها يُبنى الجيل الواعد، والمجتمع الذي لا يضمحل فيه الوعي والثقافة؛ و يسوده الأمن والسلام، وتحفظ للإنسان عقله حيث لا تنتهي به الحياة كمهجور.

اللغة شغف

إبراهيم أبو سمرة :

أذكر جيدًا أنني كنت طفلًا هادئًا طوال مراحلي التعليمية الصغرى و حتى بدايات المرحلة الثانوية و اجزم أن من تعرف إلي بعد ذلك لن يستطيع تصديق هذه المقولة فلقد تغيرت شخصيتي إلى النقيض و صرت مصدرًا مستمرًا للشغب و الإزعاج ولكن كان القاسم المشترك بين الحالتين و الأمر الوحيد الذي لم ينقلب حاله هو ذلكم الشغف الذي يسكنني و تلكم العلاقة التي تربطني بقوة مع لغة الضاد ورغم انخراطي في المساق العلمي إلا أن عشقي للمادة اللغة العربية كان الأقوى و استيعابي لها كان الأفضل من بين كل ما أدرسه ولعل علاقتي تلك مع اللغة العربية قد بدأت و نمت دون أن يكون لي فضل في ذلك .. ولعلها كانت نتيجةً حتمية للظروف التي وجدت بها .. بين كوني الابن الأكبر لأبوين متعلمين و استعداد فطري .. شققت طريقي دون أن ادري ..

لا زلت أذكر و أنا في سنتي الدراسية الأولى وكنت قد تلقيت تعليمًا قبل المدرسة مما جعلني استطيع قراءة و كتابة الحروف و قليلًا من الكلمات بصورة لا بأس بها مما كان دافعًا حدا بوالدي أن يرفع درجات ما يتوقعه مني .. لا زلت اذكره و نحن ننتظر وجبة الغداء بعد عودته من العمل و هو يضع صحيفته اليومية بين يدي الصغيرتين و يطلب مني قراءة العناوين .. نظرته و ابتسامته الفخورة بي و أنا أتلجلج لأجمع الحروف و انطقها كلمات وجملًا كانت أغلى و أعز جائزة نلتها .. والدتي أطال الله في عمرها و حفظها لنا وبحكم تخصصها و خبرتها الطويلة في مجال التعليم كانت تتولى الإشراف الأكاديمي و متابعته معي و مع إخوتي من بعدي .. أما والدي فقد كان معجبًا باستيعابي للغة و هو أساسًا قارئ نهم و شغوف رغم خلفيته العسكرية لذلك كان يتابع تطوري في هذا الجانب و يرفدني دائمًا بما يرى انه مناسب لما وصل إليه تقدمي

حتى وجدتني و أنا في الثانية عشر من عمري اقضي وقتًا طويلًا متنقلًا بين كتابات صلاح عبد الصبور و أمل دنقل و درويش و غيرهم من الشعراء الذين شكلوا دهشتي الأولى .. خلال الفترة ما بين قراءاتي المتعثرة لعناوين الصحف و انغماسي في عيون الشعر الحديث تأطرت علاقتي باللغة من خلال الدراسة المنتظمة و على يد أساتذة أجلاء أدين لهم بالفضل ، تعرفت إلى قواعد النحو و الصرف و الإملاء و ما إلى ذلك وكان لما سبق أن ذكرته من اهتمام بالمنزل أثرًا كبيرًا في تفوقي المدرسي خصوصًا في مادة اللغة العربية و أذكر أنه كثيرًا ما كان يأخذني أستاذي لفصل آخر لإعراب جملة أعيت تلاميذ ذلك الفصل ...

وأنا في العاشرة بدأت متأثرًا بكل ذلك في كتابة بعض الخواطر المقفاة وعرضها على والدتي التي احتضنت هذه الخواطر وباتت تحضني دائمًا على كتابتها وتسألني عن الجديد .. وهكذا مرورًا بالمرحلة المتوسطة و النشاطات المدرسية والجمعيات الأدبية وعبورًا للمرحلة الثانوية حيث تعرفت إلى الشعر الجاهلي و عشقت المعلقات وأحببت حصص البلاغة وأدمنت كتاب شوقي ضيف حتى كانت القفزة الهائلة التي حدثت حين وطئت قدماي أرض جامعة الخرطوم بعد قبولي كطالب في كلية الهندسة .. ولعل أول ذكرياتي وأول مرة ادخل الجامعة كانت مع مديح الظل العالي ومحمود درويش بالميدان الشرقي للجامعة .. كانت حقيقة لا زلت أعيش حلمها حتى اللحظة .. درويش بموسيقاه وأحرفه خارج دواوينه .. كلماته التي عانقتني منذ طفولتي هاهي جسد حي وحضور طاغ يترنحني وأنا أضع أولى خطواتي بعد القبول .. كانت هذه أجمل البدايات لعهد جديد .. المنتدى الأدبي لجامعة الخرطوم .. الأمسيات الشعرية .. أمين عثمان وطارق حاج التوم نجمان من كلية الهندسة كانا يعطران الليالي الشعرية للمنتدى ويتركان بقايا الدهشة عالقة في دمي .. محجوب شريف وحميد كل ما تقرأ تجده يومًا ما أمامك .. وسرعان ما تلقفني أمين وطارق ومعهما بدأت الخطوات .. بت مشاركًا في كل الأمسيات وتعرفت إلى منتديات المدينة .. واستمر بي الحال كذلك حتى تخرجت وفي هذه الفترة تم نشر أحد النصوص في الملحق الثقافي لصحيفة السودان الحديث التي كان يشرف عليها القامة الأديب نبيل غالي وبت اكتب عمودًا راتبًا في إحدى الصحف الاجتماعية .. ثم توقفت تمامًا ... فالحياة العملية أجبرتني على الابتعاد عن الخرطوم وانغمست في دوامة العمل ولم تكن هنالك هواتف ذكية أوكمبيوترات محمولة وفي بعض الأوقات كان مجرد وجود ورقة وقلم ووقت للكتابة ترفًا لا املكه .. وبعد ذلك سافرت إلى المملكة العربية السعودية واستمر الانقطاع إلا من بعض الهنات تارة وأخرى .. ولعل عودتي إلى السودان كانت سببًا في أن أعود بنفس الشغف القديم الذي لم تؤثر فيه هذه المدة الطويلة من الانقطاع

مرحبًا .. أنا كردية

زهراء غازي :

تسألني صديقتي : هل تفتقدين زهراء سابقًا ؟

أقول : كلا ، على الإطلاق .

ولدتُ في بغداد من أب وأم كردية ،أعتزبقوميتي وفخورة جدًا بها ، أســكن في منطقة شــعبية بعيدة عن مظاهرالحياة . وعندما أقول هذا أعني : رقي ، وعي ، ثقافة .. جل ما يهتمون به هو المظاهر ، نادرًا ما أرى من يشــبهني .لذا لا أخرج . ما أفكرفيه بعيد تمامًا عن محيط مجتمعي لذا أواجه صــعوبة تقبل واقعي وواقع البيئة التي أنا فيها .

عندما كنت في الثانوية ، لم أكن فتاة إجتماعية ، ببســاطة كنت أتجنب الجميع ، أتجنب نظرات الكره والذم فقط لكوني كردية .

لم أكن أتقن العربية كثيرًا ، ولا أفقه شيئًا ، اسأل المعلمات والزميلات أن يشرحوا لي مرارًا وتكرارًا كي أفهم ما يقولون وكي أتجنب الوقوع في أخطاء حين أتعمق في اللغة العربية ، وكنظام تعليمي قائم على التلقين دون فهمٍ يُذكر، كنتُ أســرد ما يقولونه لي دون يقين مني إن كنتُ على صــواب أم لا ،عانيت أكثرحين كنت أحاول التحدث عن أمرما أمام غيري .

في يومٍ ما، طلبت معلمة اللغة العربية أن نكتب إنشــاءً محوره " من أنت " ولضــعف لغتي العربية ، قمتُ بتسليم دفتري فارغًا دون عنوان يُذكرسوى إسمي .

منذ ذلك اليوم ، والسؤال ما زال يسكنني " من أنت ؟"

رويت لوالدتي ما حدث معي ، وبدلًا من أن تقوم بتوبيخي ، أعطتني كتابًا لقراءته . لا زلتُ أتذكر، كانت رواية ذهب مع الريح لمارغريت ميتشل . واجهت بعض الصعوبات في قراءتها لكن سرعان ما وجدتُ نفسي مندمجة معها ، إذ قمتُ بكتابة ملاحظات واقتباســات أعجبتني. منذ ذلك اليوم وأنا أقرأ . عبّرتُ عن ماهيتي بالقراءة . وجدتُ نفسي أحاور ، أناقش ، أكتب ، أتميّزو أمارس الدور الذي خلقني الله لأجله في نشر المعرفة.

المدرسة لم تكن تحتوي على مكتبة لتساعدني على الاستمرار في القراءة ، إذ كان التلقين هو السائد وأي قراءة مختلفة عن المتعارف عليه كان ممنوعًا . الصعوبات التي منعتني من مواصلة الرحلة كانت متعددة ، تمثلت في كيفية التغيير ، وكيفية الحصول على الكتب الخارجية دون أن تعاقبني الإدارة . لذلك ، عدتُ إلى والدتي مجددًا وحدثتها في الأمر وإذ هي تقف مبتسمة تعلم ما يدور في ذهني . أعطتني مكتبتها ، الكتب ذات الإصدارات القديمة والتي تعود إلى السبعينيات من القرن المنصرم . أصابتني الدهشة ، رهبة ، ثم ضحكات مجنونة متواصلة مع نفسي وأنا أنظر إلى الكتب . كونها قديمة لم يكن مشكلة كبيرة بالنسبة لي ، ما همني هو أني املك كتبًا .

بعد رواية ذهب مع الريح ، انغمست أكثر مع الروايات الأخرى ، اندمجت كثيرًا مع الأدب الإنجليزي والأدب الروسي : جين أوستن ، أجاثا كريستي ، وينستون تشرشل ، جوزيف كونراد تشارلز ديكنز ، جورج أورويل ، جورج برنارد شو و أوسكار وايلد ، فيودور دوستويفسكي ، ليو تولستوي ، ميخائيل بولغاكوف ، ميخائيل شولخوف و مكسيم غورغي .

استمر هذا الحال حتى الثانوية ، في الصف الخامس الثانوي ، كنّا ندرس الفلسفة ، وقعت في غرامها كثيرًا . ساعدتني مع القراءة ومع اللغة العربية . فكرتُ كثيرًا إذا كان عليّ أن أواصل قراءتي مع الأدب أم لا . وإلى متى أظل هكذا دون أن أفهم الحياة أكثر.لذلك ، ونتيجة لدرس الفلسفة ، بدأتُ قراءة : فيثاغورس ، هيراكليتوس ، ديموقريطوس ، سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، القديس أوغسطينوس ، الكندي ، الفارابي ، ابن سينا ، توماس الأكويني، غاليليو غاليلي ، و رينيه ديكارت . لم أواجه صعوبة بداية الأمر، وهذا ما حيرني ثم ابتسمت لأنني قد علمتُ حينها لو لا بدايتي مع القراءة ، لتعبت كثيرًا مع الفلسفة .

خلال المرحلة الأخيرة من الثانوية ، كنتُ قد عزمت الرأي لدراسة القانون أو الفلسفة أو اللغات كخيار رئيسي في الجامعة ونتيجة المعدل ، لم يتم قبولي فيها ، إذ تم القبول على الخيار الثاني ، العلوم السياسية في جامعة بغداد . لم أهتم حينها ، إذ كانت خياري . وبعد خلاصي من الصعوبات التي واجهتني خلال السنة الأولى من الجامعة والتي تمثلت في العزلة ، واجهتني صعوبات تكمن في كون النظام قديم، وأسلوب التقديم بدائي، إضافة لكون الطرق المستخدمة قديمة جداً. هنا واجهني تحدي في كيفية توظيف خطتي الدراسية ذات المنهجية الحديثة بنظام بدائي معتمد على التلقين . مرةً أخرى شجعتني القراءة على إثبات وجودي.

اللغة.. صرخة الحروف

راشد محمد عبد الوهاب :

لفترة زمنية تعدت العشرة أعوام عشت وسط جماعات لها لغتها ذات المدلولات والمصطلحات البعيدة بشكل كبير عن لغتي الأم ولم يترك هذا أثرًا عميقًا في خطابي اليومي بل حافظت على الإحساس المشحون باحترام كل اللهجات وتعاملت بمرونة في استخدام لهجتي الأم ولهجتهم في آن واحد وذلك للدور الأسري الذي ساعد في هذا الأمر بشكل جيد عبر تداولنا للهجتنا الأم في التعامل اليومي، أضف لذلك عبر الشعر والموسيقى المتمددة الممتلئة بالانفعال اللغوي المنتمي لكافة الثقافات التي تضج بها بلادنا وكان ذلك دافعا منعنا بأن لا ننجرف وراء تيار لغة المجتمع الذي نتوسطه.

وبعيدًا عن ما ذكر، ذاك المجتمع ساهم بشكل كبير في تطوير لغتي العربية في تلك الفترة عبر المنهج التعليمي المتبع في تلك الدولة إذ أنه ومنذ المرحلة الابتدائية هناك مواد تعليمية يتم تدريسها للطالب بمنهجية جيدة (مادة الخط العربي- مادة الإنشاء"التعبير"- مادة النشاط الثقافي) أضف لها مادة اللغة العربية الأساسية والاهتمام من قبل المعلمين بكل المواهب في مرحلة مبكرة (الفنون بكل أشكالها) وتقديم كل المتاح حتى يطور الطالب نفسه وذلك بإقامة الأنشطة الثقافية الدورية والمنافسة على مستوى المدارس في الدولة.

انتقلت تدريجيًا إلى مرحلة أخرى من الاهتمام باللغة عبر الإطلاع المكثف على الأدب الجاهلي وفي تلك المرحلة اكتشفت أن اللغة التي كتب بها الأدب الجاهلي لم تكن لغة عربية صرفة وان هنالك خلافًا بين لغة "حمير" العرب العاربة ولغة "عدنان" العرب المستعربة ونذكر ما قاله أبي عمرو بن العلاء "ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا" ولكن الأدب الجاهلي كان قاموسًا جيدًا و ماعونًا واسعًا أضاف لحصيلتي اللغوية بشكل ضخم، بعد رحلة بحث طويلة عبر الكتب والصحف والمواد الأدبية الأخرى اكتشفت طريقًا مختصرًا لكهوف اللغة وذلك عبر دراسة النص القرآني فهو مرآة لذلك العصر والقرآن استخدم لغة أدبية رفيعة لم تمثل الحياة الدينية فقط بل مثلت الحياة المجتمعية لفئة معينة من المجتمع فالقرآن لم يمثل كل المجتمعات في تلك الفترة.

وبعد التمرحل في سبيل تطوير لغتي اتجهت نحو المدرسة الغربية في الأدب الذي يحمل مدارسًا مختلفة في اللغة الخالقة لذاتها وقد توقفت كثيرًا عند تجربة الشاعر كولودج الذي أذاب وحطم اللغة المتعارف عليها وخلق لغته الجديدة وتحرر من قيود الجماعة واتبع الإدراك الحدسي المباشر المعتمد على العاطفة والإرادة معًا فقام الكاتب بعملية انصهار في ذاته و موضوعه الأدبي ولغته أنتج بها تراكيب ومفردات وصور جديدة وخلاقة غير مألوفة ،بالتأكيد الأدب الغربي يمتلك الكثير من الأدباء الذين صنعوا لغتهم الخاصة وقاموسهم الشخصي.

بعد المرور بأكثر من مرحلة وتجارب مختلفة ومدارس متعددة تأكد لي بأن اللغة لها صلاحيتها الخاصة في تطويع المعاني وارتياد المواضيع المختلفة وهي تعزيز مباشر لضرورة توصيف عبقري لعمق الأشياء وأن الكاتب العالمي هو من يستخدم لغة الحياة فلماذا يكون الكاتب ذاتيًا منعزلًا في لغة مجتمعه اللغة التي لا يفهمها إلا جماعتها المعاصرة لها وفي هذا تضاد لطبيعة العمل الكتابي الذي من أهم دعائمه أن يكون قادرًا على توصيل كل ما لديه للغير عبر وسيلته الأولى اللغة والغير هنا لا يمكن أن نقيده بالجماعة أو المجتمع المعين.

مع تأكيدي بأن اللغة هي ظاهرة اجتماعية فعلا وأنها أداة تعبير جماعية كان لزامًا علينا أن نفرق بين حالتين:

- حالة الجماعة
- حالة الفن

فليس من شك على الإطلاق أن اللغة اليومية مهمتها الأساسية توصيل المعلومة أو الفكرة من المتكلم إلى السامع ،ومن الطبيعي أن يستخدم المتكلم في وسطه الاجتماعي لغة الجماعة بمفرداتها وتراكيبها ومدلولاتها التي إصطلحتها الجماعة.

أما حالة الفن فهي إدراك وتأمل يحول أي موضوع إلى حالة مدهشة كما لو انه يحدث للمرة الأولى وذلك بتحطيم كل الارتباطات التي علقت في الأذهان وهذه الرؤية تتمثل فيها عملية الخلق الفني ويلتقي فيها الموضوع بالذات يزول بينهما التناقض باللغة وهذا ما على الكاتب أن يسعى عليه وبالتأكيد ليس عليه الاستغناء الكامل عن لغة جماعته لتحقيق هذا الأمر.

قبل مرحلة النضوج اللغوي إذا صحت التسمية تداخلت علي المواقف اللغوية الصاخبة وأصبت بتخمة لغوية رتبت وجداني وسمت بي نحو أفق منفلت من زخم التقليدية فقادني ذلك للخروج من منطقة العادية إلى حالة فنية حداثوية غير متطرفة شكلها لي (محمد الحسن سالم حميد- مصطفى سيد احمد - سليم بركات - محمود درويش -فيروز- بوب مارلي - والت ويتمان- دوستوفسكي - ويتني هيوستن....الخ) لقد

كانت اللغة التي خاطبني بها هؤلاء هي عاصــفة من الأدوات والتراكيب والمصــطلحات التي أضــاءت لي الغار اللغوي في ســبيل الوصــول إلى اللغة الوجودية المســتمدة من كل خرائط الحياة فكان لهذا الأثر الكبير في معالجة بعض الثغرات التي حاولت مرارًا تجاوزها محاولًا الوصــول إلى مرحلة الاتزان اللغوي و صــناعة المفردة الخاصة المتجاوزة واذكر أن أرسطو قد ذكر في إحدى مقولاته (إن مهمة اللغة ليست توضيح معنى الأحداث.. كما أن مهمة الأحداث ليســت توضـيح معنى اللغة..فإذا لم يكن للحدث واللغة معنى خاص لكل منهما فلا مكان لهما في الحبكة فلكل من الحدث واللغة مهمة صحيحة).

الذاكرة واللغة

مودة نصر الدين :

الجائزة كانت جنيهًا كاملًا .. في حين أن كل الذي كان ينقدونه لي أهلي في اليوم هو نصــف جنيه ، لذلك كان علي أن أناضل لأجلها.
.. ما هو موقع (الله) من الإعراب في الآية (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ؟؟؟
هذا هو ســؤال أســتاذة اللغة العربية الذي ســأغتني إن جاوبته.. أفكر بسـرعة محاولة لاســتباق زميلاتي النبيهات اللاتي دائمًا ما ينازعنني في ما أستحق ، كنا أطفالًا و نغار من بعضنا بوضوح و لا نخفي أهمية أن نسبق بعضنا ، فكرت أنه من المستحيل أن يخشى الله العلماء رغم أن الآية توحي بذلك لعقلي الصغير.. و إيماني يقول بأن الله لن يصبح مفعولًا به أبدًا.. ولكنه هو تعالى من سيقع عليه فعل الخشية ! حسمت أمري و رفعت إصبعي بحماس رهيب (أستاذة أستاذة أستاذة) تجاهلتني قليلًا لتبحث عن خيارات أخرى ولكن لم ترفع إحداهن يديها. أشارت إلي في استسلام فجاوبت:
اسم الجلالة مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.
فرحت الأستاذة لأنني أخبرتها ما أرادت بالضبط ، صاحت بالبنات : صفقوا لها ! فصفقن لي ، يا للزهو ! و قاسمنني الجنيه الذي كنت أستطيع أن أشتري به عشر حلويات مختلفة.
وكان هذا الجنيه هو أول هدية تقدمها لي اللغة العربية .
و اللغة مفاتيح ، و مفاتح ، و أضابير قد لا ترى بالفهم المجرد ، و أنا كنت ضالة فيها و أتبع حدسي في دراستها ، و التواصـل معها و بها، كانت تلهيني في كثير من الأحايين بطرق كثيرة ، مطابقتها أو مفاضلتها باللغة الدارجة كانت شيئاً صعباً ، و سهلاً في نفس الوقت حسب فروقات الحالة الذهنية.
تدرجت في مخيلتي تراكيب الأفعال الثلاثية و الرباعية و الخماسية و حتى السباعية منها .. صارت هرماً ضخماً أعرف إنني إن لم أتبع النظام في استلال ما يناسب كتابتي فسيسقط هرمي مغشياً عليه ، وكنت أظنني وحدي في هذا العالم من تعد النقاط التي على الحروف.
و بما أن اللغة هي وسيلة العقل للتخاطب مع العالم فقد كنت كثيرة الأسئلة ، كثيرة المماطلة حتى فيما صغر منها و كان أبي له بال طويل كنهر ، و معرفة واسعة أغنتني عن عناء البحث في مرحلة ما ، لن تصدقوا و لكن أبي كان يدفع لي لأقرأ أو لأكتب قصيدة ! ألم أقل لكم أن للغة هدايا كثيرة..
ولن أنسى بأن القراءة كانت فتحاً عظيماً لعقلي المتثائب تواً من طفولته ، أنضجتني بصورة هادئة و تعلمت اللغة العربية الفصحى .. من الكتب وحدها .. لا من أستاذ بعينه.

و أبي له مكتبة مليئة بما أحب ، كتب و مجلات و روايات .. كلها اجتهد مدونوها في تجويد و تدقيق لغتها لتخرج برصانة للمتلقي النهم ، أشكال لا تحصى من الجمل و التعابير المدهشة نستطيع استخراجها من لغة لها ثمان و عشرين حرفاً .. أكوان و مجتمعات بعيدة وغريبة عني ، و بنات أخريات لهن قصص لا تنتهي و يتحدثن بلغات أخرى و بأحرف مغايرة عن عربيتي ، كل هذا أستطيع أن أصل لفحواه بمجرد أن أفتح كتابًا ما ..

ولكني عرفت فيما بعد أننا كلما مضينا أكثر واجهتنا مصاعب أكثر، و أن النافذة التي نفتحها لننظر بها للعالم قد تضيق طالما نحن لا نتغذى أكثر بما يفيد العقل و الذاكرة لنفهم حقيقة ما نراه ، المصاعب نفسها قد تواجهنا في خذلاننا لأنفسنا بعدم اختيار الكلام المناسب لنعبر عن موقف بعينه أو لنعبره ، قد أمر بموقف حياتي صعب فلا أستطيع أن أقول حينها للناس إلا كما قال عيسى بن عمر النحوي و قد سقط عن دابته فأجتمع الناس حوله فقال: مالكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني) .

إننا ضعفاء فكريًا ، ضعفنا في لغتنا العربية

هيثم الطيب الفقي :

وكيف تقرأ..؟

.. اقرأ بلسان عربي مبين

ثم ماذا..؟

الإبانة فكرة ..

ثم ماذا..؟

لغة الضاد لغتي..

كان النقاش بينهما كذلك..

غير أنهما مازالا يتهامسان..

هل ضعفنا في اللغة العربية..؟

قالا : نعم..

ولكن لماذا..؟

لأننا ضعفاء فكريًا،ضعفنا في لغتنا العربية ، ثم ضعفنا حضاريًا وإنسانيًا،اللغة هي تعبيرنا، فإن ضَعُفتْ ضعف كل شيء فينا..

في الخلوة ، ترتبط باللغة العربية وتجويدها ،إن عشقتها فأنت قارئ بفهم عالٍ للقرآن الكريم ، هكذا قال لنا شيخ الخلوة الماحي السبكي ، فهم عالٍ للجملة التي مازالت معي ، إذن لتعرف القرآن الكريم عليك باللغة العربية ، أعرفها بفهم عالٍ ، ثم رؤية ثم انطلاق بها لكل المعارف العربية ،هي النصيحة التي كانت رمزية في معنى وإشارة في مبنى

اللغة العربية صعبة في كل شيء ، العقل يقول هذا ، القلب يكذبه ويهمس هي لغة القرآن الكريم من هنا فمحبة كل لغة إن كانت من القلب فهي الراسخة وهي الراجحة ، تعرفها بالقلب لتنجح فيها ، ثم تقول للعقل هي لغتي ، كانت تلك فلسفتي وأنا أقرأ اللغة العربية معارفًا وبلاغة ونحوًا وبديعًا ، قراءة لتعرف ثم تكتشف ، اللغة يتم تعلمها بعمق هكذا ، بغيرذلك فأنت قارئ فقط ولست عارفًا بها ، وكان يقيني المعرفة هي الطريق ، ثم قلت لنفسي وهل اللغة العربية إلا شعرًا ثم بلاغة ، وكان مدخلي الشعروالأدب وبهما تكتشف اللغة بكل اتجاهاتها ، وتفاصيلها ، الشعرالجاهلي ثراء اللغة العربية مفردةً وتركيبًا ومعاني ،

كنت أقرأه بدهشة ، كانت حياتهم لغة فصيحة ، كيف تحقق لهم ذلك ، سؤال ليس للإجابة ، بل لمزيد من الاكتشاف ، قرأت المعلقات وتاريخها وشعراءها ، هي عشرة بإضافاتها ، وهي :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ (امرؤ القيس)

لخولة أطلال ببرقة ثهمد، لـ (طرفة بن العبد)

آذَنَتنَا بِبَينِها أَسمَاءُ (الحارث بن حلزة)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ (زهيربن ابي سلمى)

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا (عمرو بن كلثوم)

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ (عنترة بن شداد)

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا (لبيد بن ربيعة)

ودع هريرة إن الركب مرتحل، ل (الأعشى)

أقفر منا أهله ملحوب، لـ (عبيد بن الأبرص)

يا دارمية بالعلياء والسند لـ (النابغة الذبياني)

فيها تكتشف عمق الشاعر اللغوي من موقف ، صراع أو مدح وهجاء وفخر، والبكاء أيضًا ، منها تعرف كيف تمارس التعليل شرحًا ، والشعر تذوقًا ، واللغة إبانة والنحو ضبطًا ، وكل واحدة لها من الإشارات ما هو أجمل ، أو جميل لغة وتعبيرًا ومحاولة قراءة تأريخ عبر معلقة ، ومعرفة لغة ومعنى كلمة وكيف تكون في سياقات مختلفة .

لكل معلقة طعم تذوق خاص بها للغة العربية ، ولكل شاعر طَرفٌ من اللغة العربية ، يحدث انحياز لمعلقة ما ، لفكرة ما ، لكن لما تقول لنفسك والثانية أجمل ، تأتي الثالثة لتقول لك : (وهل اكتشفتني أنا) ، كل معلقة فيها خاصية جذب للقراءة والاكتشاف ، لن تعرف لغة إلا بخاصية أنك مكتشف ، كن مكتشفًا تكن عالمًا في اللغة ، ثم حين تكون بين ثنايا كل معلقة اكتشف صخب هذا ، تجليات ذاك ، حكمة هذا وفخر ذاك ، صياغة اللغة بمعرفية راسخة وبلاغة ونحو وصرف وهكذا كلها.

وفي مدرسة النيل الثانوية بعطبرة ، يومًا ما سألت معلم اللغة العربية هاشم البشير عن سياقات في معلقة عمرو بن كلثوم ، وكان يعلم قراءتي للمعلقات ، وتصنيفي لها وتساؤلاتي فيها وعنها وعن تفاصيل تكوينها التأريخي واللغوي والمعرفي ، كنت أكتب له مدارسة عن أبيات معينة ، ليناقشني فيها ويعطيني إجابات لغوية تعليلاً لتراكيب أو تشبيه أو غير ذلك.

قلت له : أحس أن في معلقة عمرو بن كلثوم إشارات تستحق الدراسة لغويًا ووصفيًا ، يمكن أن نخرج بذلك من قراءتنا للآتي :

تُريك إذا دخلت على خلاءٍ وقد أمِنتْ عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل أدماء بكرهجان اللون لم تقرأ جنينًا

وثديًا مثل حُق العاج رَخصًا حَصانًا من أكف اللامسينا

المُتحدَث عنها أنثى ، ودلالة السؤال عندي عن مدى صدق الشاعر في كلمتي (رَخصًا وحَصانًا) فالأولى تعني لينًا ، والثانية اسم فاعل من الفعل حَصَن ، فكيف يستقيم المعنى ضمنيًا هنا ، كان سؤالي له ، فكانت إجابته : هذا (نعتٌ على التوهم) في وصف الثدي بوصف رَخصًا وتعليل بكلمة حَصانًا

من هذه النقطة ، دخلت محراب اللغة العربية كلغة لها القدرة على التوصيف والإيجاز بكثافة شرط أن تقرأها بفهم أنها كذلك ، تقرأ لتكتشف ، وهذه هي الميزة الايجابية ، ولو تركناها لضعفنا ، مشكلتنا أننا نقرأ اللغة العربية كلغتنا ، نمارسها ، نقولها ، نتخاطب بها ، نتناقش ، لكننا للأسف لا نعرف قيمتها الحقيقية كلغة ، لذلك لم نكتشف ميزاتها وضعف تناولنا لها كلغة لنا

ضعفنا وضعُفتْ فينا ثم في خطابنا ، لأننا لا نقرأها بعمق حقيقي ، ولا ندخلها في مناهجنا التعليمية بكثافة إنها لغة إبداع معرفي وتواصلي ، وتراجعنا مفاهيميًا في ذلك ، غابت دلالتها في إعلامنا ومناهج جامعاتنا ولغة دراستنا كلها ، غابت بشكلها الحقيقي وأصبحت لغة فقط وليست منهاج معرفي ولذلك يكتب طلابنا لغة عربية بلا معرفة وبلا علمية وبلا ممارسة لغوية فيها نحو وصرف وبلاغة وبديع.

إشكاليتنا في مناهجنا ، هي أنها عاجزة عن اكتشاف اللغة العربية ، لا تعرف قيمة تعليم اللغة كلغة أم بالنسبة لنا ، اللغة الأم هي لغة حضارة ولذلك معرفتنا بها يجب أن تكون كذلك ، تعريف كل الأجيال بها من هذا الباب ، ليس لتجويدها فقط ، بل لتكون تعبيرًا عن فهم حضاري راسخ في وجداننا جميعًا وأنها باب لمعرفة معارفنا الأخرى ، بمنطلق فهم حضاري باذخ حول اللغة العربية نستطيع إضافة معارفنا العربية للإنسانية ، معرفتنا بها كذلك هو الطريق لإعلام العالم من حولنا بها ، لكن بضعفنا هذا كانت معرفة العالم بنا ضعيفة ، العالم من وجهة نظري يحتاج لمعرفة اللغة العربية كلغة حضارية ولكن كيف..؟

كيف ، هذه ، لا تجيب عليها إلا رؤيتنا لها كلغة لنا ، من واقع ترسيخنا لها في الأجيال كمعارف ومناهج ، ضعُف مستوى اللغة العربية لأن مناهج تعليمنا الأساسية لا تعبر عن فهم تذوقي لجمالها ، وهذا هو بداية ضعفنا ، ثم في مناهجنا المتوالية لا ندرسها بوعي معرفي واكتشافي ولذلك يكون الدارس لها بين ضعف حقيقي في اتجاهاتها الجمالية وضعفٌ بائن في استخدامه لها لاحقًا كلغة تعبيرية في معرفة علمية أخرى

إشكاليتنا لن نستطيع حلها إلا بوعي أهمية اللغة العربية كلغة حضارية ، وهي لغة تستطيع الإسهام عالميًا وإنسانيًا في مجالات العلم والمعرفة ، فهل الوعي عندنا مكتمل بذلك ، هنا السؤال ، واقعنا ضعيف في دراسة هذه الإشكالية نفسها وعلى ذلك فطريقة معالجتها لن تأتي بالصورة المطلوبة ، مناهجًا ودراسات ورؤية ، ثم لغة تعبيرية بيننا وبين العالم .

عن اللغة العربية : النبض بقوة الحصان
(بكائية عن السرد والتمرد بالكلمات)

محمد حامد :

إنشائية :

" لا تأمل كثيرًا في هذا السحر" ماكـدوف.

"من الملاحظ أن عناوين النصوص السردية، تعقبها دائمًا تصديرات تحضر كمفاتيح دلالية وكتلويح استهلالي يضيء النصوص ويعين على مقاربة معانيها وملامسة روحها" لمياء شمت.

"البناء الدرامي لشخصية البطل الروائي الأدبي هو هذا النمو المستمر منذ الطفولة حتى الموت" عيسى الحلو.

تركيبية :

نمط لكتابة روائية حديثة تفضح وتبين عظمة وجمال هذه اللغة الساحرة:

الكويتية (ليلى العثمان) في قصتها (يحدث كل ليلة)، رائحة الجسد...رائعة الرماد – تؤسس لشخصية ناقمة ذات نرجسية مترعة بالألم، وهذا العنوان هو مأخوذ من جملة في القصة (أتنفس رائحتي شهية كالنعناع)، والملاحظ أن بناء الشخصية كان استثناءًا لكل ما كتبت سابقًا، فقد احتوت على دلالات موسيقية تدفع بالقارئ للسباحة في النصوص، وهنا تحاول تقديم صورة لصراع المرأة ومشكلها الاجتماعي ثم محاولة تأكيد وجودها كمبدعة في وسط تيار الحداثة، وهي – أي ليلى العثمان – تتمرد على العادة وتخرق التقليد في صياغتها لتلك الشخصية بإشارات سريعة لا جماليتها الأدبية.

جدارية :

- جان بول سارتر- : "إن الأدب في اللغة هو كفاكهة الموز الناضجة...تؤكل بعد قطافها"، وتحدث جاكبسون عم ما يسمى (ما بعد اللغة) وهي أن هنالك لغة غايتها تكمن في – أنها تريد أن توصل رسالة ما، وهي إذًا لغة غائية تتجاوز نفسها لما عداها...عكس تلك التي تسعى لتوصيل الموضوع. *1

- "اللغة شعرية أنيقة، مفردة تختصر كثيرًا من الثرثرة لتؤلف مناخًا للقصة القصيرة بشاعريتها وكثافة صورها" فضيلي جماع.

- تكمن أهمية اللغة العربية المكتوبة في القصص والنصوص في ما يقوله السوداني (محمد عثمان عبد النبي)، "أعتقد أنه من العيوب في النصوص أن مفرداتها لا توظف أي علاقة لها مع بعض مما يضعف النص".

إزرقاق خافت :

* اللغة العربية هي لغـة القرآن الكريم وهو كلام الله تعالى.

* تعتبر هي إحدى أكثر اللغات انتشارًا في العالم.

* اللغة العربية يتحدث بها يومياً ما يقارب (500 مليون شخص).

* اللغة العربية تسمى لغة الضاد (لعدم وجود حرف الضاد في لغة أخرى غيرها).

* تتسم اللغة العربية بالروعة والجمال والقوة ولم تستطع باقي لغات العالم الحية مجاراتها بسبب ترنيمتها الرقيقة.

* قامت (اليونسكو) بعمل مبادرة بتخصيص يوم عالمي للاحتفال والاحتفاء باللغة العربية تحت شعار "اللغة العربية والعلوم" تجسيدًا للمكانة الكبيرة للغة العربية كإحدى ركائز الثقافة في العالم أجمع. - *2-

- 1-

(لعلك يا عذاب الليل كنت تزورنا كرهًا

وترحل قبل أن تأتي...)

(الراحل/ مصطفى سند - من قصيدة الكمنجات الضائعة)..

لعل هذه الصورة الشعرية الفخمة البرقاء هي ما ظل يحرضني على اعتناق نهج اللغة العربية وارتداء فراديسها شديدة الرصافة والمعاني مرغماً ومعجباً ومبهوراً ومسكوناً. أسعل مفردة وأغني كلمة وأسافر جملة وأتمرد بالعبارة وفحواها قرصاناً بحرياً على سفينة اللغة العربية عالية المرمى وفاتنة المحتوى.

ما تفعله اللغة العربية بيّ، يحدثه إلتثام شفاه الموج بعنق الشاطئ الساكن، صخبٌ محببٌ، تودد عابثٌ، قبلاتٌ عجلى تشعل مرساتيّ ولهاً، مجدافيّ يسعل صبابة ،وأنا بها أكتب كالسكير بزجاجته يلوح بها بلا إتجاه، وأنا بمحبرتيّ كيفما أرغب أهذي حيناً وآخر أغيب عن الوعي.

اللغة العربية هي هيبة الحديث، بوحٌ حين لا يفلح اللسانِ، إبحار ليليّ وسكون حين تغيب الشمسِ، إدراكٌ عميقٌ بالحياة وكيانها.

يعجزني أنا أن أفرح لكن اللغة العربية (لغتيّ) تكتبني كما ترغب فتفرحنيّ أنا. اللغة العربية هي أقصى حديث يفسحه براح الروح بيّ فينشرح القلب بجوفي ويصدح بالبعيد واللا ممكن.

-2-

لنتأمل هذه الذخيرة الثرة الفتاكة الرفيعة الحس بباطن اللغة العربية...

اعوجاج الضوء، حقلٌ على بلاط الماء، قطارٌ الروح العارية، نشيد جماجم الأرض، فخاخ الليلِ المسعورِ، قصر البركة الأخيرة في قبر الجدار، لمعان الصندوق على الزيت، فوضى النقرس والإعياء، برقٌ برقٌ وقمر يخلع عمامته، نهدٌ لأنثى بحجاب الرمل، الخشب يذوب كأيادي من صلصالٌ، أنتَ الفحل الصامت حين تعج بالرماد، هيبة الموت وجنسية الظل، شبحٌ ما يتنكر، الضباب يغتسل سراً، لكأنها الخاطفة الواجمة، يتبدد النورِ إلى أشباح وهياكل تنبض شموعاً ومصابيح، خزفية الخذلان للشهقة الأخيرة.

هي وعيٌ عالٍ بقرب الموت وشهقة الروح الأخيرة، حين تكتب ملء متاهاتكَ الداخلية لن تجدها إلا باللغة العربية، جمالها يتخطى الوصف الرمزي وفعل استخدامها لا أبدي وممتد كدرب التبانة بالفضاء...

(كل شيء يشترى بالمال ليس ثمينًا..!) ديستوفيسكي

وكذا هي المفردة العربية باللغة العربية لا يمكنكْ تثمينها أو شراؤها، المال لا يحقق التقييم الصادق لجمال هذه اللغة السماوية الساحرة، وبالنسبة لي فهي كغطاء الرأس الحتمي وكساء الجسد المتكلم، عباراتها غنية وباهرة الحضور، حبٌ وحياةٌ وممات لحبٍ وحياة لعالم آخر لا ممات فيه ولا بكاءات.

-3-

الصورة الإبداعية في اللغة العربية : ركن الزاوية والضلع..

إن اللغة العربية مليئة بالفنون الجمالية واللمحات الباهرة، وهي من أرق اللغات في الرسم بالكلمات والفنون البلاغية، وأوجزهنا بعض القليل من السمات التي توضح وتبين النبوغ الجمالي في اللغة العربية:

بيت لايتحرك اللسان بقراءته :

آب همي وهم بي أحبابي....همهم ما بهم وهمي مابي (الجرجاني)

بيت لاتتحرك الشفتان بقراءته :

قطعنا على قطع القطا قطع ليلة..سراعًا على الخيل العتاق اللاحقي (ابن هلال العسكري)

أبيات تستطيع قراءتها أفقياً ورأسياً

ألوم صديقي وهذا محال
صديقي أحبه كلام يقال
وهذا كلام بليغ الجمال
محال يقال الجمال خيال

أبيات تقرأ بالمقلوب حرفاً حرفاً

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم
***
حلموا فما ساءت لهم شيم
سمحوا فما شحت لهم منن

أبيات تقرأ من الجهتين كلمة كلمة

سلموا فلا زلت لهم قدمٌ
رشدوا فلا ضلت لهم سنن

نموذج بالغ الإبداع والبلاغة الحقة في اللغة العربية:

خطبة للإمام علي عليه السلام من غير حرف الألف، بعدما اجتمع الناس وقالوا بأن الألف هو الحرف الأكثر شيوعاً بالكلام في اللغة العربية، برهن لهم ببلاغته الفذة عظم الخطأ الذي يتجادلون فيه.

(حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته غضبه، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته، حمدته حمد مُقرٍ بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، متفرد بتوحده، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود مخلص موقن، وفردته تفريد مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مذعن، ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه، جلَّ عن مشير ووزير، وعن عون ومعين ونصير ونظير علم ولن يزول كمثله شيءٌ وهو بعد كل شيءٍ).

(رب معتز بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوّه متكبر بسموّه ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر قوي منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم، عجز عن وصفه من يصفه، وضل عن نعته من يعرفه، قرب فبعد وبَعُد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي، وبطش قوي، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبه وخليله).

وهذه أيضًا للإمام على كرم الله وجهه خطبة معروفة و بدون نقط:

(الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود مصور كل مولود ، مآل كل مطرود ساطع المهاد وموطد الأوطاد ومرسل الأمطار، ومسهل الأوطار وعالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها عم سماحه وكمل ركامه وهمل وطاوع السؤال والأمل أوسع الرمل وأرمل أحمده حمدا ممدودا وأوحده كما وحد الأواه وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه، أرسل محمدا علما للإسلام ، وإمامًا للحكام ، ومسددًا).

-4-

سنبث القلب ببكائية عن السرد والتمرد بالكلمات :

السرد لغةً (*3)هو :تقدمة شيء إلى شيء تأتي بهِ متسقاً بعضُهُ في أثر بعض متتابعاً (1)، واستعير هذا التناسق والتتابع لنظم الحديد كما في قوله تعالى :وَقَدرْ فِي السرْدِ (سورة سبأ) (11)، أي :أجعله على القصد وقدر الحاجة (2) ، وورد في اللسان : سَرَدَ الحديثَ يسرده سرداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيّد السياق له. (3)

في طيات اللغة العربية وبالمرور السريع على التعريف اللغوي للسرد نستطيع استخلاص فكرةٍ أساسية هي أنه رواية حديث متتابع الأجزاء، يشد كل منها الآخر شداً مترابطاً متناسقاً، يؤمنُ فهمَ السامع له وإدراكه لمضامينه، وبهذا لا يشد الحديث أجزاءه ببعض فقط، وإنما يشد انتباه السامع المتلقي أيضاً.

وهنا لا بدّ من التأكيد على أن التعريف اللغوي باللغة العربية يركز ضمناً على كيفية بناء المسرود أكثر مما يركز على مادته، أي أن الفهم هنا هو المبنى السردي، بشروطه وأدواته، أكثر مما هو المادة التي يتناولها (4).

أما اصطلاحاً، فالسرد Narrative هو فعل نقل الحكاية إلى المتلقي، فالمحكي خطابٌ شفوي أو مكتوب يعرض حكاية، والسرد هو الفعل الذي يُنتج هذا المحكي(5) ، ذلك أن الحكي يقوم على دعامتين، أولاهما : أن يحتوي على قصة تضم أحداثاً، والثانية :أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وهذه الطريقة هي السرد في اللغة العربية، فالحكاية القصة/المحكي لا تتحدد بمضمونها وحده، ولكن بمضمونها وبالطريقة التي يُقدم بها ذلك المضمون معاً. (6)

فالسرد وفق هذا المنظور هو الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق قناة مكونة من التقاء ثلاثة روافد هي: السارد والقصة والمسرود له، وتتأثر هذه القناة بمؤثرات تتعلق بالسارد والمسرود له والقصة ذاتها، وهناك مثال شهير كثير التداول في الكتب التي تتناول موضوعة السرد، ويسمى: مثال فوستر، فقولنا: مات الملك ثم ماتت الملكة قصة، ولكنها ستتحول إلى شيء آخر حين نضيف إليها إضافة بسيطة كمات الملك ثم ماتت الملكة حزناً عليه، فالتسلسل الزمني باقٍ كما هو في هذه الحالة لكنه محاط بحس السببية . أما إذا قلنا: ماتت الملكة ولم يعرف أحدٌ السببَ حتى تبين أن موتها جاء نتيجة حزنها على موت الملك فسنلحظ أن القصة الأساسية بقيت نفسها في أذهاننا كمتلقين لكن انزياح الزمن هذه المرة أخرج القصة من شكلها الأولي البسيط إلى شكل أكثر تعقيداً مع الحفاظ على حس السببية الذي وجدناه في الحالة الثاني (7) مع ملاحظة أمرين في غاية الأهمية :

الأول : أن التقديم والتأخير الزماني لم يكن ليتأتى لولا القابلية التي تتيحها اللغة العربية في نظامها الأساسي وهو ما يجعلني كما قلت في بداية مقالي أنها تتميز بثراء لا غنى عنه ولا يوجد له مثيل بكل اللغات الأخرى على الإطلاق.

الثاني : أن اللغة العربية ضمنت للراوي والمتلقي إستيعاب الحيز المكاني الذي حدث الموت فيه، فكلمتا الملك والملكة توحيانِ تلقائياً بالقصر الملكي .

اتضح - بعد هذه المقدمة التعريفية - أن فعل الحكي السرد لا يتم إلا من خلال اللغة العربية، التي لا تعطي للفعل السردي شكله أو جنسه الأدبي فحسب، بل تنفخ فيه روحه التي يعيش ويخلد بها وإن فَنِيَ الجسد أو تغير من حالٍ إلى حال وهي كيان قائم ومستقل عن ذاتية التشكيل ومرتبطاً بصورة واضحة مع نفسية السارد (الكاتب).

فاللغة هي مستوى انزياح تلك الإشارات اللسان إلى معانٍ لا توردها المعاجم اللسانية، ولا بد من الاستعانة بمثالٍ يوضح الفكرة التي أنا بصددها، فلتكن النار مثالي، أستطيع أن أستعمل النار للتدفئة، بينما يستعملها آخر للطهي، وآخر للإنارة، وآخر لطقوس العبادة، وآخر لإحراق مدينة، وآخر، وآخر، كل حسب المستوى الحياتي الذي هو فيه . فإن كانت النار هي اللسان، فإن انزياحها في الاستعمال الحياتي أو الوظيفي أو التعبيري هي اللغة.

إن اللغة في الرواية هي الركيزة الأولى والأهم لبنائها الفني، فاللغة تصف الشخصية أو تمكن الشخصية من وصف شيء ما، واللغة هي التي تحدد وتبني غيرها من عناصر الرواية كحيزي الزمان والمكان، واللغة هي أيضاً التي تحدد وتبني الحدث الذي يجري في هذين الحيّزين، ولعمري لا يوجد ما يماثل اللغة العربية في القدرة الفاعلة والنشطة والحية على الوصف والتصوير باستخدام الكلمات والمفردات والعبارات الغنية الشديدة الجذب والتأثير على القارئ والمتلقي سواء.

وكما يؤكد د . عبد الملك مرتاض، فإن الباحثين والنقاد لم يُعطوا اللغةَ العربية الروائية حقها من البحث والدرس، فإنهم - تقليديّاً - كانوا يقسمون اللغة الروائية إلى شكلين اثنين هما: لغة السرد ولغة الحوار، فيبسطون الفكرة ويُسطحونها بالقول إن لغة السرد يجب أن تكون فصيحة بينما يجب أن تكون لغة الحوار باللهجة العامية، بل إنهم ذهبوا أبعد من ذلك، فكما أنه لا يجوز كتابة السرد بالعامية، فإنه لا يجوز كتابة الحوار بالفصحى على حد ما نقله عنهم د . مرتاض (9)، هازئاً بالفكرة من الأساس، فإن هؤلاء النقاد استسهلوها بدعوى أن مستوى الحوار يجب أن يتلاءم مع مستوى المتكلم، وعلى الروائي - حسب قولهم - أن يستعمل اللغة العربية العامية المحلية في كتابة حوارات الشخوص التي يسرد حكايتها لكي يحقق الواقعية! ويكفينا لدحض هذه المقولات أن نتخيل روائيّاً عربيّاً يريد كتابة حوار في روايةٍ تجري أحداثها في الصين، فأية لهجة عليه أن يستخدم يا تُرى؟ ومن هنا وَجَب النظر إلى اللغة العربية الروائية وفيها، ووجب توجيه الباحثين والنقاد إلى الدخول عمودياً في اللغة الروائية، وعدم الاكتفاء بالمرور الأفقي وحده.

-5-

اللغة العربية: اللغة الروائية النابضة بقوة الحصان.....

اللغة العربية الروائية تتشكل بمستوياتٍ متعددة، متغيرة، ذات أبعاد تخيلية، تتصاعد بحركةٍ واعية أو غيرواعية في ذهن الكاتب والمتلقي معاً.

ولأن المجال هنا هو مجال احتفاء باللغة العربية في يومها العالمي، ولا يتسع هنا للتطويل والغوص عميقاً في اللغة العربية الروائية فإنني سأكتفي بإضاءات سريعة، من خلال استقراء رواياتٍ متعددة وإيجاد المحكم والمتشابه فيها.

يمكننا تقسيم أشكال اللغة العربية الروائية إلى:

1. لغة النسج السردي.
2. اللغة الحوارية.

على حسب معرفتي المتواضعة باللغة العربية كهاوٍّ يمارس نزيف الكتابة الإبداعية، فقد تُم تناول هذان الشكلان كثيراً في الدراسات النقدية التقليدية، وإن كان التناول ينصب في أغلب تلك الدراسات على أمور شكلية كقضية الفصحى والعامية التي ذكرناها آنفاً، أو مستويات اللغة العربية من حيث مدى اقترابها من الواقعية أو من الفن، وكأن هناك عصاً، الواقعية طرفها الأول، والفن طرفها الآخر، مما يجعل الباحث مضطرّاً للإمساك بالعصا من الوسط، فينسى قضيته الرئيسة التي ابتدأ بها بحثه .

3. اللغة الغنائية :

حيث تكون الغلبة للمادة الخيالية من توتّر الصراع، ويعقبها المنظور، فالإيقاع. ومثالها رواية الآن . . . هنا لعبد الرحمن منيف، التي تقتطع شريحة خاصة من حياة شعوب الشرق الأوسط وتستصفي مكوناتها الثقافية والاجتماعية، لتبقي على خيط وحيد هو السياسي المباشر، بغية تأسيس وعي حاد وعميق. وهذه الرواية لا تترك هامشاً لخطأ القراءة ولا تدع القارئ يستخلص الدلالة الإنسانية والتاريخية بنفسه (10).

4. لغة المناجاة :

وهي خطابٌ متضمنٌ داخل خطاب آخر يتسم بالسردية، الأول جواني (داخلي)، والآخر براني (خارجي وظاهري)، ولكنهما يندمجان معاً اندماجاً تامّاً، لإضافة بُعدٍ نفسي إلى السرد (11).

5. اللغة الدرامية :

هنا حيث تشع الصورة مع الحركة المتماثلة بالفعل والصوت الذي لا بد منه، حيث يسيطر الإيقاع بمستوياته المتعددة، ويعقبه المنظور في الأهمية، ومثاله رواية يوم قتل الزعيم لنجيب محفوظ، وهي رواية سياسية، والقراءة السردية بطبيعتها جمالية، ويبدو أن العلاقة بين الجمالي والسياسي معقدة إلى درجة كبيرة، فلا يكفي أن نقول: إن الخطاب الروائي السياسي يثير في العادة اهتماماً غير جمالي في جوهره، أو إن السياسة تعتمد على المتغيرات التي سرعان ما تنطفئ جذوتها، إذ إن العمل عندما يكون مستوفياً للشروط

الفنية فلا بد أن يستثير عند تلقيه اهتماماً غير نفعي ولا موقوت بما يكمن فيه من عناصر شعرية، وعندئذٍ تتصل به دائرة الوعي الجمالي بشكل يتجاوز معطياته الجمالية. وهذا الأسلوب الروائي باللغة العربية منوط بأمرين هما الإيقاع والمفارقة (12).

6. اللغة السينمائية :

هنا يفرض المنظور البائن سيادته على ما سواه من ثنائيات، ويأتي بعده الإيقاع. ومثاله عند صلاح فضل رواية ذات، لصنع الله إبراهيم، وفيها ينجح الروائي نجاحاً كبيراً في كسر تراتب عالم الحكاية، حيث تتحرك الأشياء والأشخاص طبقاً لقوانين محددة، وعالم اللغة حيث تخضع الجمل لمجموعة من القواعد النحوية التي تفرض عليها نظاماً خاصّاً، وينجح صنع الله إبراهيم في كسر تراتبية هذين العالمين من خلال التقنية التوثيقية التي يوظفها، وتلصق إلى جوارهما عالماً ثالثاً يتم عرضه بالتناوب مع العالم الأول الحكائي، عبر لغة متفردة وغير متكررة الوصف لا تنمي إلى الراوي ولا إلى الشخصيات، وإنما تمثل نصوصاً صغيرة يتم التصرف في تسلسلها الزمني والسببي كي تسفر عن دلالات مسبقة (13).

7. لغة الرسائل وغرف الحوار الإلكترونية :

كرواية بنات الرياض التي بُنِيت على مجموعة رسائل إلكترونية يتبادلها أصدقاء في ما بينهم، تسرد كل واحدةٍ منها حدثاً يبدو للوهلة الأولى منفصلاً عن غيره، حتى تتصاعد الأحداث وتلتقي لتوصل المتلقي إلى فهمٍ مغايرٍ صادم للعالم الذي يعيشه هؤلاء الشباب، وللعلاقات التي تربط بينهم، ولدي تحفظات جمة عليها كلغة روائية فهي هشة ومفككة ولا جدوى منها.

8. اللغة الشعرية :

وفيها يتم تحييد الحدث والشخصية والزمان والمكان، وتهميشها جميعاً لينفسح المجال واسعاً للشعرية وحدها، في نص نثري طويل مؤلف من جمل قصيرة مكثفة، توحي للوهلة الأولى بأنها لا تريد أن تقول شيئاً ولا أن تروي حكاية، بل إنها تسعى للعبث بمخيلة القارئ وبصبره، لكن هذا العبث هو نفسه ما يضمن استمرار القارئ حتى النهاية، ليكتشف أخيراً مجاهل لم يكن يعرفها، وليتذوق جماليات لم يكن يألفها، ومثال هذا الشكل رواية دابادا للعراقي حسن مطلق.

-6-

اللغة العربية: كنز الثراء الوصفي...

كأن تكن اللغة العربية هي الأداة الواصفة..
عن الروح ...

ظل يسبح لما تحت الحس الروتيني بي، الصوت القشري يمزح معي لما أصادف اللون يزيل عن ذاتيته الخجل، لك أن تتخيل أن بداخلك مخلوق آخر لا يشبهك ولا يقاربك في الهيئة والتكوين، يجعلك تثور وتقضي أيامك تتلمس الأفكار العذراء تنشد بصنوان الضيق أو الغبطة، جسد له نفسيته يسير ما بينك والجلد العاري منك، كائن تتحفظ له الكائنات الأخرى بجوفك وتتناسل معه فكرة غاية سماء وطريق غير محدد.

كأن تغدو هي الريشة والماء وحبر اللون..

عن الحياة....

اللغة العربية مفتاح الفراديس السماوية

صيوان حرٌواسع يحيطنيّ من عذب الكلم والنطق وسلاسة عبق مايتبع الجهر بها، عني بها وبتكوينها الفطري بيّ كأني مني جناسٌ وفصيح هوى وطلاوة غرام يسقيه القلب شوقاً وأدباً وحباً، وبها أتمنى أن أغدو عبارة نضاحة وضلعٌ طائعٌ لمفردة طائرة وحرف يتبعثر وتشكيل يتجدد وكفاية من حزمات متتابعات من الأنماط والإستخدامات المتعددة.

كأن تصير الغة العربية هي أداة التعبير عن الحب والعاطفة النقية (كنداءات العمر لأنثى عصية)

عن الحبيبة....

ماتكوين الحبيبة؟

مالذي يجعلها حبيبة؟

"أهي زهرة إستوائية؟، قطرة من الندى؟، ارتعاشها وخجلها، عطر مفخم بالصندل، عقيق وياقوت وزبرجد، كوم من المسك عليها، كلماتها واستنطاقها لقلبي، ارتباكي منها حين ألقاها، انشغالي بها عن غيرها، تزخرف المفردات من شفتيها، حديثها ذاك العذبِ ورقتها الآسرة، أهي بستانٌ للفوضى يقبل فيه النماذج وتبعد عنه العزلة؟، عصفورة خلوية لا تنصاع إلا بالغناء لها؟، نخلٌ طويل يهلل بوجود المطر؟، أم هو عقل يتحرش بالقلب فيستميله تجاهه!؟"

-7-

خاتمة....

اللغة في حقل الكتابة كزخات المطر حين تروي الأعشاب العطشى، كقطرات الندى لما تلامس النجيل والشجيرات الوحيدة، تغازلها حتى لكأنها تستجيب لها بالرقص والتصفيق، واللغة العربية هي الغناء المطلق بالصوت الرقيقِ.

حديثي هنا هو عن كينونة فعالية اللغة العربية في علاج الأعطاب جمالٌ حيٌ وأعضاء تتقن التودد وتنثر الحنين، والكلمات منها حاملة لمعاني تتوالد ذاتياً ولذا فهي متبوعة بالصوت الرخيم، كأناقة عائد من طول إغتراب وكثيف عناد، تجلدٌ بالصورة التي تكتبها الحروف وتثير بقائها النقاط التي تشرحها، وما يجبر خاطري أن تركيبتها الإنشائية فاخرة ولا تنفذ ولا تتبدد طاهرة وغير فاسدة ولا مفسدة، كالأنثى العذراء مليئة بالقدسية والعصمة عن السوء والدناءة.

اللغة العربية حين تكتبها قسراً لا تعفيك عن الذنب الحسي بجمالها الغريزي، وحين تعاقرها فرحاً فهي ككوب من حساء الترف يتبع هدأة المساء، وهو ما يمثل بساطة الحياة وعذوبتها الحقة.

الهوامش والمراجع :

(*1) مقتطف من مقال سابق للكاتب بتاريخ 2008/12/02 بعنوان (السرد وبناء الشخصيات: تطور الوعي وتوظيف المفردة – دراسة لاتتجدد).

(*2) نقلاً عن أمل العفيفي – الإبداع في تدريس اللغة العربية – 2016/4/2 صحيفة الأمارات اليوم.

(*3) صحيفة الخليج – لغة السرد في الرواية الجديدة – العربية – الملحق الثقافي – 2012/7/9.

(1) لسان العرب: ابن منظور، مادة سَرَدَ.

(2) المفردات في غريب القرآن: راغب الأصفهاني، .230

(3) لسان العرب، مادة سَرَدَ.

(4) السرد العربي القديم - الوظائف والبنيات، إبراهيم صحراوي، .32

(5) نظرية السرد: مجموعة مؤلفين، ص، 97 كريستيان أنجليت وجان هيرمان، ترجمة: ناجي مصطفى، ط، 1منشورات الحوار، المغرب، 1989م.

(6) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، .54

(7) جماليات التلقي: د. يادكار لطيف الشهرزوري، ص، 45دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، 2010م.

(8) نظرية الرواية: د. عبدالملك مرتاض، ص، 12سلسلة عالم المعرفة، ، 240الكويت، ديسمبر 1998م.

(9) نظرية الرواية: د. عبدالملك مرتاض، ص.110

(10) أساليب السرد في الرواية العربية: صلاح فضل، لم أحصل على نسخة من كتاب الدكتور صلاح فضل أساليب السرد في الرواية العربية فاضطررت لاعتماد قراءة صحفية للكاتب قام بها الأستاذ محمد الحوارني، وهي منشورة على عدد من المواقع الإلكترونية، ولهذا السبب لم أستطع الإشارة إلى أرقام الصفحات التي نقلتُ منها.

(11) تحليل الخطاب السردي: د. عبدالملك مرتاض، ص، 211 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

(12) أساليب السرد في الرواية العربية: صلاح فضل.

(13) أساليب السرد في الرواية العربية: صلاح فضل.

في مديح اللغة

خالد عمر :

أعتقد أني كنتُ متشوقًا للكتابة واللغة - منذ أن كنتُ نقطة ؛ هذا باعتبار أني شيء آخر الآن مثل كلمة أو جملة قصيرة وباعتبارات أخرى كثيرة من الإحساس والشعور المتنامي داخلي اتجاه هذه اللغة ، وأحسبني اليوم بعد كل هذا العمر من الكلمات التي نطقتها وكتبتها مجرد تلميذ يحمل دفتره للأستاذ بعد حصة اللغة العربية ليصحح ما أخطأ . وأنا ابن لسان عربي بالفطرة ، أخبروه أن الكلمة تنقسم لأجزاء : اسم وفعل وحرف ؛ ونسوا إخباره أين موقعه من هذه الأجزاء الثلاثة . فبحثتُ عني فوجدتُني مخبأً في بيت قصيدة ، منسي العجزوبائن البلاغة وواضح مثل قواعد النحو التي طالما تجاوزتُ إشاراتها دون مبالاة في ذلك الوقت ؛ فأخطأتُ في الإعراب كثيرًا ثم خدعت واسترققت قلب الأستاذ ولأن خطي كان حسُنًا نجحتُ في ذلك .

وقتها وجدتُ شخصًا يُحب اللغة ويتعلق بها ؛ شخص ما زال يرافقني حتى اليوم ويقال له مجازًا بكاتب .

في لحظة ارتباك وأنا أفكر في عدد الكلمات التي يجب أن تكون عليها تدوينتي هذه لتوافق رغبة السيد مدير التحرير ، وجدتُ أن ملف الويرد على جهاز الحاسوب يخبرني - ضمنيًا - أن الخمسة أسطر التي كتبتها يساوي ما تحتويه مائة كلمة ، وهي تزداد أثناء تحرك أصابعي على لوحة المفاتيح ؛ فأحسست أن لغتي بخير طالما لدي هذا المقدار من ذاكرة الكلمات التي أكتبها ، وأن كل حصص اللغة العربية التي درستها ما زال أساسها موجود أسفل بنائي الكتابي . ولكن ؛ كيف لملف كلمة صغيرة يمكن أن يحتوي دهشة قاموس كامل من الكلمات ؛ يُدرج في كلمة مثل (لغة) .؟ هل أحتاج تفسيرًا منطقيًا لهذا ؟ أم أن المجاز والتعبير الضمني قد يكفي حاجتي لمعرفة وإجابة وإدراك هكذا أسئلة .؟

إن الأمر مربك في التعبير عنه تمامًا ؛ فليست للفلسفة - بالنسبة لتوجه تفكيري نحوها الآن باعتبارها مفسراً- والتي اطلعت على بعض نماذجها البسيطة أُطروحة أو رأي أقتبسه للإجابة عن سؤال كيان اللغة .. بدايتها ، نموها وتطورها كتجربة شخصية حدثت لي ؛ وليست التعريفات العلمية والنظرية كافية لرغبتي ، ولأن لا مهرب من ذلك طالما أن الأمر منوط بي فسأختار لنفسي ما يناسبها .. لذلك ربما أعود لإسقاط قدرتي على التفكير لحظها للتفكير مرة أخرى ؛ ومن ثَم وضعها في قنينة كلمات بسيطة تخرجني من مأزق الإجابة على الأسئلة المدهشة التي تتمحور حول اللغة لتكون شيء أشبه بعصارة التجريب والمحاولة والتحليل ؛ ثم إلقاء كل ذلك للتيه وأحفظ ما يتبقى لنفسي كمسلمة لبشريتي الخاصة كإحساس مجرد

بشيء يعنيني وحدي أعتبره خلاصة مبدئية ، فأمر اللغة متجدد بعوامل كثيرة يمر بها الإنسان عمرًا ومكاناً وثقافة . إن اللغة لا يقل عن كونها معجزة فريدة شاءت إرادة الله بخلقها للتواصل بين خلقه بسببية وقدرية مخلوقاته وحاجتها لشيء مثلها ، فنمت مثل شجرة تكوّنت لها أصوات متعددة ؛ فروع ممتدة من الرسومات والأشكال وظِل يتحول ويتغيّر مع الوقت ، يصغر ويكبر.

أكثر من عشرة أعوام منذ تلك الأيام ؛ كنتُ في عُمر بين الثانية عشر والسادسة عشر؛ بين نهاية المرحلة الأساسية والثانوية ؛ مراهق يطرز القصيدة - ما كنت أظنها كذلك - على جسد القاموس واللغة والكتابة في محاولاتي الأولى للكتابة ؛ وأنتقي من الجُمل وأبيات الشعر والعبارات أجملها لفظًا وبلاغةً ومحسنات بديعية وكل ذلك لغرض واحد كان يغلب على الجميع حينها وهو مغازلة الفتيات . كنت أُعلِم حصة الأدب بلون مختلف في جدول الحصص المدرسي ، أحسب الأيام في ترقب اليوم الذي ستكون فيه قصيدة لجميل بثينة أو مجنون ليلى هي موضوع الدرس ؛ ويصادف أن أكون حافظًا لها منذ عدة أسابيع . لم تغبْ عن خيالي كل الشروحات التي كان يُدرسنا لها كل أستاذ لمادة الأدب والمطالعة ، ولم تغبْ كل غمزات الأستاذ الذي كان يقوم بها مع حكيه لقصة القصيدة ، كنتُ أحس حينها بأني أعرابي بسيط ، لا يهمه من الدنيا سوى محبوبته ودابته وخيمته الصوفية وسط الصحراء والكلأ لقطيعه من الماعز والإبل التي يملكها .. ولم يتبق لي حينها سوى أن اقفز فوق الدرج لأنادي المحبوبة أو لأنشد الشعر.

من المدهش أن يبقى الأثروبنمو بشكل لا تتوقعه : لا تتخيل أنه سيصير بهذا الشكل ، بهذه الهيأة ؛ تمامًا مثل دهشة أن يكبر ابنك ويطول وأنت لستَ حاضرًا ، ليفاجئك يوم تعود إليه ؛ يسلم عليك كما يسلم الرجال على بعضهم . شيء من هذا المشهد يشبه علاقتي باللغة ؛ أو عكسه تمامًا ! غير قادر على فهم مشاعري اتجاهها. لم أغبْ عنها منذ ولدت ؛ صاحبتها منذ سن صغيرة وهاأنا أراها كفتاة الحي الجميلة ، أكتب وأفكر بها دون تحكم أو فهم تجريدي لها وأعلم أننا بشكل أو بآخر مترابطين بخيوط كثيرة ؛ كترابط الفكرة والتفكير باللغة ذاتها ، لا شيء يفصل بينهما فهما لازمين لكل منهما للآخر. ولا شيء معرف بأل يمكن أن أخبر به نفسي كإجابة ؛ فتبقى اللغة من الأشياء المبهمة والمحسوسة داخليًا أكثر من كونها أشياء مجردة وملموسة تمامًا تشبه الهواء ، له صفات تدل على وجودها كما لها صفات تجعلنا نتساءل أين اللغة .؟

في الصفين السابع والثامن من المرحلة الأساسية ؛ وكل يوم خميس كان أُستاذ اللغة العربية (أُستاذ سلِيّم) يُجلسنا في الحصة المسائية لاختبار يتضمن قسم النحو وقسم البلاغة . يدخل الفصل - كالمتنبي في زمانه ؛ يسلمُ علينا ثم يرمقنا بنظرة ثاقبة متأملة للحضور ليلتفت التفاتته المعتادة نحو السبورة السوداء دون أن يتحدث بصوته مرة أخرى . إذ أنه يتحدث على اللون الأسود الذي أمامه بكل اللون الأبيض

الواضح إلينا في كوننا الصغير الذي نعرفه ؛ يتحدث بلغته الخاصة . كان حسُنَ الخط ، واضح للرسم والكلمات ، لزمن طويل كنت أظن أن أساتذة اللغة العربية الذين يملكون خطًا جميلًا تخرجوا من مدارس الهندسة وكلياتها أو أن لهم علاقة مباشرة بهذا القسم من العلوم .. ثم مع الوقت لتسرب المعاني إليَّ من محيطي واكتسابي لبعض أُسس المعرفة علمتُ أن مثل هذه الأشياء تُعد فنًا؛ لا يضاهيه المهندس مكانةً وقدرةً بتخطيطه ورسمه للإنشاءات الهندسية ؛ إذ أن لكل علم لغته وهندسته وفنه وتميزه . ورويدًا .. رويدًا يبدأ اللون الأسود للسبورة بالتغيُّر؛ يستخدم ألوانًا أخرى مع الأبيض ، وكأن جسد السبورة داخل آلة يُحيكَ عليها ثوباً من اللغة ؛ يستمدُ من ذاكرته كل الدهشة حتى تخيلتُ أن هذه هي وضعية من يريد أن يُحيّك قصيدة ! إذ كل ما مضى الوقت ؛ تنساب الجمل البلاغية والنحوية بسهولة إليه ؛ لم يحدث أن جاء بورقة ينسخ ما عليها إلا مرات معدودة طيلة عامين من الاختبارات ؛ وما حدث أن تشابهت الأسئلة . كان كثيرًا ما يتوقف عن الكتابة ليتجول ، يمشي نحو الباب ؛ يخرج نحو حديقة المدرسة الصغيرة يبدو كمن يبحث عن شيء تائه عنه ، ليعود محملاً بأزهار اللغة والأسئلة التي كانت ليست بعصية علينا كتلاميذ إلا لمن لم يُدرك أن بها الكثير من الجمال والرقة التي يمكنها اعتمال التفكيّر والتأمل والسعادة في إيجاد حلولها . كانت تبدو خطواته وهو يتحرك صغيرةً ، هادئة كما لو أنها جناحيّ فراشة . ومنذ حينها أحببت المشيّ كما خفقان أجنحة فراشة ؛ أحاول أن أشبه اللغة التي أتحدث وأكتب ؛ أحاول أن أكون بمثل هدوئها وجمالها ، أحاول أن أكون بدهشة تحتوي مقدار ما كان يحتويه خيال وذاكرة الأُستاذ في الفصل وهو يعلمنا معنى هذه اللغة وجمالها .. وأحاول أن أحب اللغة بطريقة مستمرة .

رحلة لغوية ممتعة

دهب تلبو :

اللغة تصقل الأرواح وتغسلها لتضميد جراحها التي سبرت غورها دهشة الوجود الأول،فذلك الرهق الذي يتركه الهبوط الجماعي للأشياء يجعلها تسكن تحت جبل من الركود، مثخنة بجراح التساؤل،و بين الدهشة وزوالها خيط رقيق من الوقت المتحرك بتأني يساوي تمامًا حركة شوكة ساعة حائطية كبيرة تقفزبتكاسل من نقطة إلى أخرى لتتوج دقيقة كاملة الثواني ومن ثم تنكث عرشها طالبة تتويج جديد قبل أن يبلى تاجها بمقدار ثانية ، وفي نقطة ما من ذلك الخيط الرتيب يجلس الدواء, ولكن لحين وصول البشارة نظل نرى أن الأشياء كبيرة وعصية المنال، يلفها غشاء سميك من الجهل.
كيف يرى الأطفال العالم قبل أن تطلق ألسنتهم ؟ ، هذا السؤال جوهري ظل عصي على الإجابة، لأن وعينا وُجد متزامنًا مع اللغة. ولكني أجزم بأن الوجود بلا لغة لا يعني سوى البؤس والضياع الأبدي.

واللغة كميزة يتفرد بها البشر في عالمنا المحسوس تظل علامةً فارقةً، ونقطةً تستحق الوقوف ، وقد كان الإنسان واعي بهذه الفضيلة للدرجة التي جعلت علماء الاجتماع يفسحون لها مساحةً في مجال أبحاثهم الضاج بالتفاصيل ؛ يقول أبن خلدون في مقدمته : ((ميَّزالله الإنسان عن سائر الحيوانات بالفكر،الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على الكائنات وشرفه. فالحيوانات تشعربما هو خارج عن ذاتها، بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة: السمع والبصروالشم والذوق واللمس. ويزيد الإنسان من بينها أنه يدرك الخارج عن ذاته، الفكر الذي وراء حسه، وذلك بقوى جعلت له في بطون دماغه، ينتزع بها صور المحسوسات، ويجول بذهنه فيها 1)) هنا يبرز ابن خلدون ميزة التفكروالتدبروالتي هي بفضل امتلاك الإنسان للغة.
غالبًا ما يجري الحديث عن اللغة الأم شجونًا وذكريات غائرة في أعماق النفس، لأن اللغة الأم هي كاميراتنا الأولى التي صورنا بها عالمنا الذي ما فتئنا نكتشف تفاصيله يومًا بعد يوم منذ وصولنا الأول؛ أعني : عندما يولد الإنسان يظل العالم أمامه طلسم غامض لا تفك تعقيداته إلا اللغة التي يجاهد في أن يقتحم عالمها الخاص. لا أدري ؛ ولكن هناك شيء ما يخص اللغة التي تعرفنا بها على العالم لأول مرة، شيء يظل مفقودًا في أي لغةٍ أخرى نتعلمها ؛ حتى ولو وصلنا لدرجة الموسوعية في تلك اللغة الثانية، ذلك الشيء الغامض يربض تحت وعينا الحسي في كل مرة نشيرفيها للأشياء، قد تكون دهشتنا الأولى باكتشافها، أو

حميمية اللقاء الأول بها، أو إسقاط الاسم على الشكل -عند معرفتنا الأولى أيضًا : مهما كان يظل شيئًا مميزًا

يزعم علماء اللغة النفسية (Psycholinguistics) أن اللغة هي المفتاح لمعرفة عقل الإنسان وهي الاختلاف الجوهري - بحسب رأيهم- الذي يميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية الأخرى (2) ، وهو قول يبين فضيلة المَلَكة الكلامية الناتجة عن معرفة الإنسان للغة ، كما أن اللغة هي وسيلة الإنسان للتواصل، فهي أيضا مصدر إلهامه للرؤى، والأفكار؛ بل تتجاوز اللغة الإنسان في تكوينه الفردي لتمثل الحضارة البشرية فلا أحد يستطيع تخيل حال الكرة الأرضية وهي بلا ذاكرة !

حسنا لندع مطاردة الأخيلة جانبًا ونعود إلى مسار الحديث؛ لنؤكد أن علاقة البشر بلغاتهم الأم هي علاقة شاعرية، وخاصة ، تكاد تكون من الأشياء القليلة التي لا يستطيعون التعبير عن شعورهم إزاءها، فهي مميزة للدرجة التي تجعلها عصيةً على الكلمات؛ وكم من طبيب عجز عن تطبيب نفسه!، ولو أننا سألنا أحدهم عن بداية علاقته بلغته الأم، لألقى علينا نظرةً مفادها، وهل يسأل أحدهم عن تاريخ معرفته بأمه ! ، وذلك بالضبط هو جوابي فيما يخص علاقتي باللغة العربية؛ فعندما عرفت الحياة لم أعرف اللغة العربية؛ ولكني عرفت لغة الحياة. والتي بدورها صارت فيما بعد "اللغة العربية" إذًا هي علاقة، قدرية/أزلية، وذلك بالضبط ما يجعلها مميزة على الدوام كما أسلفت.

وكأي لغة أم لا أستطيع توقيت بداية العلاقة ولكن أقدم ذكرى واعية لي مع تعلم اللغة العربية هي ترانيم سجع الحروف الأبجدية، تلك الصيغة المحلية بالتمام. كنت حينها في الثالثة أو الرابعة من العمر؛ وكأني أراني جالس في حجر أحد إخوتي الكبار بساحة القراءة في مسيد تعليم القران الكريم، والترنيمة تأتيني مسجوعة وممموسقة بأصوات جديدة، وبإمكاني الآن القول أن ما جعل تلك الترنيمة مميزة عن غيرها من أصوات طلاب القرآن المتصايحة بشتى السور؛ هو أني وجدت نفسي واعيًا كليًا بمفرداتها، وبحكم ترددي على المسيد من حين إلى آخر رفقة إخوتي الكبار، وجدتني أحفظ الكثير من حروف الأبجدية العربية في نسختها المحلية،وتلك هي الجريرة التي جعلت من المواظبة على الذهاب إلى هناك يوميًا أمرًا إجباريًا بعد شهور قليلة من تاريخ ذلك الاكتشاف.

" أليف واقفة، نون مرمية، واو ضنب الكلب، ياء عريجة" كانت هذه هي تلميحات الحروف عند بداية التدوين في اللوح الخشبي، فبعد اجتياز امتحان النطق الشفوي للحروف العربية، ينتقل الطالب إلى تدوينها على لوح خشبي لجعل الأمر أكثر جدوى ، وكأي طالب جديد بعد تخطي التمرين الصوتي والكتابي، انتقلت إلى معرفة التشكيل، فكانت هناك صيغة عامة لبيان تغيير التشكيل على الحروف اسمها " باء

نصـب" وسُـميت بهذا الاسـم "الغريب" لأن النصـب هو فاتحة التشـكيل، وأيضًـا أثر التنوين يكون أكثر وضوحًا الحروف الثابتة، لذلك تبدأ القاعدة من حرف الباء.

"با ؛ بي؛ بو ، بلا

تا ؛ تي، تو، تلا"

إذا هي قاعدة تبين - بالحرف الزائد- أثر حركة النصـب والكسـروالضـم والربط بالأم والألف؛ على حرف الباء، وبحسـب الرواية المحلية تقرأ هكذا "" باء نصـب جابت أليف، بي خفض جابت ياء، بو رفع جابت واو، وإذ تقدمت لام أليف فهكذا......الخ "

رويدًا رويدًا تعرفت على التنوين، ثم غرائب الكلمات العربية " حينئذ، أولئك...." حدث كل ذلك ولمّا ابلغ الخامسـة بعد! ، الجدير بالذكر هو أني أول ما دخلت عوالم اللغة العربية، دخلتها من باب رسـم الإمام ورش أبو سـعيد عثمان بن سـعيد (3) ، وهي تجربة تحوي كثير من الاختلافات الشـكلية في الأحرف ووضـع الهمزة – القاف تنقّط بنقطة فوقية واحدة، والفاء بنقطة تحتية، النون عندما تكون في أخر الكلمة لا تنقّط...- والسـبب في ذلك لأني عرفت درب العربية قبل أن اعرف طريق التعليم الرسـمي. معظم دول إفريقيا تفضل تعلم القرآن – وبالتالي اللغة العربية- على طريقة الإمام ورش.
عندما كنت في الخامسـة من العمر وجدت نفسـي بين معمعة لغوية طويلة- قل يا أيها الكافرون - زُججت فيها زجًا بواسـطة والدي الذي كان محبًا حد الوله للعلوم الإسـلامية التي يطمح أن يراني بارعًا فيها، كان شـيخ الخلوة القرآنية ينتهج منهجًا تعليميًا دقيقًا جدًا، حيث أنه يعلم صـبيته أولًا الأبجدية العربية بطريقة محلية ابتكرها الرواد الأوائل للتعليم الديني بغرض توطين اللغة العربية في بلاد السـودان، تلك الطريقة التي تتوخى الدقة في أن تجعل طلابها يخرجون الحروف العربية من مخارجها، جعلتني حاذقًا بما يكفي لتخطي قصار السـور القرآنية بسـرعة البرق،وقد عشـت أحاسـيس خاصـة جدًا وأنا أجاهد تكوين صور محسوسة لغرائب الكلمات التي كانت تنزل علي تترى كلما انكببت على اللوح الخشبي الصغير.
حسـنا يمكننا اعتبار هذا التقديم مدخلًا للحديث عن علاقة لغوية وطيدة، أو لنسـمها "رحلة لغوية ممتعة" فالعربية كلغة عريقة تتمتع بذخيرة خرافية من المفردات وتراث ثري من التصـورات الأدبية، بل أنماط متباينة عديدة ،وبالطبع ذلك يجعل سـبل التعبير متاحة بسـخاء لمتحدثيها، ومن أجل ذلك جاءت البحور اللغوية، فهي من اللغات التي تتوفر فيها الأوزان الموسـيقية بألفاظها، ففي العربية هناك قوالب لفظية لها نغمات موسـيقية ثابتة، مثل القالب الدال على الفاعلية من الأفعال الثلاثية، (فعل، يفعل،

فعّال)، وبذلك يسـهل البناء والتحليل اللفظي، وحتى التتبع، هذا من جانب اللفظ، أما من جانب الخيال والترجمة، فما يميز العربية، هو تعدد مترادفاتها لتسمية الأشياء، والتدرج في وصف الظواهر، وهذا يجعل الخيال الخصب حرًا يستطيع ترجمة جولاته كما يراها العقل، - مهلا بإمكانك أن تكتشف سرًا هنا هو سر عشقي للغة العربية - ، فالتكرار في الوصف أجده أمرًا باعثًا للاكتئاب، بل منفرًا.

فأول ما عشـقته في اللغة العربية، هو الشـعر لأنه يعطيك أنماطًا جديدة على الدوام، عطفًا على جاذبيته الوصـفية الدقيقة، وعندما اكتشـفت علم النحو لاحقًا – من الصـف السـادس الابتدائي – وجدته خير معين ، لاسـيما في التكهن بمعاني الكلمات الجديدة، وتنظيم الكلام عندما يتعلق الأمر بصـياغة الأفكار، فلم أجد مطلقًا صـعوبة في حفظ الشـعر، لطالما قد فهمت القواعد النحوية التي بني بها البيت الشـعري، وبذلك كنت احتفظ بصيغ تعبير قصيرة، هي مقتطفات من قصائد شعرية، ولعل ذلك هو ما جعل ذخيرتي اللغوية في تضخم دائم، ونهم المطالعة لمّا يفترقط.

فمن كتاب مهترئ وجدته في الركن الشـمالي الشـرقي لرف الكتب الذي يخص أخي الأكبر، قرأت المعلقات السبعة، وبعض القصائد الخالدة، كان ذلك الكتاب هو "المنتخب في أدب العرب " كنت أجلس الساعات الطوال وأنا أهيم مع عنترة في جولاته الدامية، أتتبع أثر رحلات صيد امرؤ القيس، ثم أشاهد صدق الحب بين ثنايا قصائد ابن الملوح؛ وقليلًا عرفت دروب أخرى من اللغة، " مقالات، كتب قصص، سير، ومن كتب القصص الأسطوري الذي ترك أثرًا لن يمحى على مخيلتي كتاب سيف ابن ذي يزن ملك اليمن، فالكتاب يحوي متن لغوي متماسك، وتصوير دقيق للمشاهد الكثيفة التي تحويها القصة، والتي هي قصة خلق برواية أخرى.

عندما دخلت المرحلة الثانوية بت أنتظر "علي" بائع الكتب لأسـلمه ما ادخره من مصـروفي اليومي لقاء كتاب قصصي جديد - بعد إعادة القديم- كل أسبوع.

لسـت بارعًا في التعبير عن العلاقات الخاصـة، لاسـيما إن كان التعبير من جنس العشـق!؛ ولكن يمكنني الزعم بأن عشـق القراءة سـره عشـق اللغة، وأظن أنه من نافلة القول أن اللغة هي مفتاح الكتابة الإبداعية.

---

(1) مقدمة ابن خالدون، ج3، ص108

(2) النظريات اللغوية والنفسية العصيلي ص73

(3) الإمام ورش(ابحث بالاسم في ويكيبيديا)

لغة الحلم و القصص

يوسف أزروال :

في بلد فرنكفوني كالمملكة المغربية، تبدو اللغة العربية ليست مفضلة لدى الجميع، خصوصًا و إن كان الأمر متعلقًا بتنشئة طفل، حيث يتم الاعتماد بشكل كبير على لغات أجنبية كالفرنسية أو الإسبانية أو حتى الإنجليزية، غالبًا لكي يحجز الأهل مستقبلًا أفضل لأولادهم، الأمر الذي لم يكن من أولويات والدي، ربما لأنهما كانا قدريان، و يتركان كل شيء لمشيئة الله، أو ربما لأنهما كانا يواجهان مشاكل أكثر جدية من مستقبل طفلهما الأخير.

لكن الأكيد هو أن والدي رحمه الله كان مولعًا بالسلف الصالح و أخبارهم و كتبهم، فكنت دائمًا أراه يتخذ من زاوية حجرة خالية هادئة ملجئًا له و لأفكاره، يقرأ فيها كتب الحسن اليوسي، أو مقدمة ابن خلدون أو سير السلف الصالح، كانت تلك أولى الأشياء التي أثارت فضولي جدًا، ما الذي يهم والدي في تلك الأوراق المجمعة في إطار واحد؟ لم يمض وقت طويل على ذلك حتى كان أبي قد لاحظ مراقبتي له و كيف أن عيني طفله مليئة بالأسئلة، فما كان له إلا أن بدأ في مشاركتي عالمه السحري، بأن ابتاع لي قصتين صغيرتين مصورتين، الأولى بالعربية و الثانية بالفرنسية، كل واحدة منهما جعلتني أدمن الكتب و أبحث عن القصص في كل مكان، ذلك السفر لعالم عجيب مليء بالمغامرات، لغة واحدة كانت تمنحني ذلك العالم بكل الألوان، كانت العربية، ربما لأنها لغة كثر تماسي بها، من الشارع إلى التلفاز، أو ربما لأن لها رونقًا خاصًا، طعمًا خاصًا لذيذًا يغري بتذوقه أكثر.. لا أدري حقًا.

أغرمت بكل القصص التي قرأتها، من جحا وشعيب إلى مغامرات الأميرات و الأمراء و قصص العفاريت و الخضر التي تكلمت.. كلها جعلتني أمتلئ برغبة كبيرة في أن أبني عالمًا مماثلًا لما قرأت، عالمًا به الكثير من المغامرات و القصص العجيبة، فكانت قصتي الأولى عندما لم يتجاوز عمري السابعة بلغة عربية ركيكة جدًا، بالكاد أكتب الكلمات بشكل صحيح، وهكذا، بدأت أكتب و أكتب و أكتب و تشعبت علاقتي باللغة العربية لتتطور إلى لغة للتعبير عن الذات، حينما بدأت أكتب يومياتي الخاصة في دفتر اليوميات، بعد كل يوم مدرسة كنت أعود لأحكي لأوراقي كل شيء، و مع كل صفحة كانت مهارتي في الكتابة تتطور قليلًا، إلى أن أصبحت جيدة لأكتب أول مسرحية في المرحلة الإعدادية، كانت بالفصحى و هو الأمر الذي جعل أستاذ اللغة العربية فخورًا بي، كما كنت فخوراً بنفسي، لكن هذه العلاقة الجميلة سرعان ما تدهورت بعد أن أصبح المسار الدراسي لا يحتمل أن أتجاهل الفرنسية أكثر مما فعلت، فعلى عكس العربية، كانت الفرنسية بالنسبة لي لغة احتلال حقيقي، فلم أستسغها يومًا و لم أشعر بأي انتماء لها، كانت كشبح

يطاردني في كل مكان، وكل ما حاولت الفرار منه، أصـــبح أكثر قوة، فلم يمض وقت طويل حتى أجبرت على الدخول في ما أســميته مرحلة الجفاء، تلك المرحلة التي حاولت أن "أتفرنس" فيها قدر المســتطاع، لكنني فشلت في أن أحول الفرنسية للغة تحكي عن ذاتي، ناهيك عن إتقانها بالشكل التام.
بين الفينة و الأخرى كنت أعود لزيارة عـالمي القديم، لكن الخيبة غـالبًا ما كنت ترد لعـالمي الفرنكفوني، لم أكن معجبًا بالروايات المغربية، ورغم أن روايات أجاثا كريستي تبدو ممتعة، لكنها لم تأسرني أبداً، حتى جاء ذاك اليوم الذي ابتعت فيه رواية الشــيخ و البحر، و التي جعلتني أعاود النظر في القطيعة مع اللغة العربية، خصوصًا و أن علاقتي بالفرنسية لم تثمر عن أي شيء ذي أهمية، لكن رغم أنني أحببت الشيخ و البحر، و أحببت عـالم إرنســت همنجواي، لكنه لم يكن كافياً ليردني للكتابة مجددًا لكنه كان كافيًا ليجعلني أتســكع في أروقة المكتبات، بحثًا عن ذلك الموعد المبهم، في مرحلة الدراســة الجامعية، اتجهت بشكل كبير نحو الإنجليزية و صرت متقناً لها أكثر من الفرنسية و حصلت على علامات كاملة في كل امتحان خاص بها، حتى أنني عدت لكتابة يومياتي بها، لكنها لم تكن تحمل نفس الرونق القديم، فتوقفت عن ذلك بعد أشهر قليلة، قبيل أن أجد الكتاب الذي جعلني أعود للكتابة بلغة الضاد.
أذكر أنه كان يومًا ممطرًا، تتوزع صــور الســماء الزرقاء على برك الماء في شــارع مرصــف بحجيرات غير مســتوية، بعد الفصــل الدراســي الصــباحي مررت نحو المدينة القديمة، في الطريق المؤدي نحو الســوق، يوجد سوق الذهايبية، أو بائعي الذهب، حيث واجهات المحلات الزجاجية تلمع باللون الأصفر تحت ضوء الشــمس، على الجانب الأيمن طريق مؤدي للســاحة العامة لســوق ســيدي عبد الوهاب، على نهاية ذاك الزقاق المفتوح على الســاحة، توجد مكتبة تبدو قديمة، لكن الحركة فيها جيدة، و خصــوصًــا رفوف الروايات، حيث تفرغ بســرعة، في ذلك اليوم احترت أي الروايات أشــتري، فلا أريد أن أضــع مالي القليل في كتاب مخيب للأمل (كالعادة)، فـاخترت بدون أي خطة مســبقة رواية بعنوان عجيب، وكانت عزازيل للكاتب المصــري يوســف زيدان، لم أكن أتوقع أن تكون تلك الرواية بذلك الجمال و القوة التي قد تجعلني أعود للقراءة بوتيرة أقوى، لا بل العودة للكتابة مجددًا، كانت تلك العبارة هي مفتاح العودة للكتابة، للبيت القديم، لذاتي الأصلية في التعبير..
"أكتب يا هيبا، فمن يكتب لا يموت أبداً"

فقررت أن أكتب، لكي أعيش إلى الأبد.

اللغة العربية بين الأصالة و الحداثة

عبير عواد :

اللغة التي يتحدث بها أكثر من 422 مليون نسمة ، منهم سكان أكثر من دولة غير عربية مثل تركيا و تشاد و السنغال و أثيوبيا ومالي ، لها تأثير بالغ في العديد من اللغات الأخرى ، مثل اللغة التركية و الفارسية و الأردوية و الماليزية و الأندونيسية و الأمازيغية و الأسبانية و البرتغالية و المالطية و غيرها من اللغات ، هي ضمن اللغات الست الرسمية بمنظمة الأمم المتحدة و نحتفل بذكرى انضمامها في يومها العالمي 18 ديسمبر من كل عام.

عندما بدأت في كتابة المقال كان لدي تصورًا واحدًا.. كيف تتطور لغتنا العربية؟!

لا أقول أنها لغة جامدة, و لا أتفق مع من يرونها لغة ميتة, أو في طريقها للاندثار.. فهي ككل اللغات تطورت ما بين الشكل التقليدي الموروث, وشكلها الحديث بعامية النطق و الكتابة . كيف أكتب إذًا عن اللغة العربية بمنظور مختلف؟؟

لا بحس العاطفة أو من منطلق الرفض.. ليس لأنها لغتي الأم, أو لأنها لغة كتابي المقدس. كيف يتم هذا؟ بالخروج من الإطار النمطي المعتاد, فعندما تُذكر اللغة العربية يقفز إلى الأذهان أنها لغة القرآن الكريم, أو أنها لغة الضاد..

أولاً: لغة القرآن الكريم

" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" الآية 2 سورة يوسف

فلنُنَحِ أمر التقديس قليلًا عن اللغة, و لو زُهّاء الوقت الذي تستغرقونه بقراءة المقال..

لأننا إذا نظرنا للعربية فقط على أنها لغة مقدسة فربما ننفي عنها الحاجة المستمرة للتطوير و التحديث, فسُنة الحياة هي التطور.. و لكن! هل نستطيع تطوير المقدس؟!

تعالوا ننهج أسلوبًا علميًا في تحليل اللغة العربية و إخضاعها للبحث و تجارب العلماء كما قال الدكتور طه حسين في كتابه الشهير "في الأدب الجاهلي" و الذي صدر قبل ذلك بعنوان "في الشعر الجاهلي".

بين الأصالة

و هذا يعني العودة لأصل و تاريخ نشأة اللغة نفسها و تطورها كلغة سكان شبه الجزيرة العربية, و هذا يسبق القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم الأصلية لعلهم يعقلون كما يتضح من الآية.

و بين الحداثة

والتي تعني الحضـــور أو الراهنية, أي أنها حركة الحدوث بما يعني التحديث والعصـــرنة بما يوافق روح العصر من الطرق, والآراء, والمذاهب.

فلنكتفي بالقول: هي لغة القرآن, لكنها لم تعُد حكرًا على القرآن ككتاب مقدس, خاصـــة وأنه على جانب آخر, فإن المسيحيين بالشرق يؤدون شعائرهم أيضًا باللغة العربية وليس الآرامية لغة المسيح, وأناجيلهم مكتوبة بالعربية, يقرءونها ويتلونها بالعربية؛ كما كتبت بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى.

" لله المجد في الأعالي , وعلى\ الأرض السلام, وبالناس المسّرة" عنوان ترنيمة من وحي (إنجيل لوقا 2: 14)

ثانياً: لغة الضاد

وقد تم تسـمية بهذا الاسـم من قِبَل العرب حيث أن حرف الضـاد غير موجود في أي لغة أخرى غير اللغة العربية ، والكثيرون يعتقدون بأن الضـاد المقصـودة هنا هي الضـاد التي تنطق كدال مفخمة ، ولكن في الحقيقة الضـاد العربية القديمة المقصـودة هي التي تنطق بمزيج من حرف الظاء واللام ولأن الظاء ينطق ذال مفخمة تم تحويلها لاحقًا إلى دال مفخمة فأصبحت الدال المفخمة هي الضاد الحديثة التي تستخدم حاليًا ولكن هذه الضـــاد نجدها في لغات كثيرة بعكس الضـــاد العربية القديمة التي تحدث عنها المتنبي في شعره القائل

وبِهِمْ فَخرُكلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّادَ   وعَوْذُ الجَانِي وغَوْثُ الطَّرِيدِ

وبُناء على ما سبق فلتكن نظرتنا للّغة العربية مجردة بعيدًا عن كلاهما.

حتى لا نظلم اللغة العربية كوننا لا نخرج بها من إطار التقديس أو التمييز بالحرف الذي يختلط على الكثيرين!

فقصر اللغة العربية على هذين العنصرين يضعها في قالب جامد ولا يمنحها الفرصة للخروج عنه..

اعتدت في البحث.. العودة قدر ما استطعت للأصول, ثم التطرق شيئًا فشيئًا لما أريد الوصول إليه..

فلنرتحل معًا للماضي السحيق لنتعرف على أصل هذه اللغة. ثم نستكمل الرحلة إلى وقتنا هذا..

دعوني فقط أستعير كلمات عميد الأدب العربي في كتابه "في الأدب الجاهلي" عندما تطرق إلى تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى عصور وقال: "إن هذا مجرد عناية بالقشور بين انقسام العرب إلى بائدة وباقية وعاربة ومستعربة, ما بين أولئك من جرهم وبين ولد إسـماعيل, وبين امرؤ القيس وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم, وما نُسِب إليهم من أشعار, وما بين تقسيم الأدب بين نثر وشعر والنثر إلى مرسل ومسجوع, وهل هناك شعر جاهلي, وإذا كان موجودًا فكيف السبيل إلى التحقق منه"..

لأقول إن البحث في تاريخ وتطور اللغة العربية و الجزم بنتيجة ما ليس إلا ضربًا من الهراء, فلا نملك الكثير من الأدلة و الأسانيد التي تؤكد كل ما نطرح بشأن اللغة و تاريخها و أصول نشأتها.. ولكننا سنذكر بعضًا مما انتهى إليه علماء اللغة حتى الآن إلى أن يظهر ما يغُبّ هذا أو يؤكده تأكيدًا تامًا..

كيف نشأت اللغة العربية وكيف تطورت؟

تاريخ اللغة العربية :

اختلف المؤرخون حول أصل اللغة العربية ، فالبعض يعتبرها أقدم من وجود العرب أنفسهم، حيث أنهم رجحوا بأنها لغة آدم عليه السلام في الجنة، أو أن أول من تكلم العربية هم قبيلة يعرب بن قحطان ، أو أن إسماعيل عليه السلام هو أول من نطق بها، ولكن لا توجد أي براهين تثبت أيًا من هذه الأقاويل ، لأن قبيلة يعرب بن قحطان يفترض بأنها كانت تتحدث عربية أخرى لها قواعد مختلفة عن اللغة العربية الأصلية ، وقد تم العثور على أماكن في شمال شبه الجزيرة العربية يوجد عليها كتابات قديمة بعدة لغات متباينة و مختلفة عن اللغة العربية التي وردت في القرآن الكريم أو في الشعر الجاهلي ، ولذلك تم اعتبار لغة القرآن الكريم هي أصل اللغة العربية على الرغم من أن هذه اللغات أقدم من لغة القرآن الكريم .
و في آراء أخرى تقول بأن اللهجة العربية طورت في مملكة كندة في القرن السادس الميلادي بعد اهتمام الملوك بالشعراء الذين أصبحوا يتنافسون فيما بينهم مما أدى إلى توحيد اللهجة الشعرية ، و هؤلاء الشعراء هم أقدم من قوم قريش، الذين اعتبرهم البعض أول من تحدث العربية, و هناك بعض المستشرقين الذين أيدوا هذا الرأي و أطلقوا على هذه اللغة وقتها باللغة العالية ، أي اللغة الشعرية الخاصة باللهجات المحلية حيث وجدوها لغة رفيعة تظهر مدى ثقافة الشاعر أمام الملك ، وعلى الرغم من هذا الرأي إلا أنه كان الرأي السائد هو اعتبار اللغة العربية هي لغة قريش خاصة أن الشعر الجاهلي تم تدوينه فعليا بعد الإسلام و لا يوجد أي نسخ أصلية أو قصائد جاهلية يحدد بها التاريخ الدقيق لها .

أما بداية ظهور الشعر العربي في الجاهلية فكثير من العلماء العرب القدامى يحددها زمنيا بمائة و ستين عاما قبل مجيء الإسلام . يربطون ذلك بالشاعرين العربيين المهلهل بن ربيعة و امرئ القيس بن حجر و استقراء أقوال العلماء العرب القدامى ينبئنا بوضوح بوجود لغة عربية, و لغة عربية محضة و هي لغة الشعر الجاهلي, و القرآن الكريم, و عربية قحطان وحجر, و هي عربية أهل اليمن , و الشعر الجاهلي –كما هو معروف– يعد أقدم وثيقة وصلت إلينا حتى اليوم تقدم لنا صورة متكاملة للغة العربية المحضة , أي

اللغة العربية الفصحى . وهذا يعني أن تشكل اللغة العربية الفصحى قد حدث قبل ذلك بزمن , إلا أنه لم يتم العثور على وثائق مكتوبة كافٍ لإصدار حكمًا جازمًا بهذا الشأن.

والمتتبع للدراسات اللغوية المقارنة يجد أن العلماء المختصين تأكد لهم أنها تضم عناصر لغوية قديمة لا توجد في غيرها من لغات جزيرة العرب القديمة, يرجح أنها ترجع إلى اللغة السامية الأم.

كما أن العثور على نقشي أم الجمال ونقش النمارة, ونقش زبد, ونقش حران التي كتبت بلغة عربية صريحة تخالطها بعض الظواهر اللغوية النبطية الآرامية, ونقش قرية ذات كاهل عاصمة مملكة كندة في وادي الدواسر, الذي كتب أيضا بلغة عربية صريحة وأدبية إلى حد ما تخالطها بعض الظواهر اللغوية لنقوش اليمن القديم, وبدراستها دراسة فاحصة أكدت للمختصين أن اللغة العربية الفصحى كانت في القرن الثالث الميلادي قد تكونت تقريبا , وكانت قد عرفتها مكة وما جاورها, وانتشرت إلى قرية ذات كاهل, وربما وصلت إلى الحيرة في العراق, وإلى بعض مناطق سوريا , لاسيما المناطق التي أقامت فيها قبائل عربية من شبه الجزيرة العربية , وقوافل التجارة القادمة من مكة.

فاللغة العربية الفصحى إذن لم تكن لغة قريش وحدها, ولا لغة قبيلة أخرى بل أنها لغة انتظمت أحسن ما في لهجات القبائل العربية, كما ورثت بقايا اللهجات الثمودية واللحيانية والصفوية, واشتملت على مادة غزيرة من عربية أهل اليمن.

تصنيف اللغة العربية :

هي واحدة من اللغات السامية الوسطى والتي تتفرع من مجموعة اللغات الأفريقية الأسيوية، وهي فرعان:

لغة الجنوب ولغة الشمال وهما تختلفان اختلافا ملموسا فالعربية الجنوبية القديمة تضم اللغة السبئية والقتبانية والحضرمية والمعينية ، أما العربية الشمالية القديمة فتضم الحسائية والصفائية والحيانية والديدانية والثمودية والتيمائية ، وقد كان العرب في الجنوب يستخدمون حرف النون كأداة للتعريف وكانوا يضعونه في آخر الكلمة ، أما العرب في الشمال فقد كانوا يستخدمون حرف الهاء كأداة تعريفية, أما لغة الفصحى وهي المضرية فتستعمل "أل" للتعريف, وقد كانت لغة الجنوب اليمنية أكثر اتصالًا باللغة الحبشية والأكادية أما لغة الحجاز فأكثر اتصالًا باللغة العبرية والنبطية, وقد ذهب بعض العلماء إلى أن لغة الجنوب أصل من أصول العدنانية.

تم تصنيف اللغة العربية إلى ثلاثة أصناف رئيسية وهي العربية التقليدية ، والعربية الرسمية ، والعربية المنطوقة بالعامية ، وتعتبر العربية التقليدية هي التي ورد شكلها حرفيا بنصوص القرآن الكريم ولذلك تم تسميتها أيضا بالعربية القرآنية وتستخدم فقط في المؤسسات الدينية وفي التعليم في بعض الأحيان ، أما اللغة الرسمية وهي التي تستخدم في الوطن العربي بالأدب وفي المؤسسات الأخرى الغيردينية ، أما اللغة العامية التي يتحدث بها غالبية العرب بلهجاتهم الخاصة وتختلف من منطقة إلى أخرى

بحسب معهد الصيف العالمي للغويات S I L International، فإن لهجات العربية يمكن تقسيمها حسب الأماكن الجغرافية إلى:

- لهجات شبه الجزيرة العربية، منها: الخليجية والعمانية والحجازية والنجدية والبحرينية والظفارية و اليمنية والعراقية
- لهجات بلاد الشام، وتتفرع منها: اللهجات السورية واللبنانية والأردنية واللهجات الفلسطينية واللهجة القبرصية.
- اللهجة المصرية تتفرع منها بضعة لهجات مثل اللهجة الصعيدية، اللهجة الإسكندرانية، واللهجة القاهرية.
- اللهجة السودانية: يتحدث بها سكان السودان، وتتفرع منها عدة لكنات، نظراً لمساحة البلاد الشاسعة ولوجود عدد من

المجموعات العرقية والقبائل المختلفة فيها، والتي تختلف طريقة لفظ كل منها لمخارج الحروف.

- اللهجة التشادية
- اللهجات المغاربية، وتتفرع منها: اللهجة الحسانية، اللغة المالطية، اللهجة الجزائرية، التونسية، الليبية، المغربية، الصقلية، واللهجة الأندلسية؛ تأثرت هذه اللهجات باللغة الأمازيغية وباللغة الفرنسية عبر العصور.

الكتابة العربية

لم توضع الحروف العربية وضعًا ولكنها تولدت بتنوع الحرف النبطي الذي كان شائعًا في شمالي جزيرة العرب قبل الإسلام فتكونت حلقات ثلاثة لسلسلة الخط العربي:

أولهم الخط المصري القديم بأنواعه الثلاث (الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي)

وثانيها الخط الفينيقي

وثالثها الخط المسند وهو عدة أنواع منها (الخط الصفوي.. والثمودي.. واللحياني.. والسبئي او الحميري) ومن المسند تفرع الخط الكندي والنبطي ومن النبطي تفرع الخط (الحيري والأنباري) ومنه الخط الحجازي (وهو النسخي العربي) وأما الخط الكوفي فهو نتيجة هندسة ونظام الخط الحجازي

مراحل تطور اللغة العربية :

بعد الفتوحات الإسلامية انتشرت اللغة العربية بشكل كبير وتأثرت بها الكثير من الشعوب وخاصة بعد اعتناق أهلها للإسلام وكان هذا له أثرًا كبيرًا في انتشار اللغة العربية في تلك الفترة ، وكانت اللغة العربية في أوج ازدهارها لأنها كانت لغة العلم والأدب في ظل الخلافة العباسية والأموية، ومع الوقت أصبحت اللغة العربية هي لغة الشعائر السائدة مثل الشعائر المسيحية في الوطن العربي وفي كنائس الروم الأرثوذكس والكاثوليك والسريان، وأيضا الديانة اليهودية التي كُتِبت الكثير من أعمالها الدينية والفكرية باللغة العربية .

وفي العصر الذهبي للعربية، تم تأليف العديد من الكتب والمخطوطات باللغة العربية في جميع المجالات العلمية والثقافية، كما تأثرت بها العديد من اللغات الأجنبية الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية و الإسبانية والإيطالية والألمانية.

بعد الاجتياح المغولي بقيادة هولاكو خان كانت اللغة العربية في أسوأ حالاتها وأصابها الركود بسبب التدميرات وتخريب الثقافة والحضارة العربية ، أما في العصر المملوكي لم يهتم العرب بتطوير اللغة و العلوم.

وبسقوط الأندلس فقدت العربية مكانتها لصالح اللغات والحضارة الأوروبية التي نقلت كل ما تمكنت من نقله الحضارة الأندلسية..

أما في فترة الفتوحات العثمانية أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية الثانية في عهد الدولة العثمانية، ولكنها سرعان ما فقدت مكانتها مع بداية القرن السادس عشر فأصبحت لغة الدين الإسلامي فقط في الدولة العثمانية.

انتعشت العربية في أواخر القرن التاسع عشر بعد النهضة الثقافية التي شهدتها بلاد الشام ومصر لازدياد أعداد المثقفين والمتعلمين في هذه الفترة ونُشرت الصحف الحديثة باللغة العربية لأول مرة، وأقيمت العديد من الجمعيات الأدبية مما أدى إلى إعادة إحياء اللغة العربية الفصحى من جديد، ولعل من أشهر الأدباء الذين ساهموا في إثراء اللغة العربية في تلك الفترة ، أمير الشعراء أحمد شوقي والشيخ ناصيف البازجي وبطرس السبتاني وشعراء المهجر مثل أمين الريحاني, جبران خليل جبران ، وقد ظهرت على يد

هؤلاء القواميس و المعاجم العربية الحديثة مثل قاموس محيط المحيط و دائرة المعارف و التي لا تزال بعضها إلى الآن تستخدم ، كما تأسست الصحافة العربية التي كان لها دور كبير في إحياء الفكر العربي ، و لكن اقتصر هذا على الأدب فقط لا المجال العلمي ففي أواخر القرن العشرين، أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللغة المنتشرة في غالبة الدول حتى بالدول العربية خاصةً بعدما أصبحت اللغة الأساسية في التعاملات و الرسائل التجارية و العلمية .

اللغة العربية و الحداثة.. لماذا؟؟

بداية دعونا نتفق أن هناك نوعان من تطور أي لغة من حيث الإضافة إلى قواعدها, أو ترجمة المصطلحات العلمية و السياسية و الاجتماعية التي تظهر بين وقت و آخر عالميًا و إضافتها لقاموس اللغة, و النوع الثاني من التطور و الذي يعني أن يقوم أديب أو شاعر بابتكار و خلق ألفاظًا مستحدثة, أو كلمات و أسماء تصبح مع الوقت من ضمن مفردات اللغة التي يكتب بها.. و تحضرني هنا قصة اثنين من كبار الأدباء الإنجليز العالم..

أولهما هو الأديب تشارلز ديكنز, و الذي ابتكر شخصية باسم العم سكروج Uncle Scrooge في روايته ترنيمة عيد الميلاد Christmas Carol و التي أصبحت لفظة تصف البخل, لأن العم سكروج كان بخيلًا بشدة, و تلك الشخصية أصبحت لقبًا للبطة دهب أو Uncle Scrooge Mc Duck كشخصية من شخصيات ديزني المعروفة.

أما الآخر فهو الروائي جي. أر. أر. تولكين مبتكر سلسلة سيد الخواتم الشهيرة, و الهوبيت, و غيرها من كتابات الفانتازيا و التي كان يؤلفها خصيصًا للأطفال, و بالطبع أغلب من شاهد الأفلام المأخوذة عن السلسلة, أو قرأها يعلم أنه ابتكر لغة داخل اللغة و مصطلحات و أسماء أصبحت جزءًا من اللغة الإنجليزية نفسها.

إذًا فإن أي لغة تتطور و تتجدد باستمرار و تنمو, و هذا لا يحدث إلا على يد أدباءها و شعراءها هؤلاء الذين تسكن اللغة قلوبهم و تلامس أناملهم بحروفهم التي يسطرونها.. و بنظرة على لغتنا العربية, تساءلت هل تتطور بتلك الطريقة؟ هل هناك تغييرات و إضافات ثورية طرأت على اللغة؟؟ هل تتناسب وتناسب تلك اللغة -التي تعلقت بها و أنا بعد صغيرة أتعلم القراءة متلعثمة في قراءة الكلمات الصعبة- ابنتي و جيلها؟! هل يحبون اللغة العربية كما أحببناها و نحن في مثل أعمارهم؟!

أعلم الإجابة, نتيجة لملامستي القريبة لعلاقة الكثير من الطلاب باللغة العربية, سواء أكانوا من طلابي أو من خلال علاقتي بابنتي كنموذج لهؤلاء الطلاب و الطالبات, خاصة ممن يتلقون العلم بمدارس تدرس

المواد العلمية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية بالإضافة إلى تدريس مادة اللغة العربية نفسها كمادة مستقلة؛ ناهيكم عن دراسة بعضهم في مدارس دولية لا تقوم بتدريس العربية على الإطلاق.. هروبًا من رداءة التعليم في المدارس الحكومية..

ونتيجة لتقاربي هذا معهم وبكل صدق أستطيع أن أقول:

أغلبهم لا يحبون اللغة العربية

نعم! هذه حقيقة لا أستطيع إنكارها, يشعرون أنها لغة ثقيلة ملآنة بالمحسنات اللفظية والعبارات التي يصعب فهمها.. فطريقة تدريس اللغة العربية وتأثرهم بدراسة اللغات الأخرى شكّلت حائلًا بينهم وبين لغتهم الأم, خاصة مع كونهم يتحدثون ويتعاملون حياتيا بالعامية, مما صنع فجوة بين لغة الحياة ولغة الدراسة غير تعاملاتهم المستمرة مع الانترنت وتطبيقات الهواتف المحمولة والتي يتواصلون من خلالها بلغة "الفرانكو" وهي كتابة العامية بحروف إنجليزية.

كانت لي تجربة شخصية مع ابنتي, أشارككم بها؛ فرغم أنها قرأت وتقرأ الكثير من الكتب بالفصحى, ولكبار الكتاب, إلا أنها لا تستسيغ اللغة العربية كثيرًا, هي بالمجمل أفضل لحد كبير من أبناء وبنات جيلها, لكنها مثلهم لا تحبها.

هي تتلقى تعليمها الثانوي على نظام إنجليزي دولي, تُدَرّسْ فيه اللغة العربية كمنهج قياسي وهو ما يعني منهجًا دراسيًا موحدًا لكل الدارسين بها في أنحاء العالم من طلاب هذه الشهادة..

بالاختبار النهائي العام الماضي كانت قطعة الفهم عن "فن الموشحات الأندلسية" وعلاقة أشعار الصوفية بالموسيقى والتوزيعات اللحنية, ودور عالم الأندلس الشهير "زرياب" – الذي اكتشفت أن شهرته لدى الطلاب الأجانب أكبر من الطلاب المصريين أو العرب- كثيرون من الطلاب المصريين والعرب تساءلوا ماذا تعني موشحات؟

وما علاقة الصوفية –التي ربما لا يعرف البعض عنها إلا عرض التنورة- ما علاقتها بالموسيقى؟! ومن هو زرياب؟!

الغريب أنني علمت فيما بعد أن هذا السؤال لم يشكل موضع تساؤل من الطلاب من جنسيات أخرى غير ناطقة بالعربية

ومنهم الطلاب الإنجليز أنفسهم دارسي اللغة العربية..

بالنسبة لابنتي كان اسم زرياب فقط هو الغريب, أما عن علاقة الموسيقى بالشعر الصوفي و فن الموشحات, فهذه المعلومات توافرت لديها, لأنها تقرأ أشعار "ابن الرومي" –بالإنجليزية- و تعلم شيئًا عن الصوفية أيضًا من قراءات باللغة الإنجليزية !

أعتقد أننا نحتاج لوضع الكثير من علامات التعجب..

التعجب ذاته الذي يظهر على وجه الكثيرين إذا ما أخبرتهم من منطلق تخصصي في علم الحاسوب, أن الأرقام العربية ليست بعربية, بل بهندية, و أن الأرقام باللغة الإنجليزية هي الأرقام العربية الأصلية!!

و بعد؟!

فهل نعرف لغتنا العربية بعيدًا عن كونها لغة القرآن الكريم أو لغة الضاد؟؟

تعالوا إذًا لنحاول النظر إلى لغتنا العربية بمنظور حداثي, فقط علينا ألا نتناسى أن الحداثة العربية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بلغة واحدة, و بفترة زمنية واحدة ألا و هي فترة وجود كبار الصوفية الفلاسفة, أمثال ابن عربي, و السهروردي الإشراقي, و الجيلي. بينما الحداثة الغربية على العكس من ذلك تمامًا.. فليست أحادية اللغة و لا أحادية الأصل, بل متعددة اللغات و الأصول؛

و ليست مرتبطة بمرحلة زمنية واحدة, بل نتاج مراحل زمنية متداخلة..

و علينا أن ندرك أن الحداثيين الجدد لا يرون الحداثة في الخروج عن الشعر التقليدي إلى الحُرّ, أو الاستعاضة بالعامية عن الفصحى.

بنظرة للحداثيين العرب في العصر الحديث يلفت انتباهنا كونهم إما

شعراء تأثروا بالنهج الصوفي مثل: أدونيس, و صلاح عبدالصبور, و محمود درويش , و عبدالوهاب البياتي

أو مفكرين و كتاب الأدبيات الإسلامية الحديثة مثل: محمد إقبال, محمد أركون, نصر حامد أبو زيد, و الجابري..

و من أكبر المتأثرين بحداثة اللغة الصوفية الشاعر علي أحمد سعيد "أدونيس" فماذا يقول الرجل عن مأزق الحداثة العربية

هو يرى أنه يتمثل في ثلاثة نقاط أساسية :

* أولاً :

الشعور بأن هناك انفصام بين الدارسين العرب و تراثهم الفكري بين ما سياسي فكري و فني, و يتمثل السياسي في الحركات المناهضة للسلطة(الخوارج, الزنج, القرامطة), أما الفكري فيتمثل بالتصورات الاعتزالية و العقلانية و الإلحادية و التصوف.

أما التيار الفني فقد أبطل القديم و تجاوزه, و تحول فيه الإبداع إلى جهد إنساني يمارس فيه الإنسان"عملية خلق العالم".

* ثانيًا :

يقول: أن جميع ما نتداوله اليوم فكريا وحياتيا , من الغرب, أما فيما يتصل بالناحية الحياتية فليس عندنا ما نحس به حياتنا إلا ما نأخذه من الغرب, نعيش بوسائل ابتكرها الغرب , و نفكر بلغة الغرب من (نظريات, مفهومات, مناهج تفكير, و مذاهب أدبية, رأسمالية, إشتراكية, ديمقراطية, جمهورية, ليبرالية, حرية, ماركسية, شيوعية, قومية, منطق, دياليكتيك, عقلانية, واقعية رومانتيكية, رمزية, سريالية), و هذا معناه أن جزء من حداثتنا في جوهره حداثة اغترابية, بمعنى مغتربة عن الواقع الاجتماعي و متعالية عليه, كما هي متعارضة مع التراث الأصيل.

* ثالثًا :

يتحدث عن أن هناك حداثة "انتلجنسية" بمعنى حداثة نخبة معينة يتداولها مثقفين لا علاقة لأفكارهم بواقعهم إذ لا يعبرون عنه ولا يؤثرون فيه.

و التي يقول عنها المفكر المغربي" عابد الجابري":

"إن هذه الصفوة فئة قلية جدًا و غير مؤثرة التأثير الكافي في واقعنا الثقافي، إن الكتاب الذي يصدر بيننا و يؤلفه واحد منا نتداوله فيما بيننا نحن فقط, ولا يوزع منه إلا حوالي ستة آلاف فقط في شعب يزيد على مائة و خمسون مليون".

بنظرة على تحليل أدونيس, و فكر الجابري نتساءل أين يكمن دور اللغة هنا, و كيف يكون هذا الدور بمنظور حداثي؟

نعود للمتصوفة لأنهم هم قادة الثورة اللغوية في التاريخ العربي, ويمكن القول أن بداية الحداثة في تاريخ اللغة العربية, انطلقت مع كلام المتصوفة, فإلى اليوم هم سادة علم اللغة, و مازال تأثيرهم قويًا في الشعر الحديث, وفي الأدب المعاصر عمومًا, وللأسف لم يأتِ, منذ أيام المتصوفين العرب إلى اليوم, من استطاع أن يفجر اللغة ويتفوق على اللغة الصوفية.

إذًا فلو تعددت طرائق الحداثة في عصر العولمة, فإن الحداثة التي تتجذر في تراثنا الصوفي اللغوي الأصيل هي ما يمكن أن تعيد إحياء وتجديد وتشكيل هوية الإنسان في سياقاتها المعرفية و الفكرية؛ فقط بتطوير اللغة العربية بما يتناسب مع مقتضيات العصر الذي نعيشه, نحن قادرون على هذا, و إن كنت لا أدري

حقيقة كيف سـيتفق أهل اللغة على هذا الدور وكيف يمكنهم القيام به وتنفيذه فعليا على أرض الواقع. خاصة في ظل الظروف التي نعيشها في مجتمعاتنا..

ولكن! دعوني أقول: أننا عندما نناقش قضـايا كتغيير المفاهيم, مراجعتها, أوكتجديد التراث الديني و المعرفي لدينا, يتفق الكثيرون على الاستعانة بالذخائر العلمية التي تركها علماء كإبن رشد و الفارابي, حيث يكمن فيها الكثير مما نحتاج للتطوير و التحديث, اتفق معهم تمامًا ولكنني بالوقت ذاته أرى أننا علينا الاهتمام بلغتنا العربية بشكل مختلف, فلنجرب النظر إليها من خلال أشعار الصوفية وكتاباتهم.

يقول الإمام الأكبر محي الدين ابن عربي:

"الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون، وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقتنا "

إن كتابات المتصـوفة أوجدت ما نطلق عليه مصـطلح اللغة داخل اللغة , حيث قام المتصـوفة بتوظيف خاص للغة, و الكتابة بالأسـلوب الذي يتاخم آفاق الشـعر دون الارتباط بإيقاعات الخليل بن أحمد و عروضه الشعرية وحدها..

هؤلاء المتصـوفة الفلاسـفة, لم تتعارض لغتهم المطورة و المحدثة, بالموازاة مع أفكارهم مع كون اللغة العربية لغة القرآن, أوكونها لغة الشعر الجاهلي المتوارث ولغة المعلقات..

و المتذوق للغة العربية سيدرك تمامًا أن التراث الصوفي لهؤلاء الشعراء الصوفيين هو أجمل ما تركوه بما انساب من كلماته بسلاسة ورشاقة وفيض من خيال يشبه السحر, ويحمل من الجرس الموسيقي ما يكفي لتكون الكلمات كالألحان برقتها و تناغمها.

فقط للتذكرة

شاعر ألمانيا الشهير "جوتة" ممن تأثروا بالتصوف وباللغة الصوفية, وأشعارها, هل يُنْسَى ما قاله عن العربية:

"ربما لم يحدث في أي لغة هذا القدر من الانسـجام بين الروح و الكلمة و الخط مثلما حدث في اللغة العربية, و إنه تناسق غريب في ظل جسد واحد ".

وهل يُنْسَى أن أدباء العصر الرومانسي "كإمرسون" و"ثورو" وغيرهم ممن أعادوا تشكيل وجه الأدب في الولايات المتحدة الأمريكية ليغادر مرحلة التشاؤمية إلى مرحلة الرومانسية قد تأثروا تماماً بما نقلوه عن الأوربيين من أشعار الصوفية ولغوياتها و أفكارها.

وفي عصرنا الحالي فإن من أكثر الكتب انتشارًا في الغرب مؤلفات "محي الدين ابن عربي" والتي ترجمت من العربية للإنجليزية.

ناهيكم عن أشعار "جلال الدين ابن الرومي" سواء المأخوذة من لغتها الأصلية الفارسية أو المترجمة عن العربية.

وبناء على ما سبق, ألا يحق لي التساؤل..

هل ستبقى مجالات تطبيق الحداثة في الأدبيات الصوفية كالشعر مجالاً وحيدًا؟!

أم أنه يمكن التوسع بها ولتكن البداية بالتعليم, بداية بتعلّم اللغة العربية بأسلوب مختلف!!

أسلوب يضمن لنا أن يتساوى أبناءنا الدارسين للغتهم العربية مع –نظرائهم- من البلاد الأوروبية كألمانيا و انجلترا و الذين يدرسون اللغة العربية كلغة ثانية؛ أفضل مما نُدَرِّسها نحن كلغتنا الأولى.

في النهاية لا يفوتني إلا أن أتذكر معكم ما قاله هؤلاء عن لغتنا العربية

فعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين اعتبرها كائنًا حيًا

أما العقاد فوصفها بأنها لغة شاعرة

و أخيرًا

لا أنسى صوت الراحل فاروق شوشة بالإذاعة المصرية وعبارته الشهيرة عن اللغة العربية لُغَتُنَا الْجَمِيلَة

المصادر والمراجع :

* لسان العرب في مادة ض, د - ابن منظور

* الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - أحمد بن فارس

* كتاب في الأدب الجاهلي – د. طه حسين

* كتاب الثابت والمتحول - أدونيس

* فقه اللغة العربية وخصائصها- إميل بديع يعقوب

* موسوعة الثقافة والمعلومات ج2- مهدي سعيد رزق

* الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف- آنا ماري شيمل ترجمة محمد إسماعيل , السيد رضا, حامد قطب

* الحلم الأمريكي – د. عبدالعزيز حمودة

* موقع المرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية

* مقال التصوف و الأدب و اللغة, الملحق الثقافي لجريدة الثورة, يناير2011- الباحث عقبة زيدان

* إدارجِ أسـماء من لغات غير الإنجليزية بمعاهد الولايات المتحدة للثقافة العالية- نيلي فورمان , ديفيد جولدديرج, ناتاليا لوسِن.

اللغة هي القراءة

طلال الطيب :

عندما أقول لغة فإنني أقول القراءة .. ربما اللغة جاءت من فعل القراءة ،من قراءة الواقع عبر العين وما تراه العين يتم ترجمته لحروف ولكلمات .

لا أتذكر أول مرة تعلمت فيها القراءة أو الكلام ،لكن ربما أتذكر تلك اللحظة التي فهمت أن للكتب لغةً مختلفة عن اللغة التي أسمعها في البيت والشارع والمدرسة .

وأنا طفل صغير كنت أقرأ كتاب قصص الأنبياء لابن كثير،كانت له رائحة الورق وكانت الحروف رائعة وجميلة .

القرآن الكريم كان بالنسبة لي وقتها كلام الله ،كنت أظن أن الكافرين قد اندثروا وهلكوا وأن الله يحكي عنهم فقط من أجل الموعظة . لم أكن افهم آياته بشكل جيد ،والجزء المفضل لدي كان الشرح الذي يقدمه الأستاذ ،وكنت أحب شرح مدير المدرسة لأنه حكاء ،ويستمتع برواية القصص لنا ..كان ممتعًا .

كنت أقرأ مجلة ميكي جيب ،لكن في حالة قراءة كتاب قصص الأنبياء لإبن كثير كان علي تخيل الصور بنفسي .

ولم أكن أعلم أن اللغة صور صوتية فعندما أقول باب فأنا أفهم وأعي وظيفة الباب ،وكلما أوضحته أكثر كلما تصوره السامع أفضل .

ثم جاء التلفزيون وللأسف في هذه المرحلة أحببت مسلسلات الكرتون والأفلام ،كنت أحيانًا أشاهد ثلاثة أفلام متتالية ،ومهما كان الفيلم مملًا كنت أستمتع به ؛لأني أستمتع بقراءة الترجمة .

كنت عاشقًا للقراءة ،لكن ليس بجواري كتب ،ولا أحد بالقرب مني ينصحني بكتب أقرأها وكنت لا زلت مرتبطًا بشكل أبله بمجلات الأطفال ،وكنت لا زلت طفلًا لكني لم أكن صغيرًا أيضًا .

كنت أحب القصص ،وذات يوم تعرفت على أروع مجلة في العالم ،مجلة العربي الثقافية ،كنت أظنها مجلة مملة للكبار،لكني وجدت فيها الكثير من الصور وقصص ،قصص قصيرة مترجمة ،قصص قصيرة عربية .

وبعدها بدأت أبحث عن كتب القصص القصيرة . ماركيز،جي دي موبسان ،خورخي . اشتريت هؤلاء الثلاثة معًا . ستة جنيه كان ثمن كل واحد منهم . في ذلك الوقت كان الجنيه يشتري كيس عيش فيه عشرة رغيفات .

اللغة تنمو بنموك.. أنت طفل لغتك ستكون بمثل طفولتك ،أنت كبير غبي ،لغتك ستكون كبيرة وغبية .

هل اللغة إحساس العقل بأنه موجود ويعرف ،هل اللغة بالنسبة للوعي بمثابة الروح للجسد شيء لا نعرف عنه شيئًا .

عندما قرأت في عام 2012م قصص بعض الشباب الذين سبقوني في الكتابة قلت لنفسي أحتاج للتمرين . كنت أكتب اعتمادًا على اللغة التي كونتها خلال سنوات سذاجتي القديمة ،كنت كمن يملك فأسًا قديمًا منذ زمن كان يقطع به أشجار صغيرة ووجد نفسه أمام غابة أشجارها ضخمة بشكل لا يمكن تصوره .

هنا قلت لنفسي : أحتاج لأن أتغيروأتمرن . كما يتمرن رهبان شاولين على الفنون القتالية كنت أتدرب أنا أيضًا ، قرأت بكثافة من الصباح حتى المساء ،بواسطة هاتفي نوكيا 2700 الكثيرمن النصوص الأدبية في موقع نزوى ،كيكا ،العربي الثقافية ،وموقع مغربي للقصة وكتبت أيضًا .

لازلت لا أملك مالًا حتى اشتري كتبًا تسد نهمي للقراءة لذا أنا اقرأ عبرالكمبيوتر ،الأمرمتعب لكنه ممتع أيضًا .

وبعد قراءة كل كتاب كنت أشعربالثقة بنفسي وأن لغتي ارتفعت مقدارمليمترعن ما كانت عليه

القراءة تعني الكثيرمن اللغة والمزيد من الأفكاروالتكنيك ،بعدها عليك أن تغمرهذه اللغة والأفكاربالكثير من وقود الشعور ومن مكان ما ستنبثق شرارة وفجأة سيشتعل كل شيء .

تعلمت الكثيرعن اللغة ،ومنها أن اللغة يمكنها أن تشعل حربًا طائفية ،مثلًا الخطاب المعادي للأخريميل للتعميم ،فلو أن رجلًا أبيض ضرب مسلمة ،سيقول المتطرفون : أنظروا (إليهم) إنهم يكرهوننا .

أي خطاب كراهية تكثرفيه كلمات هم ونحن ،قديمًا الرومان كانوا يقولون (البرابرة قادمون) .

وكلما اتسع الماعون اللغوي للشخص كلما كان أكثرتسامحًا ولطفًا .

لغة .. أم

السموءل شمس الدين :

أمي كانت مثلي تمامًا.. أو أنني أنا من نضجت مماثلًا لنكهتها.. كانت مدرسة لغة انجليزية تعشق اللغة العربية.. تحب ترتيل القرآن وحفظه ودراسته وتجويده.. تحب الكتب الصفراء والبيضاء والحمراء وكل ألوان المخطوطات القديمة والجديدة.. تحب القصص.. الروايات.. الكتب العلمية والدينية والتراثية وكتب قراءة الكف والأشعار والنثر.. الواقع أنها أسمتني تيمنا بالشاعر اليهودي (السموءل بن عادياء).. لأنها كانت تحب أشعاره وأهازيجه المليئة بالحماس والقيم والمثل.. بالفروسية والحض على الكرم.. ونسبة لعشقها الكبير للغة العربية.. فقد كنت موعودًا بصورة أسبوعية بكتاب جديد، ذاك أنها كانت تحاول أن تحببني فيما تحب.. في القراءة، والتهام الكتب بنهم وشراهة.. كانت تشكل وجداني بمعارف أكبر من تجاربي.. من سني عمري الحدث.. كانت أمي تحاول أن تعرفني بكامل نكران الذات والكرم الفياض على أم أخرى.. أم لغة.. أو قل.. لغة أم..

إن تسمية اللغة الأم لم تأت من فراغ.. فحتى رؤيتنا للعالم من حولنا تحددها اللغة الأم.. هي أم حقًا لأنها تشكل ليس فقط وجداننا.. بل حتى أحلامنا.. أخلاقنا.. ثقافتنا وطريقة تصرفنا.. اللغة الأم تتدخل بشكل سافر في نمط حياتنا اليومية.. ونظرتنا للموجودات.. الطبيعة.. والآخرين من حولنا.. حتى أنشأت العلاقة بين الواقع واللغة جدلًا لم ولن ينتهي بين علماء اللغة حول من الذي يتحكم في الآخر؟ هل تشكل حقًا اللغة رؤيتنا للواقع.. أم أن الواقع هو من يشكل فهمنا للغة ؟

لذا.. وسواه.. أجد فكرة المقارنة بين لغة وأخرى من حيث البلاغة.. جمال النطق.. غنى المفردات.. الموسيقى.. أجدها فكرة موغلة في السطحية والجهل.. مثل السؤال الذي لن يستطيع أن يسأله أحد: من الأفضل ؟ أمي أم أمك ؟

لكل لغة خصائصها.. مكانتها في قلوب أبنائها.. ذكرياتها الخاصة التي نسقت أنغام أصواتهم.. وإحساسهم بإيقاع الحياة.. لا توجد لغة تعجز عن الإتيان بمعنى ما.. بطريقتها الخاصة.. مثل أنه لا توجد آلة موسيقية تعجز عن الإتيان بنغمة ما.. بطريقتها الخاصة أيضًا.. تحتاج فقط عازفًا حاذقًا.. يحتضنها كما احتضنته أمه صغيرًا.. يحنو عليها كما تحنو عليه.. يفهمها كما تفهمه.. ثم يبثها آلامه وأشجانه.. لتهديه أجمل ألحانها كلمات عصية على الترجمة.

الحديث عن اللغة العربية لدي يتعدى بكثير حدود النحو والصرف والبلاغة.. بحور الشعر وتفاعيله ومفاعلاته الحرفية.. تاريخها لدي يتعدى حدود سيبويه والخليل بن أحمد وعبد الله الطيب.. إن سألتني

عنها.. سأحدثك عن أحلامي التي تحدثت إلى بالحروف العربية.. عن آلامي التي قصصتها بالحروف العربية.. عن أفراحي التي عشتها بالحروف العربية.. عن وجداني الذي شكلته الحروف العربية.. عن أمي التي لا زلت أذكر ابتسامتها وهي تخرج من بين طيات ثيابها كتاب الأسبوع.. وتلوح به أمام وجهي وأنا أتقافز فرحًا بما أحضرت لي.. عن احتفاء أخوتي بي حينما أكملت أول كتاب (للكبار).. عقب أسابيع من تشجيعهم لي على إكماله.. لطالما أخبروني أن الكتاب الأول قد يكون صعبًا.. لكنه سيكون فاتحة لكتب أعمق.. أجمل.. بوابة مطلة على عالم من السحروالجمال والمعارف التي لا مجال لحيازتها سوى بالقراءة.. سأحدثك عن الأستاذ (معتصم).. الأستاذ الذي علمني القراءة والكتابة في مدرسة العرضة الجنوب.. الحنون المبتسم دومًا.. ذو الهامة العالية والصوت الجهوري.. العبقري الذي كان يصنع من كل درس وحصة مناسبة لفرح.. للعب.. للغناء والتصفيق الطفولي المجنون.. عن ساعديه عائدًا من الحصة الثانية (ما قبل الإفطار) تحملان في العادة اثنين من تلاميذه الصغار.. متعلقين بهما حنانًا وغبطة.. سأحدثك عن طفولتي بكامل تفاصيلها.. ثم عن أولى كلمات الغزل التي نطقتها في حضرة حبيبتي الأولى.عن لحظات الصمت التي أحادث فيها نفسي.. عن أحلام يقظتي ونومي.. ثم لن أتوقف.. تلك أمي.. فمن ينكر فضل أمه ؟ومن يحد امتدادها ببحور الخاطر ببعد واحد ؟

أنا واللغة العربية

مريم خميس :

توقفت عند مفردات كثيرة وأنا أقرأ رواية "جين إير" ... أعدت قراءة مقطع عدة مرات ... نظرت إلى الورقة بعد الغلاف : " ترجمة البعلبكي "..

مع البعلبكي تعلمت معنى تذوق اللغة ، معنى أن يلتقط عقلك شريط "جملة" عدة مرات متلذذًا .

كانت "جين إير" ضمن مجموعة سلسلة مطبوعات كتابي التي يقوم بأمرها " حلمي مراد " جزاه الله ألف خير ، نظرًا لتراثها اللغوي قررت متابعتها والعدول قليلًا عن تلك السلاسل التي كنت أدور حولها : المغامرون الثلاثة ، المغامرون الأربعة ، المغامرون الخمسة ، رجل المستحيل ، ملف المستقبل ، الشياطين ال13 ، روايات زهور ، ما وراء الطبيعة ..وقع خياري الثاني من مطبوعات كتابي على " اعترافات جان جاك روسو "وإذ كنت لا أزال بالحادية عشر من عمري .. سئمت الاعترافات... ونسيت أمر اللغة .

بالمدرسة تمثلت علاقتي باللغة العربية في اثنين : تحليل النصوص وكتابة الإنشاء .شرح أبيات القصيدة بأسلوب سلس بالفصحى " بطريقة أذهل بها نفسي " عمق حبي للغة العربية أكثروجدتني بالصف الثالث الثانوي " حينما كان الخيار متاحًا " بجانب الأحياء أختار مادة " اللغة العربية المتقدمة " التي كان يدرسها الأستاذ نادر السماني بمدرسة المعالي . كنا نردد خلفه بذات صوته القوي ولحنه الجميل :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

لم أدرحينها أنني كنت أنبه نفسي أن تستعد مع الشنفرى لتميل وتغرق في بحر العربية .

تشمل مادة المتقدم : نقد .. موازنات وسرقات ..تحليل نصوص ..لامية العرب .. عروض .

عشقت البحور وتفكيك النصوص ، لم يكن هناك أجمل من العروض وتقطيع الأبيات حتى صار الأمر بالنسبة لي لعبة .بعد دراستي للمتقدم ، نمت ملكتي اللغوية شيئًا فشيئًا ، وغدت كتاباتي ... ليست أفضل بكثير بالكلمة المناسبة ولكن غدت أحب إلي أكثر من سابقتها .

عند دراستي بمركز عبد الله بن مسعود الإسلامي الثقافي ، واجهتني مادة جميلة ـ لعبة مسلية ـ مشابهة ل " علم أصوات " مرت بنا سابقًا وإن كانت هنا بتوضيح أدق ، تسمى آلية النطق " آلية حروف "لمؤلفته أبية فاروق . تفاجأت بأن حروف اللغة تلك التي كنت أنطقها لم تكن حروفًا بل خيال حروف .مثلًا لنطق الحاء توضح الكاتبة احترازات محددة :

.فتح الفك طوليًا مع بسط اللسان وشده وتنحيفه

.تثبيت طرف اللسان على طرف الأسنان واستمرارية التنفس مع ثبات الفك الأسفل

.الضغط على وسط الحلق وسماع بحة لصوت الحرف " حصر الهواء في منطقة الحاء "

.قراءة الحاء بتمهل

.تأكيد إظهارها إذا أتى بعدها حرف مقارب لها وقفًا

أما بالنسبة لحرف الياء ، فخطوات قراءتها :

- اقتراب جملة الفكين (الضغط على الأضراس وحواف الوسط والضغط بقوة على الهواء والحنك)

- حصـــر الهواء ما أمكن في منطقة وســـط اللســـان ومع الضـــغط على الهواء يحدث زحف للهواء أو تموج فيسمع للحرف تصويت قوي

- مراعاة المخرج قبل الحركة

- تحريك الفك بالياء المتحركة

وهكذا على باقي الحروف .. ولا أجمل من حرفي اللين " واو .. ياء " وتحقيقهما بسورة سبأ . ثم كان أن تعلمنا الدمج بين صفات الحرف ومعنى الكلمة ... اللغة ما هي إلا لعبة .

أن تكون كاتب ومعلم قرآن بآن ، أن تعشـــق اللغة وتكتبها وتتلوها ، أن تتمكن منك بلا حول وقوة أن تنهل وكلك يقين لن تكتفي ولن تشبع .... ستواصل اللعب للأبد .

عربيتنا قضية حضارية

فوزي بسام :

يقولون بأن "اللغة هي وعاء الفكر" ، والحق أن هذا الكلام مجحف في حق اللغة ، فاللغة لا تمثل مجرد حامل للفكر فحسب ، بل هي تمثل النسق الثقافي للإنسان ومجتمعه ، لذلك صح لنا أن نقول أن اللغة هي أحد ركائز الهوية ...

ومما يؤسف عليه ، أن نرى بعضًا من أبناء جلدتنا ، من يدعي أن اللغة العربية عامل تخلف لنا ، وبأنه لابد لكي نتقدم ، أن نتخلى عنها ، ونلون ألسنتنا بألوان أعجمية ! ... وكأن المدعي هنا يدعونا إلى الانسلاخ عن جلودنا ، أو بمعنى أصح : يدعونا إلى التخلي عن أنفسنا ! ... وكأن المدعي هنا يدعونا إلى أن نصبح عبيدًا لغيرنا ، ففي النهاية معنى العبودية هو التسليم للآخر ، والعبودية هنا هي في منتهى المهانة ، لأنها تدعونا للتسليم إلى من هو مثلنا !

إن الكرامة لتأبى ذلك ...

زيادة على كون أن العقل لا يتقبل ذلك ، وبغض النظر عن نظرية التفكير باللغة ، التي تقول بأن الإنسان لا يفكر إلا باللغة ، والتي يترتب عليها أن فقداننا للغتنا يعني فقداننا لعقولنا ! ... فإن المدعي هنا ، لا يدرك أهمية اللغة على المستوى الحضاري ، لا يدرك بأن الإنسان لا يمكن أن يتمكن من العلم حتى يكون بلغته ، حتى يكون بلسانه ... لأني معنى تناول العلم بلغته أنه يتمكن منها بذاته ، لأن العلم هنا يصنع فيه بهويته ، ومعنى التمكن هو أن يسطو الإنسان على المتمكن عليه ، والسطوة لا تكون إلا بالذات ! ...

فهل يعجز مدعوا الحضارة عندنا اليوم عن فهم هذه القاعدة اللسانية البسيطة ؟! أم أن بريق الحضارة الغربية قد أسرت عقولهم ، فمنعتها عن تجاوزها ، فجعلتها بذلك عاجزة بالكلية !

إنه يمكن أن نقول أن هؤلاء هم من أساؤوا إلى اللغة ، وليست اللغة من أعجزتهم ! ... أو بمعنى أصح : نحن من أسأنا إلى اللغة ، وليست اللغة من أعجزتنا ! ... نحن الذين لم نستطع أن نجعل لغتنا ترتقي إلى مصاف اللغات العالمية ، نحن الذين جعلناها عقيمة في أمر حمل العلم في أمر حمل اللغة لقضية الحضارة ، قضية النهضة الحضارية

النهضة الحضارية التي نتأمل فيها أن تعيد لنا عزنا المفقود ، الذي فقد مع الغزالي وابن رشد وابن تيمية و ابن خلدون ووو..... والقائمة تطول ، ممن كانوا أعلامًا لحضارتنا الإسلامية ، ولك أن تحمل كتابًا لأحدهم

، حتى تدرك في لغتهم العزة الكامنة في منتجهم الفكري و العلمي ما إن تحمل كتاب أحدهم حتى تشعرو تتذوق تلك العزة ... و قد يكفيك في هذا الشأن –تجنبا للمشقة- أن تحمل كتابًا للرافعي أو الكواكبي حتى تدرك هذا الشعور

و بمعنى أصح و أدق : أن تحمل كتابصا لأحد أولئك الأعلام ، حتى تدرك أثر اللغة و أصولها الثقافية السحيقة ، على المادة العلمية أو الفكرية المحمولة في نصوصهم

مرة أخرى نقول : أولئك المعادون للغتنا من أبناء جلدتنا ، لا يدركون هذا المعنى اللساني العميق ... أولئك الذي يمكن أن نطلق عليهم صفة : الخيانة ، لا يمكن أن يكونوا سببا في النهضة الحضارية ، لأن الخائن يهدم و لا يبني ...

و لا ينفع أن يقال : أن العرب قد طغوا على بقية الأجناس ، من البربر و الفرس و العجم أو غيرهم من الأجناس ، ممن دخلوا في كنف الإسلام ، ففرضوا لغتهم على غيرهم ... لأنه زيادة عن كون أن تلك اللغات ، إلى اليوم لا تزال حية ، فالتلميح على هذا إلى أن العرب قد احتلوا بقية الأجناس ، و لو اقتصر الأمر على اللسان ! يصبح كلامًا باطلًا ، لأن من عادة الاحتلال أن يفني المُحتَل ، و هذا ما لم يحصل بعد **1400** سنة من الاحتلال المزعوم ! ... فإن العرب لم يفرضوا لغتهم كما يدعي المبطلون الحاقدون ، بل القرآن هو من نشر لغته ، فكانت ركيزة حقيقية لحضارة إسلامية ، يمكن أن ندعي أنها أعظم حضارة ، لا من حيث كم الصنائع ، على قياس العجم الغالبون اليوم ، بل من حيث أنها تمجد الله سبحانه و تعالى ...

و عليه فإن معاداة لغة كتابه الكريم ، لا تكون إلا معاداة لكتابه الكريم ذاته ! و لا أكبر خيانة من هذا ... لذلك يمكن أن نضعهم في مصاف عتاة الخونة ...

و لا ينفع أن يقال : أن قرآنكم هذا عنصري بطبعه ، لأنه نزل بلغة قوم دون آخرين ... لأنه لا يقول هذا سوى من لم يدرك معنى التسليم ، الذي ينزه الناس و أنفس الناس عن مثل هذه الحسابات الضيقة ، و التي لم تكن كذلك إلا لكونها تنظر في أفق ضيق ، الأفق الذي لا يسمح لها أن ترى التوافق ، بين كون العربية لغة القرآن ، و بين أنه لا فرق بين عربي و أعجمي إلا بالتقوى ! ...

ليت شعري ، ما بال أولئك الناس يقبلون أن يخبرهم أعجمي اليوم بأن العبرة بالكفاءة ، و يرفضون هذا المبدأ مع العربية ! يقبلون أن يخبرهم أعجمي اليوم أن الرئيس مواطن كبقية المواطنين ، و يرفضون أن يكون العربي رغم كون لغته لغة القرآن ، مسلم كغيره ! ... يقبلون بأن يخبرهم أعجمي اليوم بأن الرئيس مكلف و ليس مشرف ، و لا يقبلون هذا الكلام مع العربية !

إنني كمهتم بالنهضة الإسلامية لغتها عربية ، وذي أصول بربرية ، لا أتصور إمكانية لنهضة إسلامية من دون اللغة العربية !

نعم قد لا يكون استرداد اللغة العربية لقدرتها التداولية في المحيط الحضاري الإسلامي ، شرطًا جوهريًا و لا أوليًا في النهضة الحضارة الإسلامية ، ولكنه يظل شرطًا أساسيًا ... نعم ، تعرج النهضة فتسقط ، بجعل هذا الشرط جوهريًا أو أوليًا ، ولكن إقصاؤه من جملة الشروط الأساسية ، يجعل القضية تعرج حتى تسقط أيضًا !

علينا أن ندرك أن للعربية نسقًا ثقافيًا ، هو بمقام الحمل المنطقي في الفلسفة ، له تأثيرها الأساسي ، بدون هذا النسق الحملي يصبح الخطأ كالصواب ، خاصة في المجال التداولي .. و المجال التداولي هو موضوع النهضة ...

وعليه فإن قضية اللغة هي في حقيقتها : قضية حضارة ...

إن عبقري الحضارة الإسلامية ، الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، كان يدرك جيدًا ما يفعله ، لما كان يحث غير العرب من المسلمين أن يتعلموا العربية ، وحجته في ذلك أن العربية تورث المرء المروءة

وانظر اليوم ، لما صار لساننا اليوم غير عربي ، على الأقل هو هجين ، غريب من جهة لحنه ونسقه ، وعربي الكلمات (إن لم نحتسب الكلمات الغربية التي ولجت إلى ألسننا ، والتي تطوعت تعريبا ، تشمئز له النفوس السوية) ... كيف فقدنا اليوم المروءة ...

ولا عجب ، فنحن لما فقدنا حرارة العربية ، ولبسنا برودة الأعجمية ، فقدنا حرارة المروءة ، ولبسنا برودة الخساسة ! ... والله لا ينصر قومًا لم ينصروه في أنفسهم ...

كيفما نظرنا إلى قضية لغتنا العربية ، لم يجز لنا سوى الاعتراف بأن اللغة تمثل لنا قضية وجود ، أو على الأقل : قضية حضور في التاريخ ...

الكتابة كإمرأة .. واللغة كالحب

بِبيرا كُرّا :

سَوفَ اسمح لنَفسِي بِتَشبيه الكِتابة بامرأة , و أفعَلُ ذلِك لأُبَرِّر تشبِيه اللُّغة بالحُبْ . وما اعنِيه بالضّبط هُو أنّك حِينَما تَعِي بِوُجُود علاقة تتسِم بالجِدِّية بينَك وبينَ اللُّغة ؛ فإنك و بِكُلِّ تأكِيد متورِّطٌ فِي كِتابةٍ ما , تمامًا كالحُبْ , والذِي يستَخْدِم امرأة كطَعَم للإيقَاعُ بِكْ , لتَجَد نَفسَك بَغتة تَحتَرق فِي اتُونه . ولذلِك فأنا غالِبًا ما أؤرخ للُّغة فِي حياةِ شَخصٍ ما باللّغة ما قَبلَ الكِتابة و اللُّغة ما بَعد الكِتابة , ولا اعنِي هُنا بالطَبع الكِتابة الأبجَدِيّة , بَل الكِتابة الإبدَاعِيّة . و إذا ما تمّ اتهامِي بأنّني أُسقِطُ حالَتِي الشّخصِيّة على الآخرين ؛ فلَن يكُون بِمَقدُورِي أن أنكر ذلِك , فقَد وجَدتُ علاقَتِي باللُّغة تَنحُو نَحوَ الجِديّة بَعدَ أن وجَدتُّنِي مَصابًا بِعِدة قصائِد .

يصعُب القَبض على لَحظة بِعينِها وجَعلِها نُقطَة الصِّفر لعلاقَتِي باللُّغة العربِية , لكِنّي اذكُر تمامًا أول يوم لِي بالمَدرسة عِندما اقتَحَمتْ تِلمِيذة ساحة الطّابُور وبدأت تَتلُو المِراسِم الافتتاحية للبرنامج الصّباحِي , قُلتُ فِي نَفسِي بِلُغَتِي الأُم هذِه المَدرَسة جمِيلة وتَلاميذها نظِيفون لولا أنهم يتَحدّثُون هذِه اللُّغة الجافّة !

لاحِقاً علِمتُ أن القرآن الذي كُنتُ اقرأه باللّوح إنما هو قرآنٌ عربِي , ولكَم كانَت صَدمَتِي هائِلة . لذلِك اعتَقِد أن علاقَتِي باللُّغة العربِية بدأت صِدامًا . ثم تدرِيجيًا تقبلت الوَضع , وبدأتُ اقِف فِي ذاتِ المكُان الذِي وقَفَت فِيه تِلكَ التِلمِيذة ذاتَ برنامج , أقدم البرنامِج الصّباحِي بِذاتِ اللُّغة الجافّة , أحدثت سِنِين الأساس انقلابًا لُغويًا بالنِسبةِ لِي ـ والكَثِيرين ـ إذ لمْ تَصبح لُغَتِي الأُم هِي الجافّة فحَسب , بَل مَصدَر إزعاج و عار أيضًا . فيمَا تبوأت اللُّغة العَربِيّة مَكاناً علِيّا .

فِي الثّانَوية انبَهرتُ باللّغةِ العَرَبِيّة أيما انبِهار بِسبَب أبِي العلاء المِعرّي , حِينما انتَهيتُ من قِراءة قَصِيدته " إلا فِي سبِيل المَجدِ ما أنا فَاعِل " لَم يسعنِي إلا أن اشهَد أن الرَجُل شاعِرٌ خارِق , ثُمّ أصابنِي هَوَس بهذا الرجل , لم احصل على قصَائد أخرى للمعرّي غير تلك الواردة فِي المَنهَج الدِّراسِي , ومنها قصِيدة الأطلال , قرّرتُ أن اكتُب لنَفسِي قصِيدة على طرِيقة المعرِّي , كتَبتُ عدّة قصَائد مُقفّاة بالفُصحى , ومن هناك بدأت

علاقَتِي الجادّة باللُّغة العربِية الفُصحى , ولأول مرّة اطرَح على نَفسِي سؤال كم شَخصًا يفهَم هذِه اللُّغة , وهُو سؤال يَعنِي كَم شَخصًا سيَعرِف انّي اكتُب ؟ أصبحت مرِيضا بقِراءة الشّعر, ووقَعتُ مرّة على قراءة نقدِية لقصِيدة نثرفِي مجلّة العربِي , وقَد اندَهَشتُ للإمكانِيات الهائلة لقصَيدة النّثر, كما أشار الناقِد , ولِتِلك الطُّرُق الجَدِيدة فِي إنتاج المَعنى , بدأتُ أتسامح معَ قصِيدة النّثروالتِي كُنتُ اعتبِرها مُجرّد هَرطَقة , تعرّفتُ بعد ذلِك على دِروِيش و أدونِيس و الفيتُوري ونزار قُبّانِي وقَبلَهُم تعرّفتُ على فارُوق جُويدة , ساعَدنِي على ذلِك انتِقالي للجامِعة والمَدِينة حيثُ تتوفّرعلى عدَد لا بأس بِه من المكتَبات والمجلات الأدبيّة , لتَدخُل علاقَاتِي اللُّغويّة طورًا جدِيدًا , يلعَب فِيه مفهُوم الابتِكاردورًا مِحورِيًا , ولِذلِك تخلّصتُ مِن عقِيدة " اللُّغة الرّاقِية " , فكُل اللُّغات تُتِيح الابتكار, والآن لا فَرق عِندِي بين اللُّغة العامِيّة و الفُصحى ولُغتِي الأُم , وأي لُغة أخرى . جمِيعها ضرُورِيّة بِنفس القَدر.

ولو أننا توقّفنا عن استِخدام اللُّغات كأدوات للقَمع والاستِعلاء , واستَخدَمناها للابتكاروإنتاج الجَمال سنَجنِي بالتأكِيد عالمًا مُدهِشًا .

غوص في بحر اللغة

فاتن علي :

كلامنا لفظٌ مفيد كاستقم

واسم وفعل ثم حرفٌ الكلم

واحده كلمةٌ و القول عم

كلمة بها كلام قد يؤم

فمن ضمن تجليات اللغة العربية ، و في إطارما ذكُرمن أبيات أعلاه ، من ألفية ابن مالك لأحد الأساتذة ، أثناء تدريسِه واحدة من حِصص قواعد النحو بمرحلة الأساس حينها ، أخذني الزَّهْو و الدهشة لغرابة تركيب المعاني الموجهة نحويًا في قالب شعري جميل..

فكان هذا الأمر دافعًا مذهلًا ، رغم أنه يبدو أكثر غرابة آنذاك ، ضمن صياغة هذه الجُمل ، و مفرداتها المنسقة ، و شكليتها التي تبدو جديدة علينا في تصويرها البياني،وتشبيهها البليغ ،جملة ذلك.. قد شكّل عندي دافعًا قويًا للغوص في تجليات اللغة العربية ، ومعرفة مكامن جمالياتها كمفردة تصاغ جملها بعدة معانٍ ، كذلك قد أوضح ذلك أن معظم صيغ الكلمات في اللغة العربية هي اتحاد قوالب للمعاني المطلقة التي تُصب فيها الألفاظ فتختلف في الوظيفة،مما جعلني أبدو أكثر حرصًا ، بحثًا ،وتنقيبًا لما هو مثير فيها وإلى أي مدى قد يكون ارتباطها مسبقًا بنفس التأثيروالفضول المعرفي آنذاك السِمة الغالبة وما يميزها فيما بعد!!

بدأ اهتمامي بالأدب والفن المسرحي القديم المترجم ،وغالبًا لارتباطه بالشِعر الفصيح منه ،وكتب الفلسفة ، والأدب الروسي " المترجم" ، ومعظم العلوم التي تدخل فيها اللغة العربية ومميزاتها على بقية اللغات ، فتتفتح عوالم أخرى دالة على اتساع فضاءها ، وتنوعها المتفرد الذي يميزها على غيرها من اللغات،فتثيرني عوامل الدهشة لأن أبحث وأقرأ المزيد منها،فأكثر المحطات التي رسّخت بذهني من كم الاطلاع هذا بأني ما زلت في حرف الألف وفي أول مشتقاته المعرفية الدلالية اللا متناهية،حين أدرت وجهتي مرة أخرى - وكمصدر أصيل - وعريق جدًا في اللغة العربية بالقرآن الكريم ورسالته المتواترة عبر آلاف السنين بتماسك ومنهج لغوي فصيح ،يُثبت صحتها بالإعجاز الرباني في تجسيدها المنزل بالوحي لكلام الله مما طوفها على بقاع الأرض برسالة الإسلام ! كلغة عربية نزيهة مُنزلة،وشُكِلت منها لغات معظم العالم ،بما فيها التفرع

العامي ومزجت جغرافيتها كلغة أصيلة ثابتة الجذور رغم تغيير مناخات العوالم اللغوية،فاستبان لي من خلاصة ذلك: أنه رغم تعدد الثقافات والمناهج التربوية المختلفة،والتعدد الذي لا يُحصى من لغات العالم أجمع ، بأنها اللغة الوحيدة إن صح التعبير التي ما زالت تحافظ على خصائصها المتمثلة في:

تركيبها - و تصريفها اللغوي _ و النحوي ... الخ

كما أنها لا زالت لغة مخاطبة العالم ، ونقل ثقافاته المتباينة بالأدب ،والفن الدرامي العلوم التاريخية ،ثم التمازج العرقي ثقافيًا.

وأكثر ما يميزها إمكانيتها تلك في التعبير رغم مدارك العلوم المختلفة، والمرتبطة بخصائص هذه الأمة.

فهنا كمرحلة ثانية أو مرتبطة بالإطلاع ، شكلت بداخلي اللغة العربية بيئة فكرية ،آفاقًا بعيدة معرفة متواضعة مكّنت من أن أبُث بعض جمالياتها في قالب الأدب و الثقافة ببعض الأفكار..

والكتابة عبر هذا المجال الواسع ، فتيمناً ببعض هذا القدر، و الممكن.

ففي رأيي و لأن الأدب بصورةٍ عامة حتى نترجم عليه أفكارنا نحتاج لتراكم و خبرات ثقافية تساعد على تأصيل الفعل الحضاري الحالي أو ما هو مراد نقله من مختلف الكتابات وربطها بالأفكار ما بين منح و أخذ الخصائص وتميّزها،مما يبيّن تبادل الخبرة المعرفية منحًا بأفكار جديدة،و قراءة قد تشمل عُصارة ذهنية معرفية يربط بينهما عامل اللغة العربية كفيصل للتواصل والتوصيل في الكتابة بلغة عربية كانت و ما تزال في أوج اكتمالها مُذ أمدٍ سحيق !

ـ فاللغة هي مرآة المجتمعات التي تعكس ثقافته ، و مكوناته التي تميزه على غيره، و أداة توجّه عقلية الفرد وسلوكه وتفكيره،فكان لأبد أن يؤثر ذلك على ما أتناوله بصورة مباشرة أو بأخرى حتى يصب ذلك في قالبه الصحيح ،فتأتي اللغة العربية كأولى اللغات الموغلة في القدم وما زالت راسخة بكل مكنوناتها الثابتة والتصريفية محافظةً على ذلك لملامحها الأصيلة وقواعدها الأساسية ،ثم قدسيتها في ما تقوم به من تقطيع مفهومي للمتكلم والمتعلم إلى الانتماء إليها،فأنتمي وأجدني ككاتبة أحاول جاهدةً من خلال هذا التأثير في انتقاء المفردة العربية صياغةً وفكرًا فيما أتناوله.

نهم مجهول تعالجه اللغة

متوكل الدومة :

الكتابة عن علاقتي باللغة العربية من حيث البداية وتطور تلك العلاقة، هو ما لم أفكر به من قبل، مع ذلك ظننته شيئًا بسيطًا،سهلًا للوهلة الأولى، لكن ما أن بدأت بتجميع خيوط العلاقة وتبيانها، حتى أدركت أنها ربما تكون من أصعب ما حاولت الكتابة عنه يومًا، بسبب تفرق الخيوط، توزعها على فترات عديدة، تفاصيلها اللا معددوة والتي كان لكل منها أثر لا يمكن تجاهله أو القفز عليه بالتجاوز، لكن يمكنني القول _يمكنك أن تسميه إدعاء_ أن وشائج العلاقة بيني والعربية بدأت ملتبسة، قبل ميلادي بعقود عديدة.

سأحكي قصة قد تعيننا على فهم ما هو ملتبس:

" في ستينيات القرن الماضي دفعت رغبة ملحة والد بسيط إلى إرسال ابنه لمدرسة "كاتشا"، غرب مكان إقامته ليتلقى قسطًا من العلم وللحصول على دروس فك الخط.

وصل الطفل إلى المدرسة، لكنه وجد ما لم يكن يتوقعه، إذ كان يظن أنه سيتعلم مباشرة، لكنه علم أن عليه تعلم لغة جديدة، لم يكن ذلك سيئًا حتمًا، لكن الأسوأ كان ضرورة نسيانه اللغة التي حفرت في عقله، روضت لسانه على النطق، مكنته من التعبير عما يختلج في نفسه، حتمية محو لغة الأجداد كانت لها طرقً عدة، أدوات تنوعت بين الترغيب والترهيب، والأخيرة كانت السائدة في المشهد.

لتحقيقه ظهرت ابتكارات كثيرة أهمها، صناعة سلسلة من حبل يمرر عبر عملة معدنية مثقوبة عند المنتصف، كانت تحدد المذنب بجلاء إذ أنها تكون عند أحد التلاميذ، وما أن يجد من يتحدث لغة من اللغات المحلية ما عليه سوى وضعها على عنقه،وهذا ما زرع الرهبة في قلوب الأطفال، الخوف من العقوبة القاسية المنتظرة مما يدفع التلميذ للبحث المضني،والسعي الجاد لمحاولة العثور على ضحية جديدة تتحدث بلغة محلية وهو ما لم يكن صعبًا، تستمر عملية التنصل من "العملة المثقوبة" إلى أن يندلق الليل على المكان، وتبتلع الظلمة سكنات التلاميذ، هنا يكون دليل الجريمة معلقًا في عنق أحد التلاميذ ذلك الذي لم يحالفه الحظ، ولم يعثر على من ينطق الكلام المحرم.

25 جلدة على الملأ، المخرج الوحيد لتجنبها كان تعليق السلسلة على عنق أصغر أطفال المدرسة وقت ذاك. شيء يبصره القدر وحده جعل المعاقب الدائم في الصباحات الشتوية القاسية هو ابن السابعة المبعوث من والده لتعلم فك الخط".

تسعينات نفس القرن يجيء للحياة طفل مشاكس، لا يتورع في فعل كل ما تدفعه رغبة الاستكشاف لفعله.

طفل السبعينيات تقدمت به السنوات، أخذته في رحلة ذات تشعبات عديدة إلى أن زحفت سنوات التسعين فأنجب طفلًا كان مشاغبًا،نزقًا، صاخبًا لا يمل الثرثرة أو يهده التعب.

سنترك طفلي القرن الماضي هنا ونمضي لحالنا على أن نرجع إليهما حال لزم الأمر.

بيتنا كان صندوقًا للحكايا، فالقصص الكثيرة والحكايات المسائية الماتعة التي كانت تسردها أمي على مسامعنا _أنا و إخوتي_ كمكافئة حال فعلنا ما علينا، والحق أن الأمر لم يكن شاقًا ولا صعبًا، كل ما هناك أن تعود من عملها، وتجدنا نظيفي الثياب، مدهونين بزيت منزلي الصنع كانت تصنعه بمهارة وجودة جدتي.

كان للحكايات عمقها الخاص والذي اتخذته من طريقة سردها، وشيء من عمق صوت والدتي، سرعان ما فتحت ذهني، وجعلت روحي تلتهم كل ما أسمعه.

في الصف السابع للمرحلة الابتدائية بدأت أصاب بحالة من النهم مجهول الكنه بالنسبة إلي، نهم لا يسكنه اللعب، ولا يهدأ بفعل نزق الطفولة، ولم تعد الحكايات المسائية تكفي لتسكنه رغم متعتها وجمالها الذي أحس به حتى اللحظة، ما دفعني إلى اقتحام مكتبة كبيرة ومتنوعة كانت في المنزل.

هنا تجدر الإشارة إلى أن هذه المكتبة أسسها طفل ستينيات القرن الماضي، ذلك الذي أوردنا ذكرى عقوبات قاسية، متكررة لحقت به إبان دراسته الابتدائية.

تمر الأيام سريعًا حتى نصل الإجازة الفاصلة بين مرحلتي الأساس والثانوية، وقتها قرأت العديد سواءً المكتوب منذ البدء بالعربية أو ما تم نقله ترجمة إليها، وفي مواضيع متفرقة، الدين _ الإسلام، المسيحية الديانات المحلية_ القانون، السياسة، الأدب وهي الفترة التي تعرفت فيها على عوالم تفوق عقلي بكثير، كنت في الرابعة عشر حين قرأت "لا تطفئ ضوء الشمس" و"لا استطيع أن ارقص وأنا أفكر" لإحسان عبد القدوس، دخلت عوالم الأبنودي، ونجيب محفوظ، وغيرهما بما كان متوفرًا في مكتبة المنزل.

أيضًا أطلعت على ترجمات متنوعة أذكر منها "أولفير توست"،و رواية "الأرض".ل"أميل زولا"،كانت لي ثمة قراءات متفرقة لشعراء كل ما كنت أعرفه عنهم حينها، أنهم من بلاد أسكنها.

تلك الفترة أتاحت لي التعرف على عدد -لا بأس به- من الكتاب، سـودانيين وعرب وغربيين عبر ما وجدته مترجمًا.

من باب الصـدق أغلب ما قرأته لم أفهمه جيدًا _مع ذلك أسـهم في تمتين علاقتي بالعربية_ عدم فهم التفاصيل وقتها هو ما اضطرني إلى إعادة القراءة من جديد في سنوات لاحقة.

أستطيع أن أجزم أن أواصر الصلة بيني واللغة العربية هنا بدأت تأخذ طابعًا مغايرًا، وتتجه نحو اتجاهات جديدة.

تمر الأعوام تنمو معها طمأنينة بأن النهم مجهول الكنه قد سـكن، خدرته القراءة والإطلاع، لكن رحم المجهول كان يخبئ خلافًا لما كنت أتصـور، أي أنه كان الهدوء الذي تليه العاصـفة، إذ أن العطش الذي كانت تسكنه القراءة عاد بشكل جديد، لم يعد المهدئ القديم ذي نفعًا معه.

كان يدفعني للتخيل أثناء مطالعة نصوص أدبية، أتساءل كثيراً أسئلة من شاكلة،

ماذا لو سلك البطل في الحكاية مسلكًا مغايرًا؟

ماذا لو لم يمت، أو ماذا لو مات غرقاً بدلًا عن الموت إثر حادث سير؟

وهكذا انهمك ذهني ينتج أسـئلة متكررة دون أجوبة، أو في أفضـل الأحوال مع إجابات غير مرضـية، ولا مشبعة.

ما كان يجعلني لا أطيق صبرًا للاستماع لحكايا والدتي في الماضي، هو عينه الذي دفعني للقراءة المتواصلة، وبمرور الوقت ولدت أسـئلة أرقت مضجعي مذ كنت طفلًا مشـاكسًـا، إلى أن صـرت صـبيًا صـامتًا أغلب الوقت، غارقًا متفكرًا في سحر نص شعري، أو متأملًا في دلالة بلاغية وجدتها في صفحة كتاب ممزق قديم.

تسـميتي لنواة العلاقة بيني وبين اللغة العربية بالبداية الملتبسـة، قد يبدو شـيئًا غريبًا، وهو ما يحتاج لإضاءة لذا اسمحوا لي أن أستعين بحكايتنا في البداية لتوضيح الأمر بالتعريف بالطفلين في القصة. طفل سـتينات القرن الماضـي _ذلك المعاقب باسـتمرار_ كان والدي، والذي أسـس في شـبابه مكتبة ضـخمة ومتنوعة كانت مدخلًا مشـرعًا، نافذة مفتوحة على مصـراعيها لأدخل عوالم اللغة الباذخة، فضـاءات كتاب أسهموا في تعميق علاقتي باللغة العربية ،أما طفل تسعينات نفس القرن هو.. أنا نفسي.

كيف أقول "أحبك" للغة العربية باللغة العربية ؟!

وقاص الصادق :

لا تبدو اللغة شــيئًا مهمًا حينما تحاول إقناع طفل بأن يشــرب كوب حليب مثلًا .. لكنها مهمة فيما بعد لتشــرح له تعقيدات الحياة .. ولا تبدو مهمة أثناء جلوســك على الشــاطئ متأملًا البحر الممتد بلا نهاية، النوارس التي تدغدغه، الأمواج المتصــارعة على اللاشــيء، أنت لا تحتاج اللغة أثناء تأملك هذا، لا تحتاج لكلمة "بحر" أو "أمواج" أو "شاطئ"، لكنك ستحتاجها لو طلب منك شخص مثلًا أن تصف المشهد له ..و لا تكون اللغة مفيدة أيضًــا حين تتذكر لحظة حزن أو فرح ســابقة ، لكنها تكون مفيدة حين تحكى عنها لشخص آخر؛ فأنت لن تبكي مرة أخرى أو تضحك له ليفهم !

إذن اللغة هي اختراع احتاجه الناس حين احتاجوا التواصــل فيما بينهم، وحين تكاثرت عليهم الأشــياء والأدوات والاكتشــافات والعلاقات، وحين اســتصــعبوا اســتيعاب واســتذكار الأشــياء بمعانيها في كل مرة .. فلجئوا للرمز.. إذ أعطوا كل شــيء اســمًا يرمز له، ثم مع مرور الزمن اســتمد شــرعيته فقط من اتفاقهم عليه، فتشــكلت الأســامي وتغيرت في ظروف منوعة وأزمنة طويلة ، صــار الحزن "حزنًا"، والفرح "فرحًا"، واتفق الناس أن الكرة التي تشرق صباحًا هي الشمس، و أن الشيء الأبيض في سماء الليالي هو القمر، وأن الذي يجري على أربع هو غزال، وأن ذلك الذي يلاحقه هو الأســد، "رغم أنه كان من الممكن يتعاكس اسميهما ببساطة"، وأن الذي يحدث بينهما الآن يسمى "مطاردة". صار الذي يتنزل من العيون دمعًا، سواءً تنزل من عيني طفل فقد لعبته أم عيني أم فقدت ابنها للتو! .. واللغة هنا تجعل الحزنين -في قلب الطفل و قلب الأم- حزنًا واحدًا .. رغم اختلافهما الكبير.

يمكنك إذًا مما سبق أن تفهم عيب اللغة الواضح، أنها مجرد رموز ميتة وكلمات سطحية تختزل وتختصر معاني عظيمة وعميقة، فلا حزن يشــبه آخر ولا فرح يشــبه آخر، ولا حب يشــبه آخر، أما اللغة فتجعل كل ذلك متشابهًا.

لكن ورغم عيوبها فإنها ضــرورية للحياة الإنســانية، التي يعد فيها التواصــل أكبر آلياتها، التواصــل مع الناس، مع الأشياء، التاريخ، المستقبل .. كيف عرفنا الأقدمين وحضاراتهم وقصصهم، مشاكلهم، حلولهم،

مآثرهم؟ عن طريق اللغة .. كيف سيعرفنا القادمون؟ .. كيف سنعرف بعضنا ونفهم بعضنا أكثر، كيف سنتحاور وكيف سنتقدم إذًا سوى بطريق اللغة! ..

لذلك انتقلت اللغة من مجرد ضرورة وأداة لدى الشعوب إلى إرث وثقافة ومحفل ورمز وهوية .. يتباهون بها ويتغنون، ويروون بها قصصهم، بطولاتهم، يضاهون بها الآخرين، وحتى يحاربونهم بها، حاملين هذه الراية الشعراء والرواة، مدافعين عن شعوبهم ومجدهم ولغتهم، ومؤرخين لسيرهم وأثرهم على الأرض .. مما ضخ فى هذه اللغات عاطفةً وعمقًا وجذورًا وتماسكًا، ثم مع تكاثر الحكايا والمرويات واشتباكها وتداخلها .. أتى عنصر الخيال في الشعر و الروايات والقصة، ليزيد من هيبة اللغة والكلمات، ويجعلها وكأنها عالم لوحدها، عالم يمكن أن تنشأ بداخله العوالم التي تريد، فحينما تخلق بيتًا داخل حكاية ثم تبدع في وصفه وفي وصف الحياة التي بداخله .. فستبقى هذه الحكاية لأجيال عدة، وحينها سيكون هذا البيت -الذي في حكايتك - أرسخ من بيوت حقيقية على أمكنة حقيقية في هذه الأرض .. إنها قوة الكلمات.

هذا عن اللغات بشكل عام .. أما عن لغتي أنا تحديدًا .. اللغة العربية .. فيمكنني اختصار علاقتي معها بأن أقول لكم أنني "أحبها" أو "أعشقها"، ولكن ذلك لا يعني الكثير حقًا! .. فماذا تعنى كلمة "أحبك" بالنسبة للمشاعر التي تموج في قلبك لحظة قولك لها ؟! .. لا تعني أي شيء .. "وربما حتى اللغة العربية غير كافية للتحدث عن جمال اللغة العربية !" .. لذلك أنا مضطر لتوضيح ماهية هذه العلاقة لكم .. إذ يقال أن هناك حب سري وفطري ينشأ بين الشخص وهويته مثلًا بين الشخص ووجهه في المرآة، وخطه الرديء، وبلده، كلنا نحب هذه الأشياء حتى وإن أنكرنا؛ لذلك يسمونه "حب سري وفطري"، ومن هذه الأشياء التي نحبها فطريًا هي لغتنا الأم، فما بالك لو كانت هذه اللغة هي "العربية" .. هذا ليس انتقاصًا من اللغات الأخرى، ولكن افتخارًا بلغة مشهود لها بالجمال والكمال "إن وجد" ! .. فاللغة العربية من أكثر لغات العالم انتشارًا، إذ يتحدث بها يوميًا ما يقارب الخمسمائة مليون شخص، وتتسم بالروعة والدقة والعذوبة والشباب المتجدد، وهي لغة خاصة عند المسلمين، نزل بها القرآن الكريم عربيًا مبينًا فكان معجزة تحدى بها الرسول كل الناس أن يأتوا بمثل لغته وبيانه، وكانت في زمن ما ولقرون طويلة لغة العلوم والفلسفة و الأدب والسياسة، وتعد العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية، إذ يحتوي مثلًا معجم لسان العرب الذي جمع في القرن الثالث عشر أكثر من 80 ألف مادة.

وهذا كلام عام أيضًا.. فماذا عن علاقتي الشخصية بها .. يمكنني القول أنها بدأت منذ تأتأة الطفل الذي كنته بأولى الأحرف والكلمات، ثم مع اشتياقي لتعلمها حينما كنت على أعتاب الصف الابتدائي الأول، كانت

تغيظني مانشــيتات الجرائد .. يراها الكبار فيفهمون شــيئًا وأراها أنا فلا أفهم أي شــيء، وكذلك الكتب واللافتات وأوراق الحلوى وهكذا، ويغيظني رؤيتهم يكتبون، وأنا حين أمســك القلم لا أكتب إلا شــخبطة تضحكهم، لذلك بدأت علاقتي باللغة للمرة الثالثة - بداية حقيقية - حين تعلمت الحروف.. أ ب ت ث .. أ أســد ، ب باب .. لم تعد هذه الرموز ألغازًا بل تشــكلت إلى معاني وأفعال، كنت أعرف الأســد والباب فيما قبل، ولكني الآن أقرأهم في الكتاب وحدي، فكأن الأســد يزأر بصــوته المرعب،وكأن الباب الذي في الكتاب يفتح لي بكلتا ضلفتيه .. إنها الفرحة التي غمرتني بشدة؛ فرحة إكتشاف هذا الشيء المسمى اللغة.

ثم حثيثًا حثيثًا نمت علاقتي معها، وأســاس العلاقة كان الاندهاش؛ اندهاش مع كل نص جديد أقرأه أو قصــيدة في مادة اللغة العربية، فصــرت أبادر إلى قراءة منهج اللغة كاملًا منذ أول أســبوع في الســنة الدراســية، ثم أعيد قراءته مرارًا وتكرارًا بلا ملل، فكأني مع قراءتي لكل قطعة أدبية أقع في حب اللغة مرة أخرى، كأني أبدأ علاقتي معها من جديد، كنت أحيا بين الكلمات، كالطفل الذي يتحرك بين ألعابه ويظنها حقيقية، فأنا لم أر من قبل أسدًا يفتح فمه أمامي؛ لكني خفت حين وصف الكاتب كيف فتح الأسد فمه! .. لم أر سيولًا تهاجم البيوت وتكسرها؛ لكنها أرعبتني حين وجدتها في النص .. لم أفهم ما هو حب الوطن إلا حين اعتمل بصدري ذلك الشعور الدافئ المائل للحرارة حين صرنا نردد نشيد الاستقلال بصوت عال .. تلك الكلمات كانت مفاتيحًا لأشياء في الداخل .. لذلك توطدت علاقتي مع اللغة، ونتج عن ذلك أني صرت مذيع الصــف في برنامج الطابور الصــباحي، أجتهد كل مرة في اختيار أجمل المقدمات وأعذب الكلمات .. ونتج عن ذلك أيضًا أني صرت الأسرع قراءة في الصف وبلا أخطاء .. ونتج أيضًا أن ألفت أول قصيدة لي حينما كنت في الصــف الســادس -وكان ذلك فتحًا مبينًا- ؛ إذ انتقلت من مرحلة التلقي إلى مرحلة الخلق بعد أن فهمت _دون أن أدرك ذلك حينها_ أن اللغة ليســت ملك أحد، وأنه كما كتب الآخرون هذه الروائع بها يمكننا أيضًا أن نجرب، فلابد أن هناك قصائد لم تكتب بعد .. وقد كانت قصيدة رديئة جدًا رغم أني لا أتذكر منها الآن سوى شغفي لحظة كتابتها.

تطورت علاقتي باللغة منذ ذلك الوقت .. إذ مع تزايد قراءاتي تعاظم حبي للأدب ووعيي به وبأســاليب البلاغة والاســتعارات والتشــبيهات والتعابير، فالشــعراء والكتاب في التاريخ كله ســاهموا في تقليل الهوة والفجوة بين اللغة وبين التواصــل والفهم الصــحيح بين الناس، فقللوا من جفاف الكلمات واختصــاراتها ليصــيروها ناضحة بالعاطفة، ثم مع الوقت صــارت الكلمات عاطفة مستقلة وعالما متكاملًا .. أنظر لهذا البيت مثلًا لعنترة كيف يصف احتدام المشاعر المختلفة:

فوددت تقبيل السيوف لأنها .. لمعت كبارق ثغرك المتبسم.

وانظر للموسيقى والحميمية في بيت أحمد شوقي هذا:

هلا هلا هيّا اطوي الفلا طيّا -- وقربي الحيّا للنازح الصبِّ

والكثير من الأشعار التي قرأتها في تلك المرحلة لتؤجج نار حبي للكلمات، فتظهر علي آثار سنوات من التعلق باللغة العربية متمثلة في بداية تشكل شخصيتي الأدبية .. إذ لما كنت في الصف السابع كانت أستاذة اللغة تبتسم وتمدحني في كل مرة تصحح فيها واجبي فتقول: "أنك بارع في صياغة الجمل الأمثلة" .. ويا لها من فرحة كانت تجتاحني، بعد كل هذه القصائد والكتب والكتاب والتاريخ كله أكتب أنا جملة فتجعل آخر يبتسم معجبًا بها ! .. يا له من شيء جميل لتكون بارعًا فيه .. ثم في الصف الثامن كانت الأستاذة في كل حصة تأخذ مني كراس التعبير وتقرأ للطلبة جميعًا آخر تعبير كتبته ! .. ويمكنكم تخيل الغبطة التي أكون فيها أثناء تلك الدقائق، آه كم أريد أن أعود بالزمن لأعيشها مجددًا .. لكن للأسف الزمن لا يرجع .. لذلك نحمل قلمًا ونستعين باللغة للكتابة عن الأزمان التي نتمنى رجوعها ..

ثم بعد ذلك أتت فترة نهم قرائي، اطلعت فيها على الكثير من الكتب والأشعار الروايات خصوصًا المكتوبة في عصرنا الحديث .. والتي تعبر عن قضايا الحاضر ومشكلاته .. الأشعار المتمردة والثورية مثلًا لدى محمود درويش وأمل دنقل ونزار قباني وغيره، إذ كانت بداية عهدي بالشعر الرمزي الذي يعطي الكلمات معاني أخرى، نذكر الحبيبة مثلًا ونقصد الوطن، كأن هذه الرمزية تذكرنا بالسيرة الأولى والحاجة الأولى للغة _أنها مجرد رموز لأشياء ومعاني أكبر_ وهو أسلوب تحريري للكلمات وللمعاني يتمردون به على قواعد اللغة و الكتابة نفسها متحررين منها كما يتوقون للتحرر من الظلم والرقابة والسلطات والحكومات المستبدة .. كذلك قرأت للطيب صالح ونجيب محفوظ لأفهم عبر سردهم الباذخ تعقيدات الحياة والنفوس وتصارع الحضارات والقيم .. ثم وعيت أكثر لموقعنا في هذا الصراع العالمي العظيم، على الحافة ! .. في الهامش، بين الأرجل، مصائرنا في يد غيرنا، تقهقرنا فتقهقرت اللغة معنا، قل بريقها وألقها واقتصت أجنحتها الطموحة التي كانت مستعدة لأن تحلق بها لأعال بعيدة، وذلك يوم أن تنازلنا عن النظر لأعلى، واكتفينا بالتلفت لبعضنا والصراعات والحروب والخلافات الدينية والعنصرية والقبلية والتنافس المقيت هذا، فتوقفت اللغة مثلنا عن مواكبة العصور وحجز مكان لها وسط لغات اليوم المسيطرة على العلوم والثقافة والفلسفة والتاريخ، وحتى عن التدريس بها في الجامعات وحتى التعاملات اليومية العادية والحوارات البسيطة التي آلت للهجات تبعد كل يوم عن العربية، بل وقد تتحول للإنجليزية التي صارت رسمية فى بعض البلدان العربية.

أنا أحب اللغة العربية، وأكتب هذا الكلام من منطلق الغيرة عليها، إذ أريد لها أن تتبوأ مرة أخرى مكانة أكبر فى عالم اليوم، واثقًا بأنها تملك إمكانات التعبير عن تعقيدات الحاضر ومواكبة العولمة، أريد أن أراها

لغة العلوم مرة أخرى، لا أريد أن أرى فرار الناس منها لغيرها، ليس انتقاصا من اللغات الأخرى، ولكن تجنبا لظلم هذه اللغة الغنية الثرة والجميلة، فكل اللغات في النهاية هي وسيلة لتحقيق أكبر قدر من التواصل، وسيلة لفهم الآخر وتجنب سوء الفهم بقدر الإمكان، فرغم مساوئ اللغة عموما ورغم اختزال الكلمات لتلك المعاني العميقة.. لكنها الطريق الوحيد للأمام .. قد لا تبدو شيئا مهما حين تحاول إقناع طفل بأن يشرب كوب حليب؛ لكنها مهمة فيما بعد لتشرح له بها تعقيدات الحياة .. وقد لا تبدو مهمة أثناء جلوسك على الشاطئ متأملا البحر الممتد بلا نهاية .. لكن هل تشعر حقا أنك ترى البحر الآن وتتأمله جيدا .. أم أنك تتأمله في ذاكرتك عبر أشعار تصفه... عبر قطع أدبية تريك كيف تتصارع الأمواج أو تريك شفق المغيب .. كما الطيب صالح: "شفق المغيب ليس دمًا بل حناء في قدم امرأة".

أنا مثلًا لم أر ثلجًا متساقطًا في حياتي إلا عبر التلفاز، وعبر التلفاز كان منظرًا عاديًا ومملًا، لكني أحسست به حقًا و ببرودته وكأني أراه أمامي حين قرأت بيتا للشاعر الإنجليزى جويس كاري يصف فيه صباحًا ثلجيًا قارصًا ..

"الثلج على العشب يشبه ضوء القمر الكثيف" ..

الحقيقة لا أعرف حقًا كيف أقول"أحبك" للغة العربية باللغة العربية! .. فحين أقول هذه الكلمة.. كل شخص سيفهمها فهمًا مختلفًا .. "على طريقته وحسب اتساع ماعونه" .. لذلك فالأجدى ألا أقول الكلمة ذاتها .. بل معناها .. الأجدى ألا أقول "أحبك" بل أن أفعل هذا الحب وأمارسه .. وحبنا الحقيقي للغة يتجلى في ممارستها .. سأتحدث بها كثيرًا .. سأحترم قواعدها ونظمها .. سأقرأ أدبها ولأفضل من كتبوا بها .. ثم سأكتب بها الكثير من النصوص .. فربما هكذا تقال "أحبك" للغة العربية.

اللُغَة .. كأداةٍ للخَلقِ

محمد عمر جادين :

دائمًا ما أقف عاجزًا أمام اللُغة، وذلك أثناء محاولتي استجلاء كُنهها وفهم ماهيتها وصولاً لمعرفة أسرارها وكشف خباياها، وهي من أعقد الأشياء وأصعبها. فإذا كنت تجهل لغة ما، ستبدو لك حروفها وكلماتها كالطلاسم الغامضة، وستصبح النصوص المكتوبة بها ألغازًا من المستحيل فهمها، ولذلك دائمًا ما تُحيرني الأسئلة التي تحاول البحث عن بدايتها والكيفية التي نشأت بها تراكيبها، ومن ثم تكاثرها لتبلغ حوالي سبعة آلف لُغة في عصرنا الحالي ! هذا غير ملايين اللهجات التي تتفرع منها، فهل كانت لُغةً واحدةً في الأساس؟ أم أن أصلها يعود إلى لغاتٍ متعددةٍ نشأت بالتزامن وبمعزلٍ عن بعضها؟

لا أحد يستطيع معرفة ذلك حاليًا، فكل الذي نعرفه أن هنالك رموزًا تحولت إلى لغاتٍ مع مرور الزمن، ولكنا نجهل كيفية هذا التحول، ومقدار الزمن الذي استغرقه بالتحديد. كما وأن هذه الرموز تتوزع في الكرة الأرضية بشكل لا يمكن معه معرفة إلى أيها تنتمي اللُغة أو اللُغات الأولى، كل ذلك لعدم وجود وثائق تُخبرنا بالتّشكُل الأول للّغة، فهي في الغالب قد نشأت شفاهية ثم دونت بعد ذلك، فمعظم النقوش والكتابات على جدران الكهوف والمعابد والتي تحمل رموزًا يمكن أن نُطلق عليها أبجديات لغوية وجد أن تاريخ ظهورها متأخر جدًا مقارنة بتاريخ وجود الإنسان. فقد ظل الإنسان لوقت طويل لا يَعرف الكتابة والتدوين، واقتصرت وسائل التواصل بينه وبين بني جنسه على الإشارات والمفردات البسيطة جدًا، بتراكيبها المحدودة، ثم أخذت اللغة تنمو وتتطور شيئًا فشيئًا بتطور الحياة الإنسانية، فهي تُعتبر من محفزات هذا التطور أيضًا، فلولا اللغات المكتوبة لما كان هنالك تدوين وحفظ لمختلف المعارف والعلوم المكتشفة، ولكانت خبرة الإنسان ستقتصر على الفترة الزمنية التي يعيشها فقط، ولما أستطاع نقل هذه الخبرة إلى الذين سيأتون بعده إلا بقدرٍ ضئيلٍ جدًا، ومن خلال الإطار الذي يسمح به الاحتكاك المباشر بينه وبينهم. فالتّميُز الذي ناله الإنسان على الحيوان كان بفضل امتلاكه لمهارة النطق، والتي تتطلب وجود اللُغة، والتي تعمل هي الأخرى على اكتساب الإنسان للمعرفة، فالعقل لا يمكن أن يعد عقلًا إلا باحتوائه على المعرفة، وبتأملنا الفاحص الدقيق للحياة الإنسانية منذ نشأتها وحتى الآن، نجد أنها قد تطورت بتسارعٍ هائلٍ جدًا نتيجةً لتطور اللُغة، وكأنها تعمل بشكل أو بآخر على خلق هذه الحياة، فحتى الأديان نفسها نجدها تتحدث عن اللُغة كأداةٍ من أدوات الخلق والسيطرة والتغيير، فهي تصور التأثير الحادث من الآلهة التي تمت عبادتها قديمًا وحديثًا على الموجودات والكائنات بأنه يتم بواسطة استخدام لغات

معينة لها مفردات شــديدة التأثيروليس بالضــرورة أن يتم إدراكها من قبل البشــر، كما ونجد أن هذه الأديان في الأســاس ترتكزعلى نصــوص مكتوبة بلغات متفرقة لإيصــال رســالتها وكذلك تســتخدم لغات متفرقة للتواصل بين الآلهة ومن يعبدونها خلال أدائهم للطقوس التعبدية مع وجود أشكال حركية في هذا التعبد، فلولا هذه اللغات لما كانت هنالك أديان ولما كان هنالك مؤمنين. وحتى القوى الغامضة التي يمكن أن نسـميها مجازًا سـحرًا، ما هي في الأســاس إلا اســتخدام لكلمات وعبارات مركبة بصـورة معينة لتعطي دلالات خاصــة جدًا، تحدث بها هذا الأثرالقوي الناتج عنها. فالكلمات ليســت مجرد رســم وإنما هي قوى حيةٌ تتحرك وتتفاعل وتؤثربصورٍ مختلفةٍ جدًا.

يتعلم الإنســان اللُغة بشـكلٍ لا واعيٍ، وهوما يزال طفلاً، ويمكنه بعد ذلك أن يفهم ما يسـمعه، وينطق به، ليتواصل مع غيره بكل سـهولة ويسـرعبرالكلام المكتسـب عن طريق هذه اللُغة، ولكنه لن يسـتطيع إتقانها بشــكل حقيقي إلا بعد أن يتعلم القراءة والكتابة، فهما المهارتان اللازمتان لاكتســاب المعرفة، وبِدونهما يظل الإنســان جاهلاً مهما كان فصــيحًا. فلا معرفة بدون قراءة وكتابة، ولا معرفة بدون إتقان اللغة. وعمليتي القراءة والكتابة نفســهما تســاهمان في حفظ اللغة وتطورها، كما تســاهم هذه اللغة بشــكل مباشرة في ترقية الوعي الإنساني وتقدمه. فمعظم اللُغات الحية في يومنا هذا كانت في يوم من الأيام حاملةً للمعرفة، وحاضــنةً للعلم، وضــمنت بذلك بقاءها واســتمراريتها، وما اندثرت الكثيرمن اللُغات إلا حين عجزت عن أن تكون كذلك، فاللغة مثل الكائن الحي، تنمووتتقدم بالتغذية والعناية، وتموت وتندثر بالإهمال وعدم الاكتراث، وما اللغة إلا حياتنا الحقيقية، فبها نســتطيع إدراك الأشــياء، وبها نعقل ونفهم المجردات، وبها نتواصل مع غيرنا، وبها نفكربيننا وبين أنفسـنا، فمن المسـتحيل أن تجد شـخصًا يسـتطيع التفكيربدون لغة، فاللغة حاملة الفكروحاضـنته، وكلما أسـتطاع الإنسـان تجويد لغته كلما ارتقى فكره وســما أكثر، لذلك نجد أن معظم الأدباء والمفكرين والفلاســفة البارعين هم أصـحاب لغة ناصــعة في الأســاس، واســتطاعوا من خلال امتلاكهم لنواصــي اللغة والتمكن من مهاراتها أن يبدعوا وينتجوا ما لا غنى لنا عنه من المؤلفات والنظريات في شــتى المجالات. فكثيراً ما نقرأُ كتاباً وتدهشــنا اللغة الجذلة والرصــينة المكتوب بها، فنتعجب من قدرة كاتبه وتمكنه من صــياغته على هذا النحو، وما ذلك إلا دليل على أن اللُغة نفسـها مرنة، وقابلة للتشكل والتطويع، ويمكن لمن أمتلك أسـرارها أن يشـكلها كيفما يشـاء، دون تشــويهها أو الإخلال بقواعدها الأســاســية، وهذا ما يجعل الكثيرين يحاولون دائمًا ابتكارتراكيب جديدة في كتاباتهم، مما يجعلهم ينتهجون أســاليب مختلفة ومغايرة عن ســواهم، فهم دائماً ما يجترحون

مفردات جديدة أويكسبون المفردات القديمة معاني جديدة، وهذا ما يجعل نصوصهم ومؤلفاتهم تضج بالحيوية وتنضح بالدهشة، فلا شيء أمتع من أفكارٍوأخيلةٍ وصورٍ وتراكيب مكتوبةً بلغةٍ مدهشةٍ وجذابةٍ.

دفع التطور الكبيرالحادث في اللُغة وتراكيبها وطريقة استيعابها وفهمها مجموعة من المفكرين والفلاسفة والعلماء لدراستها والتعمق فيها بشكل مستقل، مما قادهم إلى معرفةٍ عظيمةٍ حولها.حيث كشفت العديد من الدراسات العلمية مدى تأثيرها على النمو العقلي للإنسان، وارتباطها الوثيق بسلامته النفسية. فاللُغة تعد أحد أهم العناصرالتي تساعد في تكوين الشخصية السليمة للإنسان، فالإنسان الذي يمتلك المهارات اللغوية الشاملة يستطيع التواصل مع ذاته ومع غيره بدون أي عوائق، كما وأنه يستطيع تلقي المعارف والعلوم ومن ثم فهمها بدون أي مشاكل، فكلما تعلم الإنسان اللُغة في سن مبكرة وأتقنها، كلما أصبحت فرصته في النبوغ والإبداع أكبر. فالأطفال يتعلمون اللُغة بسهولةٍ ويمكنهم تعلم أكثرمن لُغةٍ بدون عناء، لذلك نجد أن الأطفال الذين يدرسون في مدارس بها مناهج تعليمية تتضمن أكثرمن لُغةٍ واحدةٍ يكونون في الغالب أكثرذكاءً وقدرةً على الاستيعاب من أقرانهم اللذين يتعلمون ويدرسون بلُغةٍ وحيدةٍ، كما وأنه تزداد صعوبة تعلهم للغات جديدة كلما تقدم بهم العمر. حيث أثبتت مجموعة من الأبحاث أيضًا أن الأشخاص الذين يمتلكون القدرة على التحدث بأكثرمن لغةٍ يستطيعون التفكيرفي المعضلات وحلها بسرعة أكبرمن أولئك الذين يتكلمون بلُغةٍ واحدةٍ.ولا يخفى على أحد كمية المعرفة الضخمة التي يمكن أن يجنيها شخصٌ ما من خلال تعلمه لأكثرمن لغة، فهو بالتأكيد ستتاح له فرصة الاطلاع على ثقافةٍ أخرى، بما فيها من عاداتٍ وتقاليد وآداب وعلوم ومعارف، وسيستفيد من هذه المعرفة بشكل كبير، بالإضافة إلى أن ذلك سيساعده في التواصل بسهولةٍ وسلاسةٍ مع الأفراد الذين يتحدثون باللُغة التي أصبح هو يعرفها، ويمكنه أن يرتقي لأكثرمن ذلك فيترجم المؤلفات الموجودة في إحدى اللغات التي يجيدها إلى أخرى، وهذا الفعل تحديدًا هو ما ساهم في نهوض وتقدم كثيرٍمن المجتمعات والدول. فمن المعروف أن معظم التراث الإنساني المعرفي قد تم نقله وتداوله بين الحضارات المختلفة وعبرالحقب الزمنية المتعاقبة عن طريق الترجمة، فلولا إمكانية تعلم اللغات المختلفة ومن ثم إمكانية الترجمة للنصوص المختلفة من لُغةٍ إلى أخرى لكان الناس يعيشون على الأرض في مجتمعاتٍ معزولةٍ، دون أي تواصلٍ بينها أو تبادلٍ للمعرفة، ولكانت المعرفة الإنسانية متأخرة جداً الآن عن ما هي عليه. ومن كل ذلك يتضح لنا الدور العظيم الذي تقوم به اللُغة في الحياة، فهي إحدى ركائزها الأساسية، ومن دعائم تقدمها وتطورها، فلا أعتقد أنه يمكن أن يكون هنالك شكل من أشكال الحياة العاقلة والراقية دون أن يكون لها لُغة أوعدة لغات تستخدمها بشكل مستمروبصورة ميسرة.

شــغلت اللُغة الكثيرين من الفلاســفة وحازت على اهتمامهم بشــكل كبير منذ فجر التاريخ، وذلك لأنه لا يمكن أن تكون هنالك فلســفة بدون لغة، ولا يمكن لأحد ما أن يشــتغل بالفلســفة وهو جاهل باللُغة، فاللُغة هي الوعاء الحاضــن للفلســفة والفكر معاً، ولذلك فهي ســابقةٌ عليهما، ولكنها تتفاعل معهما باســتمرارٍ. وبالرغم من انشــغال الفلاســفة باللُغة واهتمامهم بها إلا أنه لا يمكن القول بوجود فلســفةٍ خاصــةٍ باللُغة إلا بعد بداية القرن العشــرين، وذلك بظهور مجموعة من الفلاســفة الذين اهتموا باللُغة بشكلٍ خاصٍ، ويمكن وصفهم بأنهم فلاسفة لغويين بامتياز. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: فريدنان دي ســوســور، برتراند راســل، نعوم تشــومســكي، هانز جورج غادماير، وجاك دريدا، فقد قام هؤلاء الفلاسفة مع غيرهم بتطوير فلسفة اللغة ووضع علوم مختلفة تختص بدراسة اللغة والنصوص المكتوبة بها والخطابات الناتجة عنها، منها عِلمُ اللِسَــانيات أو عِلمُ اللُغات (Linguistics) وهو العِلمُ المختص بدراســة تاريخ اللُغات وكيفية نشــوء مفرداتها وتراكيبها، وكذلك يدرس تشــابه اللُغات واختلافاتها عن بعضها. حيث يتم بواسطته تحليل ودراسة طبيعة المفردات اللُغوية وتتبع تاريخ ظهورها وأشكالها الأولى التي كانت عليها، فهو لذلك يستعين بعلم التاريخ وعلم الإنســان والكشــوفات الجغرافية في الوصــول إلى هدفه. وقد أدى اســتخدام علم اللســانيات وتداوله إلى ظهور علومٍ أخرى متفرعةٍ منه ومرتبطةٍ به كعِلم المعنى أو عِلم الدلالة (السِــيّمنطِيقَا)، وهو من العلوم اللُغوية المختصــة بشــكلٍ أســاســي ومحدد بفهم وتوضــيح الكيفية التي تنتج بها اللُغة المعنى، وذلك عن طريق فهم البنية الأســاســية للمفردات اللُغوية والعلائق التي تربطها في ما بينها لتنتج عبارات ذات معاني محددة، فكل اللُغات في الأســاس تتشــكل من حروف أو مفردات تتركب مع بعضها لتعطي الكلام المنطوق أو المكتوب، والذي يتشكل على هيئة رموزٍ يتم تفسيرها بعملية القراءة، والتي من أهم أهدافها فهم الكلام المكتوب والوصول إلى معناه، كما يحدث عند سماع الكلام المنطوق. ولم يتوقف العلماء والفلاسفة عند هذا الحد في فهم اللُغة وأصلها وكيفية إنتاجها للمعنى بل ذهبوا لأبعد من ذلك في رحلة بحثهم وتقصيهم وتعمقهم خلال النصوص، فوضعوا علم التفسير أو التأويل (الهِرمِنيوطيقَيا) وهو يعد أحد أهم العلوم المســتخدمة في تحليل وفهم النصــوص اللغوية، وبالرغم من أنه أتي بعد عِلم الدلالة ويكاد أن يكون مستقلاً عنه إلا أنه يرتبط به وبعِلم اللِسَانيات ارتباطاً وثيقاً، فهذه العلوم الثلاثة تعمل بشكل مترابط ومتكامل، ولا يمكنها الاستغناء عن بعضها حاليًا، فحيث يقوم علم اللغات بالكشــف عن تاريخ اللغات وأصــل مفرداتها وتراكيبها، يأتي علم الدلالة ليكشــف عن معانيها الواضحة وما تشير إليه من مضامين ظاهرة، ويتبعه عِلم التأويل بالكشف عن المعاني والمضامين الخفية والمستترة، فهو يحاول الوصول إلى ما وراء تلك النصوص ولا يكتفي بما يعلنه ظاهرها فقط. وقد كشــفت العديد من الدراســات التي اســتخدمت فيها علوم اللِسَــانيات والدَلالة والتأويل مع بعضــها عن

حقيقة كثير من النصوص المزيفة، سواء كانت فلسفية أم دينية أم أدبية أم غيرها، والتي تم نسبتها زورا لأشخاص عاشوا في فترات تاريخية مختلفة، كما وتم التحقق من صحة الكثير من تلك النصوص من حيث تركيبها اللغوي ومعناها الأساسي ومعانيها المضمنة، وذلك بمعرفة مدى تماسكها الداخلي من عدمه، ومعرفة مدى تطابق معانيها المتداولة مع معانيها الحقيقية، بالإضافة إلى تأويلها تأويلًا يستند إلى أسس علمية ومنهجية وليس إلى أذواقٍ وأهواءٍ وادعاءاتٍ، وهو ما يوضح أهمية هذه العلوم وضرورتها الملحة حالياً للتمييز بين ما هو أصيل وحقيقي وبين ما هو دخيل ومزيف.

كانت اللُغة وستكون دائمًا واحدةً من أهم عناصر اشتغال الكائن البشري، فهو يؤكد وجوده من خلالها عن طريق معرفته بذاته ومعرفته بما يحيط به، كما وأنها الوسيلة الأمثل لتواصله مع الآخرين، ولذلك نجده دائم العناية بها، فهو يتعلمها ويعلمها للأجيال المتلاحقة من بعده، كما وأنه يستخدمها في تدوين المعارف والعلوم التي توصل إليها في حياته بعد أن استفاد من تلك التي تركها له من عاشوا قبله أو التي اكتسبها من معاصريه، وذلك حتى يضمن وصولها لمن سيأتون بعده. وهذه العملية ستؤدي بصورةٍ طبيعيةٍ إلى تداول اللُغة وكثرة استعمالها، بما يضمن حيويتها وبقائها، ولكن لابد أيضًا من الاعتناء بها والمحافظة عليها، وذلك بالحرص على تعلمها بشكلٍ سليمٍ واستخدامها بصورةٍ صحيحةٍ، والحذر من الاستسهال والتلاعب بها، فكما أنها سهلة التطور والتقدم فهي أيضًا سريعة العطب، وهذا لا يعني أن نستخدمها بصورة جامدة ولا نضيف إليها، بالعكس، يجب أن ننميها ونطورها دائمًا ولكن بصورة صحيحة، ولن يتم ذلك إلا بالفهم والاستيعاب الشامل لها، والمداومة على دراستها وإجراء البحوث حولها، لضمان تنقيتها من كل ما يعتريها من خلل والمحافظة عليها من التدهور والإضافة إليها بما يجعلها دائمًا في قمة حيويتها ونضارتها وفاعليتها.

ما بين السطور

سارة النور :

نحن بالقراءة أقرب لعوالم الآخرين، وبالكتابة أقرب لعوالمنا..

***

حكايتي واللغة العربية لا تقتصـــر على محبتي للكتابة.. ولكنها ارتباط وجداني.. منذ زمن بعيد.. أذكر حينها كنت أقرأ رسائل والدي التي كان يبعث بها من بلاد الغربة.. وقتها لم نكن نعرف الهواتف الثابتة ناهيك عن المتنقلة.. فكانت تلك الرســائل تحمل في داخلها شــوق والدي ومحبته لنا.. وهي وســيلة التواصــل المتاحة لنا.. كنا أنا وأخواتي عندما تصــلنا الخطابات تلتقط كل واحدة فينا خطابها.. وتســارع بفتحه لتســبق بالقراءة.. عادة ما يبتدر أبي خطابه بابنتي الحبيبة.. ولأنني وأخواتي كنا في ســن متقاربة كانت مهاراتنا اللغوية كذلك متقاربة.. فترانا نقرأ الجملة الأولى بصوت واحدٍ واثقين ثم تشق كل منا طريقها عبر السطور متأتة لتكتشف ما أرسل لها من كلمات.. كان ذلك أول عهدي بالقراءة.. ارتحال بالكلمات لتتحول المكتوبة منها في مخيلتي إلى لغة مســموعة بصــوت أبي.. لازلت حتى الآن أحتفظ بتلك الخطابات.. ومن أكثر ما علق في ذاكرتي منها خطاب أرســله لي والدي وأنا بالصــف الرابع الابتدائي.. كان الخطاب يتكون من ثلاث صـفحات.. مكتوب بلغة بسـيطة رصـينة.. يحدثني فيه أبي عن المعرفة وكيفية اكتسـابها والاسـتفادة منها.. كان ذلك الخطاب نقلة كبيرة في نوع المكاتبات بيني ووالدي.. حتى دخلت التكنولوجيا لتنقلنا بعيدًا عن عالم المخطوط من الرســائل.. محبة والدي الشــديدة للقراءة.. كان لها أثر كبير في تشــكيل علاقتي باللغة العربية في تلك الفترة.. وحتى هذه اللحظة أجد منه التشجيع على القراءة والكتابة معًا.

***

يا من لقارئ كلمٍ من يُحاسِبُها..
إن غَادَرت خلفَ الحروفِ الروحُ تَنشُدها..
النورُ فيها ليسَ تُخطِئُه..
عينٌ أحَبت أو قلبٌ بِها اتسمَ..

ليسَ المُسافرُ من بالجَسدِ ارتَحلَ..
بلْ مَنْ تَخَطى دونَ الخُرطِ ما ارتسمَ..

***

عندما انتقلت إلى مرحلة الثانوي بدأ شكل علاقتي باللغة يتغير.. لحصة التعبير الفضل الكبير في ذلك والتي كانت تتميز معلمتنا فيها بالابتكار والحيوية.. فتشكلت في داخلي رغبة أكبر في الكتابة.. كانت علاقتي بالحروف تقوى يوماً بعد يوم.. أقرأ وأتلمس درب الكتابة.. إلا أنني في مرحلة الجامعة ألهتني دراستي عن شغفي.. فاكتفيت بتدوين مذكرات متفرقة.. وملت إلى اللغة الإنجليزية.. وكان في ذلك تحدٍ لنفسي عزز من ثقتي بقدرتي على التعبير بلغة أخرى.. أصبحت أشعر بأن هناك حاجزاً بيني وبين لغتي.. إلى ما بعد التخرج من الجامعة.. وبداية العمل.. بعدها مررت بفترة من الركود في الحياة العملية فراغ ولدّ في داخلي الرغبة في الكتابة من جديد.. ظهور وسائل التواصل الاجتماعي.. معرفة الكثير من المهتمين بالتدوين.. إنشائي لمدونتي الخاصة.. كانت خطوات سريعة في إعادة تشكيل علاقتي والحروف.. بت أكتب لأدون مذكراتي.. بت أكتب لأعرف من أنا.. الحروف أصبحت طريقي لرؤية انعكاسي.. أراني كثيرًا عندما أرتبك ألجأ إلى قلمي إلى حروف أستشف عند قراءتها لاحقاً ما كان يعتريني.

***

أمسكت بقلم وكراسة كانت على طرف مكتبي.. ثم أطفأت الضوء.. فكلما ارتبكت التجأت إلى ظلمة تضيئها الحروف..
"ربي.. ربما ضل صوتي طريقه إليك.. وانشغل قلبي عنك.. ورغم الضوء من حولي داهمتني العتمة.. شخصت ببصري إلى السماء أستنجد بك.. فتذكرت أنك على الأرض أقرب.. عفرت وجهي بالتراب أناجيك.. فهوى قلبي من صدري.. اختفى صوتي.. ما عدت أنا.. وعندما أدركتُني وجدتني بعيدةً تائهة عنك.. وإني لم أجد سوى هذه الحروف.. أحررها لأرد قلبي.. فربما أدركت بقلمي ما لم أدركه بألمي.. أن المعرفة التي أبحث هي مبعث الحياة لا انتهاؤها.. وأن أقرأ في خلوتي، أن دمعي ودمي سيان لولا ارتسام العين يفرقهما.. وأن أبصر على سواد الليل أن النور من هاهنا"
ثم وضعت القلم قرب قلبي ..

***

هكذا حالي مع اللغة العربية مســـافرة في رحابها قارئة.. غارقة في أعماقي كاتبة.. وبين هذا وذاك يظل وتر المحبة بيني واللغة موصول.. أفضلها على غيرها.. وأرسم لنفسي عبرها مساحة من الفرح تسع الكثير من أحلامي..

رب حروف متشابهة ائتلفت.. فسطرت على صفحات قلبي الكثير.

الدال والمدلول في اللغة

مجاهد الدومة :

إلى سن العاشرة كان لدي ذلك الاعتقاد أن الكلمة (الدال) هي تَمثُل للشيء (المدلول)، بمعنى أن كلمة "جبل" مثلاً تنطوي على الجبل نفسه بكل محتوياته وأنها صادرة من الجبل نفسه . وحتى بعد تبيني لخطأ هذه الفكرة إلا أنها ما تزال مدهشة عند معالجتها أدبيًا ، وهو الشيء الذي إهتم به بورخيس وعالجه في أدبيات كثيرة ، أو خوان ماياس في قصته التي تحمل عنوان "بوبريما " حيث يتتبع رحلة نشوء الكلمة على مستويين ؛ المستوى البنائي ؛ المتمثل في كيفية تشكل الحروف بالإضافة إلى سرد تاريخ الكلمة . ومستوى المعنى ما تصبح عليه دلالة الكلمة بعد أن كانت لا تحمل معنى معين . أو إبراهيم مكرم في قصته "كلمة غير قابلة للنطق" – والتي هي معالجة بديعة للفكرة البورخيسية – التي تبدأ بإقتباس من إحدي قصائد بورخيس نفسه يقول فيها : (لو أن الإسم (كما يزعم الإغريقي في الكراتيلو) عبارة عن هيكل الشيء، إذن لكانت الوردة في الحروف التي تتهجى "الوردة " ، ولتدفق كل النيل في كلمة "النيل") ففي هذه القصة يؤثر البطل الصمت لفترة منتظرًا تخلق كلماته التي ليست مجرد كلمات بل تمثل حقيقي لما تدل عليه ، وبعد مدة يقرر معاودة الحديث مجددًا وعند نطقه للكلمات تتخلق مدلولاتها أمامه فمثلاً عند نطق كلمة محيط يتدفق سيل جارف من الماء مكونًا المحيط بكل أشيائه، لكنه يفشل تمامًا في البوح بالعشق وبدلاً عن نطقه لتلك الكلمة التي يحاول التعبير بها عن حبه تتفتح زهرة بنفسج .

وعندما قرأت قصيدة بورخيس المعنونة ب"سعادة" لأول مرة والأبيات التي تحويها شعرت بال"سعادة" حقًا ففي أبيات القصيدة يقول : " رأيت شيئًا أبيض في السماء . يقولون لي أنه القمر، لكن ما علي أن أفعله بهذه الكلمة ، بهذه الميثلوجيا كلها ؟ " فكأنه يؤكد على ضرورة ارتباط/استشعار الكلمة عند النطق بها. حتى وفي حال استعملنا تعريف رولان بارت بأن اللغة معطى اجتماعي كل ما يستطيع الكاتب فعله حيالها هو أن يخلق سياقات/دلالات جديدة خارجة عن الاستعمال المألوف. وفي التراث الديني ففي فكرة الخلق وكيفية استعمال الإله لكلمة "كن" لخلق العالم تأكيدًا على قوة الكلمة وفي نفس السياق يقول الكتاب المقدس "في البدء كانت الكلمة".

ومن الأشياء التي تجعل عدة تأويلات للأعمال الأدبية هي أن العمل الأدبي يمر عبر سلسلة من التحولات، ابتداءً من كون العمل فكرة لدى الكاتب وتحويله تلك الفكرة إلى رموز لغوية ممثلة في عالم الكلمات والجمل ذاك ، وحتى وصول العمل إلى القارئ الذي يقوم بفك وتحليل هذه الرموز وفهما حسب خصائصه اللغوية الذاتية والدلالات اللغوية التي تعنيها تلك الكلمات بالنسبة إليه.

أما بعيدًا عن الحقل الأدبي وباعتبار أن اللغة تستند على خصائص ثقافية وطبيعية تتعلق بالإنسان وأنها شيء منتج كغيره من المنتجات الإنسانية . وعن هذا الأمر بالذات دارت الكثير من المناقشات خلال منتصف القرن التاسع عشر عن ماهية اللغة وهل اللغة ثمة ثقافية أم طبيعية تختص بتكوين الإنسان وذلك بعد ملاحظة غلادستون أن هوميروس في كل أعماله لم يستخدم أسم صفة اللون الأزرق بتاتًا ، ولاحقًا ومع تعميم النظرية على نطاقات واسعة وجد أن كثير من الثقافات مثل قبيلة تيدا في شاد أوسكان قبيلة لاري يواجهون نفس الأمر لكن السبب ليس كما اعتقده غلادستون بأن لدى هوميروس قصور في إدراك اللون الأزرق وأنه إلى ذلك الزمن لم تتطور قدرات الإنسان الإدراكية للون مثلما هي عليه الآن . بل لأنهم يعتبرون الأزرق كدرجة لونية مندرجة تحت اللون الأخضر .

اللغة العربية تكتبني

تغريد علي :

لم تكن "مس تهاني" مُعلمة اللغة العربية بالذات ، إنما كانت تقوم بتدريسنا كل مواد الصف الأول الابتدائي ،لازلتُ أذكُر صوتها و هي تقرأ علينا القطع المقرّرة علينا في كتاب المُطالعة .

كيف تنطقُ كل حرف ، وكل استراحة خاطفة تأخُذها بين جُملةٍ و أخرى وكيف تشملنا بتلك النظرة المُحبّة ، تشجيعها الدائم لي على القراءة ، إطراؤها على طريقة قراءتي ، ولفظي الصحيح لمخارج الحروف .

برنامج المناهل .. و مؤدي الأدوار به :

نصر عناني ، أمل دبّاس ، عبير عيسى ، قمر الصفدي ، ريم سعادة وشفيقة الطّل حينما قالت : شرابُ الخرّوب المُحلى ثم تلتها ابتسامه بعينين مُتسعتين .

أبو الحروف الأهدأ من "السكون" و أقوى من "الشدّة" و أسرع من لمح "العين" .
وكل شخصيات الكارتون التي أحببتُها .

كل ما سبق جعلني بطريقةٍ ما وثيقة الارتباط باللغة العربية .. أُحبها كلغةٍ مقروءة أو مكتوبة .. رُغم أني في بداياتي كنتُ أُصّر على أن أقلب كُراستي و أكتُب بخطٍ عموديّ يتقاطعُ مع الخطوط العرضية المُخصصة للكتابة .

كعبُ كشكول المدرسة بعد نهاية العام الدراسي ، أظنُه كان محظوظاً برسومات العين و الشمس و الورد التي أُشخبطها في ساعات الضجر فيما تبقى من وُريقاتٍ فارغة .. و بين هذه و تلك أنثُر بعض الكلمات الغير مُترابطة ولا شأن لها بشيء .
مر الوقت .. وكبُرت أكثر مما ظننت ،ولما لازمتني عادةُ الصمت ، صرتُ أُثرثر بأناملي .

أفتحُ صفحةً بيضاء و أكتُب في مُنتصفها تمامًا (إنه يومٌ جميل) وعندما يُساورني الشك في أني بالغتُ في حُسن الظن..أُتبعُ العبارة بكلمة(رُبما) مسبوقةً بنُقطتين هكذا (إنه يومٌ جميل .. رُبما)

ثُم أكتب عباراتٍ لا شأن لها باليوم أو شكي به !
لابُد و أن يكون للإنسان صديقٌ ما .. صديقٌ جيد .
ليس بالضرورة أن يكون إنسانًا .. قد يكون طائرًا أو حيوانًا أليفًا .. شجرة وسادة أو دفتر.

من بين كُل تلك الأشياء وجدتُني أكثر سعادةً مع الحروف ، لا أعرفُ على وجه التحديد كيف نما الأمرُ بيننا إلا أنهُ أزهر و أينع .
أعني أنا و الكلمات ..أظُننا أحببنا بعضنا .
تارةً أكتُبها و تارةً تأخُذني بين يديها و تكتُبني .

ما زلتُ سيئةً في النحو و البلاغة رُغم أني أستخدم القاعدة بطريقةٍ صحيحة دون أن أعرف لماذا نصبتُ هذا و جررتُ ذاك .. فقط أنظرُ للعبارة فأقول : نعم يجبُ عليها أن تكون هكذا .

(دفترُك الحميم)..

ليس مخبأ لحظاتك السريّة و مشاعرك الاستثنائية فحسب ،هي تلك الصفحات التي كانت لصيقةً بك في أكثر أوقات مزاجيتك حدةً ، و أكثرها دفئًا و نُعومة .. و حتى فوضــاك .. و كُل ما أسقطتهُ عليها حتى دون اهتمام ، بخطٍ يصعُب عليك لاحقاً قراءتُه و تظلُ لساعاتٍ طوال تُفكر تُرى ما الذي كُنت أقصدُه حينها بهذا الهُراء !!

(الصمت ، التأمُل ، الخيال) متى اجتمعوا في إنسان حسب نظرتي للأمر، لابُد و أن يُصبح كاتبًا .

حتى و إن كان مغمورًا مُهمشًا و لا يقرأ لهُ أي شخصٍ عدا نفسه .

و هكذا بدأتُ كتاباتي الأكثر جديّة ..كان على الورق أن يُشاركني أوقات صمتي الطويلة ، و مُتابعاتي الدقيقة لما حولي ، ثُم نسج دائرةٍ من وهمي تُفسر لي الأشياء و تربطُها ببعضها و إن كان هذا الربط لا يمتُّ للواقع بصله .

أن يُشاركني حماقاتي و أشيائي التي لا أتشاركُها بالعادة مع الآخرين .

كلُّ التلفيقات التي لفقتُّها لوجوهٍ عبرتني في الزُحام .. كأن أقترح بأن هذا الرجُل فظّ و قاسي ف أُلفق له حياةً من مُخيلتي .. أو أنّ هذه السيّدة تبدو أرملة .. و هكذا
بعشوائيةٍ تامة عثرتُ مُصادفةً على فضاء الفيس بوك ، مُربعات صغيرة بلا أسطُر ، و خطٍ مُوحّد يُمكنك أن تقرأهُ بوضوحٍ في أي وقتٍ و لكن مع جفافٍ أكبر..
فهُنا لا يظهرُ الخط مُتعرجًا مُظهرًا ارتباك يديك .
لا يُصبح لونُ الحبر أثقل عندما تضغطُ بشدّة على الحرف .
لا صوت لتقليب الأوراق و بالطبع لا رائحة .
و مع ذلك تعايشتُ بسلمية مع كيفيه الكتابة الجديدة .
و حين وجدتُ أن الخيارات تُتيحُ لي أن يطلّع أحدٌ ما على خربشاتي .. قُلت في سري : لا ضير
و هكذا صار بإمكان الآخرين أن يطلعوا عليها مُبدين إعجابهُم أو امتعاضهم أو أياً كان شُعورهم حيال ما قرءوه .
و بدون ترتيبٍ مُسبق .. أو تعمُّد
وجدتُ أن هذياني يروقُ للبعض .
و بلغ الإعجابُ لدى جزءٍ منهم الحد الذي جعلهم يصفونني ب (كاتبة) .
و هذا أمرٌ مُبهج و مُقلق .. لكن ليس كثيرًا

العربية .. لغة موسيقية

حاتم الكناني :

فَإِنَّ لِثالِثِ الحالَينِ مَعنىً سِوى مَعنى اِنتِباهِكَ وَالمَنامِ

أبو الطيب المتنبي

يلهج المُدرّس عباس الشلاتي، بصوتٍ قويٍّ وصبرِ أيوب مُنشداً: (أَ إِي أُو إِإْ – بَا بِي بُو إِبْ – تَا تِي تُو إِتْ..)، فنلتقطُ موسيقى الحرف ونحنُ حينها لم نتجاوز السادسة، كان ذلك في العام 1989م بمدرسة اليرموك الابتدائية بصفوى – بلدة صغيرة تقع على سواحل الخليج العربي – ها نحن نُردّد: (ثَا ثِي ثُو إِثْ – جَا جِي جُو إِجْ – حَا حِي حُو إِحْ)، هكذا كان يُلقمُنا إياها، صوتًا صوتًا، ورسمًا رسمًا

تكبرُ اللغة في خيال الطفل مُشكّلةً تصوُّراته الأولى، وفي حال اللغة العربية خاصةً فإن طبيعتها تفرضُ فهمَها من خلال موسيقى الجملة كاملة (لا، لم أقصد "فهمها" بل أعني تحديدًا "هضمها")، لا من خلال بنية التركيب النحوي أو الميزان الصرفي فحسب؛ بل تجدهما يتآزران لتحقيق موسيقى الجملة العربية. لغة موسيقية، إنْ قلت إنها لغة شعر، نعم هي لغة الشعر

أصِخْ إلى قراءة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، لتستبينَ وهو ينتقل من مقامٍ مُوسيقيٍّ إلى آخر، أنه ينحت في صخر اللغة القرآنية معنىً جديد

ولأن اللغة عامةً لا تستقر على مخزون ثابت من الكلمات، ولأنها وليدة الاستعمال والحاجة، فإن العربية منذ عقودٍ آخذةٌ في استضافة مفردات نتيجة لأسباب متعلقة بموقعها الحضاري الراهن، فيجهد حُرَّاسُها ممثلين في مجامع اللغة العربية في الأقطار العربية في استنباط مفردات من اللسان العربي لما يطرأ على راهن الحياة، وينسون أو يتجاهلون بداهةَ أنَّ اللغة وليدة الحدث اليومي المشحون بلحظات كثيفة من تحولات المعرفة والتاريخ والايدولوجيا والأسطورة، فلا لغة صافية أصيلة، وإلا فقدت سمة تواصليَّتها

هو الإيمان بقداسة العربية عند حُرَّاسها. ولعل تحوَّل اللغة إلى علم مرتبطٍ بالقرآن والعقائد والشرائع، في الحضارة الإسلامية، كان سببًا في قرار تلك النظرة إلى اللغة .

وقد مرّت ألفاظ المفردات العربية ومعانيها بتاريخ طويل من استضافة كلمات أصولها فارسية أو آكدية أو سيريانية أو سومرية، كما يلحظُ باحثٌ كبيرٌ في اللغة مثل علي الشوك في كتابه (كيمياء الكلمات) إضافتها إلى اللغات اللاتينية والإنجليزية والفرنسية

الآن، في عصب الحياة أنشبت التكنولوجيا أظفارها، وعصب الحياةِ اللغة. ومن البداهة أن يكونَ مُنتج التكنولوجيا هو مُنتج لغتها، وبهذا فنحن نشهد الآن هذا الاندماجَ بين الإنجليزية وكل لغات العالم بما فيها العربية. فكيف لنا أن نُوجد معادلاً لكلمات مثل (سَيَّفْ – مُوتْسِب) وهي مفهومة أصلاً في سياق الاستعمال اليومي؟

تُرافقُ تلك التحولاتِ تحولاتٌ أخرى تنحتُها قوَّةُ الشعر منذ آزالٍ من حياة اللغة، إنه ما أُسمِّيه التنقيبَ الذريَّ للكلمات، حين يُعمِلُ الشاعرُ جسدَه ورُوحَه في محيط اللغة: بيته، وبيت الوجود كما يُعلن مارتن هيدجر وهو يُنقِّب في الجسد الشعري لهولدرلن

الشاعرُ يتخلَّق داخل الذرات المُوسيقية للُّغة، فيبدأ الشعر بموسيقى الحرف وينتهي بموسيقى الجملة الكاملة. وبهذا المعنى فإن المُغنِّين هم شعراء الصوت، كما وصفَ يومًا ما أنسي الحاج، السيدةَ فيروز. الشاعر يجعل الكلمات مُغنَّاةً بذاتها والمُغنِّي يجعلها مُغنَّاةً بصوته. هذه الدِّقَّةُ الموسيقيةُ خليقةٌ بالعربية التي تحتفي بحركاتِ الإعراب، والتي هي سببٌ في الفهم، كما إنها تَعْتَبِرُ إشباعَها حتى تماثل حروفَ المدِّ عيبًا عروضيًا واضحًا في بعض حالات الشعر أو على الأقل ضرورة شعرية

تأمَّلِ الفرق بين رسوم (الحَمام) و(الحِمام) و(الحُمام)، وستجد في تبادلية الحركات في الحرف الواحد معنى لكل منها
منذ ما يقرب من عشرين سنة أو أزيد، لا أزال ذاهلًا بالسيلان الموسيقي في قصيدة (وصف الحُمَّى) لأبي الطيب المتنبي، قصيدة تسيل كالماء في جسد المغتسل. حرف الميم المُشْبُع في القافية يتركك بلا إرادة غير إرادة الانسياق إلى هول اللغة، حرف الميم الصافي في القافية يُتِمُّ المعنى في القصيدة، ويشرح ما لا يُشرح من غربة شاعرية

هذا السيلان الموسيقي ممتدٌّ من دريد ابن الصمة حتى عيون شعر ابن زيدون والموشحات، وواصلٌ إلى منابع ابن الفارض والنابلسي والبوصيري ومَجْمَعِهم الشعري، وفائضٌ على قصيدة التفعيلة التي احتفظت بالبنية الوزنية المُفردَة لبيتِ الشعر العربي، وليس قاصرًا عن قصيدة النثر.

مقالات المترجمين

الترجمة ليست لغة

علي زين :

دخلت غرفتي,أغلقت الباب, فتحت النافذة, وجلست أمام مكتبي .

قبل أن أستعد للترجمة, تخيلتُ أن اللغة شيء عارض, شيء كمالي جاء متأخرًا على البشرية, تخيلت أننا دون لغات, فقط كل ما أردته حينها هو أن أرى ما رأيته أنت, وأشعر بما شعرته أنت, لأكمل الشعور دون لغتك وكلماتك, دائماً ما تأتي الرؤية والشعور والتفكير قبل الكلمات, الكلمات ليست كل شيء, الكلمات آخر وسيلة للتعبير, سيبقى خلفها على الدوام شيء عصي على الترجمة, شيء يشبه الصمت والتأمل العميق قبل الحديث. وهذا ما سعيت له.

دائماً ما نبحث عن المعنى في كل شيء, ليس في الكلمات فقط,بل في طريقة فهمها, ومتى قيلت, ولماذا؟

يبدو لي أن الترجمة ظهرت قبل الإنسان, والتاريخ, والذاكرة البشرية, كلمات ولغات وألسنة كانت تختبئ بانتظار من يكتشفها ويعبّر عن ذاته بها, ثمّة إنسان بعيد كان يرسم ويحفر الكلمات داخل تعرجات الكهوف وجدران السدود قبل أن يبدأ في النطق، ثمّة إنسانية كانت في انتظار ترجمة ذاتها لنفسها أولاً.وهذا معنى الترجمة بالنسبة لي.

وبشكل عكسي:"فالكتابة هي دوماً ترجمة,حتى عندما نستخدم لغتنا الأم" كما يقول ساراماغو.

اللغة هناك مخيفة, اللغة التي أبحث عنها وكأنها مخبأة, مجهولة, شبحية, مربوطة اللسان ودون ترجمة بعد, ولكني تخيلت حينها أن حروفها وطريقة نطقها الجديدة تراود لغة فمي الأولى. تلك الكلمات ومعانيها التي تواصل المرور بهشاشة, بشك,وتعثر عبر ذهني العاري لم تضئ بعد.

يُشبه الأمر وكأن حشدًا من معاني عمياء تقودك وتدفعك عبر دهليز ضيق, دهليز سينتهي نحو باب,لا تعلم ماذا خلفه بعد.

الأوراق البيضاء,شاشة اللابتوب النائمة,الإيحاء الذي لم يأتي بعد,مرادفات الكلمات, قلم الرصاص, النافذة, الموسيقى,والقاموس العتيق..الجميع يحاول البحث معي عن معنى تلك الكلمات.

الترجمة ليست أحرف,الترجمة لحظة خارجة عن حجرتي,طاولتي,وفنجان مشروبي الساخن هذا,الترجمة جسد حي ينقل كامل دمائه لعروق جسد آخر دون أن يموت الإثنان.

هكذا أحدث نفسي وأنا في حالة الترجمة, شعرت أني أنجزتُ شيئاً خارج غرفتي,شعرت بنوع سعادة جديد دون رتابة وتكرار..شعرت بالحلم ولا أعلم هل تركت كل ذلك ونمت,أم ماذا حدث؟

تخيلت ساحة واسعة بمجموعة كتَّاب من نيويورك, من بكّين,من برلين,من طوكيو,من أمستردام, وباريس, وأمريكا اللاتينية.شعرت بألسنتهم الملونة و الخرساء تحاول أن تقترب مني وتلعق ذهني,كتَّاب كلماتهم كانت تتناثروتحوم حول المكان.

أحدهم كان يسأل بغضب: لماذا تَتعقبنا؟

وآخر بكبرياء: كيف ستقرؤنا؟

آخر من بعيد وبخوف : مَا هي لغتك؟

انفجرت ساحة الكتّاب بالأسئلة: ذكورًا, وإناثًا, روائيين, وشعراءً, وموسيقيين, استمرت الحشود في الأسئلة:

كيف تترجم كلماتي للغة أنا لا أفهمها؟

هل نحن كما نحن في لغتك؟

كيف ستحافظ على عاطفتي, وغموضي ,متعتي وسخطي؟

ماذا ستحذف وماذا ستضيف؟

كيف سَتترجم أحلامنا, و واقعنا, ووهمنا؟

قصة أخرى وبما أننا كنّا نتحدث عن الأحلام, كنت أترجم لكاتبة تعاني من شخصيات أعمالها باستمرار, لدرجة أن وزن جسدها يتغيرويتبّدل مع أحوال واضطراب كل شخصية!! الكاتبة "Hilary Mantel" كانت تتحدث عن قوة الخيال والحلم أثناء الكتابة, الكاتبة كانت تتساءل من يتخيل أولاَ الكاتب أم شخصياته؟ من يتأثر أولاً بمزاج الآخر, وطريقة أكله ,وعيشه, وملبسه؟

الكاتبة كانت تتغير بحقيقة واقعية, بقوة وفضل الخيال فقط!

الخيال الذي أخرجها من الواقع, وأعادها إليه بشكل آخر!!

ما أقصده هو: أنه كان عليّ أن أفهم صدق خيال الكاتب و أتخيل معه سخونة و معنى كلماته بمعنى لغتي الجديد,أنّ أراها وأستسلم لقوة تأثري بخيالها, وخيالي قبل فعل الترجمة.

عليّ أن أخرج من الواقع, ومن حجرتي, لأعود إليها بترجمة جديدة.

لحظات كثيرة تمر, أشعر أني نائم, ولكن أصابعي تستمر في النقر بجدِّية, وبشكل أعمى على الحروف.

حروف هوائية, ويُشبه النقر عليها وملاحقتها: السقوط في هاوية ستنتهي هذه المرة بالضوء.. هاوية سحيقة من العمى المنتهي ببياض المعرفة, هاوية تسقط فيها, لتصعد وتعود للواقع دون أن تقع..

تعود لي الأسـئلة الآن وكأنني دخلت بغلطة أخرى باب ذلك الخيال من جديد, لابد أن أجيب أولئك الكتّاب لأتفرغ للترجمة وأنهي هذه الليلة:

لماذا أتعقبكم؟

لأني أراكم كهدف دقيق من مرمى لغتي, أنا وحدي بينما أنتَ أيها الكاتب أمامي بلغتك الأصـلية, بثقافتك, بنصك الأصلي, بموضوعك الجديد, وصمتك ونواياك قبل كل ما كتبته.

كيف سأقرؤكم؟

لا بأس أيها الكاتب, فأنا أعرف لغتك, ولكن هذا لا يعني أن أيّ شخص يعرف لغتك يسـتطيع أن يترجمك, ولكني سـأترجمك من خارج لغتك وداخل لغتي. هكذا سـأتصـل بك ظاهرياً عبر لغتك ولكن ليس كلغة بل كرموز وشيفرات ستنتج لغتي الخاصة.

مَا هي لغتك؟

وكيف ستحافظ على عاطفتي ومتعتي ,غموضي وسخطي؟

أيها الكاتب بعد أن أنظر للغتك, سأنظر للغتي وأتعلمها أكثر وأعمق, لدي معاني لغة ليس في قاموسها جملة "غير قابل للترجمة" لديّ معاني توسع الجمال,والكره, والأضـداد, والاسـتعارات , والانفعال,معاني متجددة بعاطفة متفجرة وكلمات متداعية ستجعل لغتك تشعر بالدهشة والمفاجأة..

هل نحن كما نحن في لغتك؟

لا تهمني لغتك, يهمني معناها, معناها الخارج عن مجرد اللغة, معناها الذي بالضـرورة سـيلازمني كشـعور أكثر من منظر اللغة. أعذرني, الترجمة ليسـت لغة, الترجمة ليسـت مقارنة بين لغتين, ولذلك سـأتخلى عن أشكال حروفك وأترجم معناكَ فقط.

ماذا ستحذف وماذا ستضيف؟

كيف سَتترجم أحلامنا, وواقعنا, ووهمنا؟

أيها الكتَّاب, سأحذف الكثير من لغتكم, وأضيف الكثير من لغتي,سأحوّل كل شيء.. بطبيعتي أكره اللغة المختصرة, ولكن لا تقلق فترجمتي تتم بين نصين وليست لغتين, سأحفظ جوهر حلمك و وهمك, ولكن بمعنى لغتي الجديد, سأغير الأسلوب, لن أترجم كلمة أمام كلمة, بل معنى أمام معنى.. الترجمة ليست خيانة. الترجمة: اكتشافنا معاً عبر لغتك, و إضافة المزيد من ذاتي لك..

هدأ الكتَّاب الآن بعد هذه الإجابات, هادئون هم ولكني شعرت بهم مازالوا غاضبين ومتسائلين بصمت:

ماذا لو تم خداع ذوات كلماتهم؟

ماذا لو تم التلاعب بحقيقتها؟

ماذا لو تم تسييسها, أو أصبحت عنصرية؟

ماذا لو تم نزع جذور شعورهم بشكل خاطئ ومشوّه؟

وبما أنهم هادئين الآن ولو ظاهرياً كان عليّ أن أسلّيهم بثقتي بهم, أن أسألهم, لدي جميع صورهم الشخصية: الضاحكة منها والمتجّهمة. لدي تاريخ مولدهم, وموتهم, وكامل سيرهم الذاتية, أعتقد من المفيد أن أعرف طباعهم خلال الكتابة.. متى يستيقظ الواحد منهم؟ ماذا يتناولون؟ أحدهم كان لا يتناول طعام الإفطار.أحدهم كان يبدأ الكتابة بغرابة قبل حتى أن يفتح النافذة, ويدخل الحمّام.

بعضهم كتبوا أولى مسودّاتهم بخط اليد العادي:بأقلام من ماركة "باركر" الفرنسية أو "لانكستر" الإيطالية. آخرين بأزرار الكيبورد المضيئة, والبعض إلى اللحظة ما زال يحنّ إلى النقر على آلة الكتابة القديمة ماركة "أوليفيتي" أو "آبل". وذلك الصوت العتيق: "تك تكتكتك"...

كاتب آخر كان لا يستطيع الكتابة إلاّ وسط غرفة علوية منعزلة, آخر كان يقطع مئات الأمتار في الريف حتى يصل لسقيفة الكتابة تحت أوراق الشجر.. يستغرقهم العمل أشهر, وسنوات: مراحل الانقطاع, ودفقات الإلهام, أريد أن اعرف طقوس آخر ليلة من تنقيح المسودة الأخيرة, وتسليمها؟ الكثير منهم سيكون على متن قطار, أو باخرة أو طائرة..

بالعادة تنتهي المسوّدة مع نهاية الساعة السادسة وبدء المساء, بعضهم سيحتفل وحيداً بتوترويبة مع تَلألأ أضواء المدينة من الشرفة, البعض الآخر سيستمتع بكأس من النبيذ الأحمر أو الأبيض, آخرون سيخرجون لأقرب حانة هادئين بتأمل وهم يحتسون "البراندي" بقطع الليمون.

أكثرهم كان يسلم مخطوطه الأخير, ويغادر مدينة كتابته حتى تصدر مراجعات كتبه وتهدأ.. كاتب آخر كان يشرع مباشرة في الكتاب التالي دون حاجة لتتبع النقد والإطراء.. أمّا الأخير فكان يحب التنزه مع كلبه في أقرب حديقة مجاورة..

بدأت أرى شيئًا يكتمل ويواصل الاكتمال داخلي, اختفت الأسئلة فجأةً, اختفت تعرجات البدايات, وطارت النقاط الغامضة. وظهر المعنى...

شعرت ببداية إرهاق وسعادة على السواء.

بدأت أشعر بغرفتي وكأني للتّو دخلتها, تجولت بعيني فيها, وفكرت:

يبدو أن الجميع قد هدأ الآن..

بما فيهم أنا والموسيقى والنافذة وشاشة اللابتوب الممتلئة بالكلمات أخيراً..

عرفت حينها أنني لم أنم, ولم أستيقظ

ولكن يبدو أنني أنهيت الترجمة

كنتُ أترجم

كنتُ في حالة ترجمة

أقفلتُ كل شيء ونمت...

الترجمة كفرشاة والعربية كلوحة

عبير حمّاد :

" ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدي الجانية.. حتى يصير غلطًا صرفًا..

فما ظنكم بكتاب يتعاقبه المترجمون بالإفساد"

الجاحظ

مما لا يخفى على أي ناطق بالعربية أو دارس لها مكانة هذه اللغة ومزاياها، فهو يعلم أنها اللغة الوحيدة التي تحوي حرف الضاد، وهي لغة التشريع الإسلامي ولغة القرآن الكريم،ولكن ما لا يعرفه معظم العرب أن اللغة العربية حتى في أصولها وحتى في كلماتها القرآنية تحوي كلمات ردفت إليها من لغات ولهجات أخرى.

فالعرب لم تعرف البناء ولم يكن عندها كلمة "مهندس" التي كانت في أصلها الفارسي "مهندز" ولم تعرف الجص ولا السراديق ولا التنور،فالخلاء كان أرض العربي وموطنه والخيام كانت منزله ومسكنه، وكان لباس العربي الصوف والوبر فلم يعرف السندس والديباج وهذه كلها كلمات دخلت العربية من الفارسية لما احتكت الشعوب ببعضها سواءً كان ذلك على صعيد التجارة أو الفتوحات، ومثلها من الهندية كانت الكلمات:قرنفل، فلفل وكافور وحتى الشطرنج. ولم يعتمد العربي على مقاييس وموازيين في صحرائه ولكنه حكم سليقته حتى باغته الرطل والأوقية والقيراط والدينار من اللاتينية ولحقها الصابون.

وكان العربي على موعد مع اللبن والتمر في طبيعة كالطبيعة التي عاش فيها فلم يعرف الرمان ولا الزيت ولا الخمر ولا الكبريت التي أُقتبست كلها من الآرمنية، ولو أردنا أن نعدد كل تلك الكلمات التي قد يسميها البعض دخيلة لطال بنا الأمر وما انتهينا، ولكن هذه الدخيلة والتي يحاربها المتزمتون والمتشددون في العربية ما هي إلا نتيجة لتطور فطري نتيجة محصلة لتفاعل إنساني سيمتد أبد الدهر.

ومع أن تعريف الترجمة كفرع علمي رسمي كان حديثًا إلا أن الترجمة كانت وستظل أداة تواصل وتخاطب على مستوى الشعوب و الدول، وقد كانت وما زالت وستبقى ضرورة وأهمية قبل أن تكون ترفًا كما يصفها

البعض أو شغفًا كما يعاملها البعض الآخر. فكلمات كالسابقة لم تحتاج سوى إلى تجار يحملون بضائعهم ويسافرون بها ويعودون ببديل عنها ولم يفكر كل منهم بأنه سيعود تلقائيًا بتجارة لغوية تستشري بلا مقابل مادي في بلده.

عين على التاريخ :

سيصعب علينا تتبع تاريخ الترجمة إلى العربية بدقة وكذلك غيرها من اللغات،فالمحاولات الشخصية والعابرة التي لربما كان لها أثر بسيط لا يُعتد بها ولكننا سنتدرج بلمحات سريعة على تاريخها ابتداءً بعصر صدر الإسلام. فبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحاجته لمخاطبة أمراء البلدان الأخرى ودعوتهم بدأت الحاجة الحقيقية لوجود مترجم يترجم من وإلى العربية فكان بطل تلك المرحلة هو زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الذي قيل بأنه لازم النبي صلى الله عليه وسلم وبقي بين يديه يكتب الوحي ويتعلم ما يطلبه منه من لغات. ثم يأتي عصر الفتوحات وتوحيد الأقطار الإسلامية والمسلمون في حال حرب ولا يسلطون الضوء على الترجمة ويرفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه تخصيص وقت لترجمة الكتب والمخطوطات لانشغال الصحابة بالفتح والقتال.

ثم تنتقل الدولة الإسلامية إلى نقطة فاصلة:الدولة الأموية،فالأوضاع مستقرة والبلاد بمعظمها موحدة وعندها ينتبه الخلفاء إلى أهمية العمل على فتوح من نوعٍ آخر ألا وهي الفتوح العقلية. ومع وجود مدرسة الإسكندرية بعلمائها اليونانيين وبشتى أنواع العلوم التي لم تكن قد بلغت العرب كاملة يأمر خالد بن يزيد بحمل المواد والمخطوطات وترجمتها إلى العربية ويلحقه عبد الملك بن مروان وغيرهم ولنا أن نقول بأن الجهود الأموية كانت ممهدة وفاتحة الطريق لبداية عصر الترجمة العربية الذهبي: العصر العباسي، حيث أن التاريخ العربي لم يسجل ازدهارًا وتطورًا في عملية الترجمة على مدى العصور كلها كما في العصر العباسي،وأشهر سمات هذا العصر تلك المقولة الشائعة عن مكافأة الترجمة –التي يتمناها كل مترجم بلا استثناء- وهي أن توزن ترجمته ذهبًا ويصرف له.

ومنذ وضع هارون الرشيد حجر أساس بيت الحكمة و من ثم طورها المأمون كان الهدف منها أن تكون منارةً ومنبعًا للعلوم والفنون، فالعرب في ذلك العصر عرفت الطب والكيمياء والفلك والخيمياء وأبقراط وسقراط وأرستو وغيرهم الكثير والكثير. ولم تقتصر الجهود على الترجمة فقط بل والتأليف والتصحيح والتعديل لتدور الدائرة ويقول من أخذوا عن العرب أن هذه الإضافات كانت عظيمة وأساس لعلوم الشق الآخر من العالم،ولما كانت الترجمة والمؤلفات في ذلك العصر ذات وزن في المجتمع فإن الأمر بلغ

ببعض الأعيان أن تترجم الأعمال له وتنشر باسمه كما لو أنه ترجمها، ولم تقتصر الجهود على الدولة فقد أسس كبار المترجمون في ذلك العصر مدارس ووكالات لترجمة مختلف العلوم. والحديث عن هذا العصر لا تكفيه صفحات معدودة ولكننا نستطيع أن نقول بأن هذا العصر كان عصرًا مشرقًا للترجمة خاصةً والعلم عمومًا، فالجهود التي بُذلت سواء على المستوى العلمي أو اللغوي كانت لا تحصى ولو فقدنا منها الكثير،فالذين ترجموا عن تلك اللغات لم تقتصر جهودهم على المحتوى العلمي ولكنهم أيضًا صاغوا لنا أوزانًا لكل حقل علمي بناءً على الجذور العربية الغنية ورصفوا لنا الطريق بأساليب ترجمة كانت الأساس والبناء لجهودنا الحالية.

ونختم الحديث عن هذا العصر بذكر أهم ميزاته أولها: أن الاهتمام بالعلوم وتفضيلها كان بناءً على اهتمام الحاكم واختياره، فالعصر الذي كان للخليفة فيه اهتمام بالفلك كانت تغمر الرفوف الترجمات في الفلك وهكذا، وثانيها: أن كل فرد كان يترجم حسب تخصصه، فالطبيب كان يترجم مخطوطات أبقراط الطبية والفيلسوف يترجم عن أرسطو وسقراط وهو يُشابه ما ينادي به بعض مختصي الترجمة في العصر الحديث من أن يسلك المترجم مسلكًا ويحترفه.

أثر الفراشة :

لم يدون النحو وقواعد اللغة العربية إلا عند دخول غير العرب الإسلام،وكان العربي يدرس اللغة عن أبيه وجده وعن البادية، فلم يحتاج النابغة مثلًا لمعجم لسان العرب ليقيم قصيدة الخنساء في قبته في سوق عكاظ،ولم يحتج عثمان بن عفان إلى مدقق لغوي لرسائله إلى ملوك الأقطار والممالك ليدعوهم إلى الإسلام، ولما دخل غير العرب الإسلام وبدءوا يلحنون باللغة انتفض العرب ودونوا القواعد ووضعوا النقاط على الحروف ويمكن أن نعد هذا أول أثر من آثار الترجمة والاحتكاك اللغوي بين العربية وأخواتها. فعلى الرغم من الوجه المشرق للترجمة وازدهارها إلا أنها تخفي وجهًا آخر يهدد بافتراس العربية، فمنذ اشتعلت شرارة الترجمة إلى العربية و المترجمون واللغويون يحاولون سن صيغ وأوزان تناسب العربية ولا تخفي عذوبتها، فالأوائل وضعوا مقاييس للعجمة وكانوا يترجمون الألفاظ سماعيًا بنطقها اللاتيني ومن ثم يسهبون في شرحها وآخرون لجئوا إلى التعريب والذي عده البعض خطرًا محدقًا بالعربية بل وقرر محاربته وتحرميه كونه يعبث بلغة القرآن، فيما وقف آخرون منه موقف الحياد فأقروا بضرورته حال الحاجة الملحة واستغنوا عنه حال ما أمكن، فيما سلك آخرون طريقًا ثالثًا كان أفدح فنعتوا العربية بعدم قدرتها على مجاراة التطور والرقي، وبكونها بالية و"أولد فاشن" وأن علينا أن نستبدلها بالانجليزية لنصل إلى مصاف الدول المتقدمة بل ونكتبها بأرقام وحروف لاتينية كما حدث في أقطار أخرى.

ونرد على كل هؤلاء قائلين: غدت الترجمة ضرورة وحاجة،والتعريب جزءٌ أكثر حاجة ونحن لا نستطيع أن ندرس مثلًا الكيمياء بدون أن نوجد مترادفات للكبريت والصوديوم ولا الفيزياء بدون بديل للشغل وميكانيكا الكم و لا غيرها من العلوم، ولكننا يجب أن نحذر قدر استطاعتنا.فهل من المعقول أن لغة كالعربية بجذورها التي تُقارب الستة عشر ألف جذر تعجز عن تعريب أو ترجمة أي مصطلح كان؟ ولمَ يجب علينا دومًا أن نتخذ قرارات قاطعة كهذه ونقف في وجه الموجة؟ فنحن لا ننكر ما ارتكبه المترجمون من جرائم لغوية بحق العربية:فمتى استخدمت العرب كلمة بواسطة وتم للتحدث عن الفاعل؟ ومتى عرفت قريش يلعب دورًا هامًا؟ وقام بالفعل؟ وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي صعبت العربية التي لطالما كانت سلسلة وموسيقية. نحن الخائفون على اللغة نطالب المترجمين بقدر أمانتهم في إيصال النص الأصلي أن يكونوا أمناء على العربية وألا يؤذوها ويؤذونا معشر القراء، لمَ استخدام كمبيوتر وهناك حاسب؟ لمَ بنك وهناك مصرف؟ ولا أنكر أن الضغط الواقع على المترجم طاحن فهو يبحث ويبحث ولا يجد كلمة مما يضطره إلا حلول تشعره بالذنب، فلو تجاوزنا مشكلة التعريب أو الترجمة لانتقلنا إلى مشكلة اعتماد المصطلحات وتعددها واختلافها باختلاف الأقطار وهو ما يُظهر التقصير الحاصل بحق اللغة،ونقص المصادر والمراجع والمعاجم،فالخطأ كله لا يقع على عاتق المترجم وحده :فهو المسئول عن الترجمة وعن إيجاد المصطلحات وعن إيصال المعاني المبطنة والمظهرة في النص والحفاظ على اللغة بدون أن يزود هو نفسها بوقود ومتاع خلال رحلته الشاقة هذه وهو من يتلقى اللوم والسخط في نهاية الأمر دون تذكر أنه اجتهد وله أجر اجتهاده.

معادلة الانتشال :

إن حماية العربية أو التفريط بها يقع على عاتقنا جميعًا بلا استثناء،فنحنُ المسئولون عن تعليم أبنائنا العربية أولًا ثم غيرها من اللغات،ونحن المسئولون عن كتابة رسائل البريد الالكتروني بالعربية طالما كان كلا الطرفان يجيدها، ونحن معشر المترجمين مسئولون مسؤولية كاملة عن استخدام المصطلحات العربية وتقديمها على غيرها وهكذا هي سلسلة المسؤولية العامة. بينما هناك المسؤولية الخاصة والتي يجب على المختصين أن يمسكوا بزمامها مبادرةً وجهدًا وعملًا ليسددوا الخطأ ويقيموا الخلل ويمهدوا الطريق. فحماية العربية واستمرارها وازدهارها وتلبيتها لاحتياجاتنا الحالية والمستقبلية ليست ترفًا بل هي الضرورة الحياتية الرابعة.

استِكتاب

الطريق إلى تحرير اللغة

عماد البليك :

روائي من السودان

اللغة هي كينونة الذات وفكرتها عن العالم برغم أننا نولد أطفالًا في البداية نفكر خارج اللغة، بالمعطيات السمعية والبصرية من حولنا، ثم تقتحمنا اللغة بعدها ليكون اللغز، هل اللغة هي كائن حقيقي؟ أم مزيف؟

هل لها اعتبار حيوي؟

أم أن حقيقتها خارجها تمامًا.. خارج مرمزاتها وما تشي به؟

ربما تبدو هذه الأسئلة عادية، لكنها تحيل ببعض التأمل، إلى فكرتنا حول اللغة خاصة إذا ما تعلق الأمر بمهنة الكاتب والكتابة.

فأن تكتب فهذا يعني أن تُحوّل الأفكار إلى رمزيات طابعها لغوي، أن تومئ بالحرف والكلمة والسطر.

ومن هنا فإن الطريق إلى الكتابة، هو مسار باتجاه أن تكتشف من أنت داخل الكائن اللغوي، أو من يكون ذلك الكائن الذي يسكنك.

شخصيًا لا أعرف متى تعلمت أن أكتب، ليس لدي تاريخ واضح بخصوص مسألة "فك الحرف"، إذ يمكنني تذكر طفل صغير يعيش في دكان والده وهو يمسك بالدفاتر، يشطب ويشخبط، وفي النهاية يُركّب مفردات قد تبدو أشكالاً ثم يعود لينطقها، فيعرف أن هذه الرسومات العابثة هي ذات معنى، هي ذلك الكائن اللغوي الذي تجسد على الورق في رسومات لا يعرف لما اخترعت؟ وكيف ومتى؟

وكما تسكننا الأخلاق والتقاليد والقيم، الشر والخير، أن نفهم الإيجابي والسلبي، والضوء والظلام، تعيش اللغة فينا، لنجعل لكل كلمة ظلالاً معينة بدواخلنا، شكلاً وخارطة وضوءًا وظلامًا، وبالتالي تصبح اللغة هي جزء من وجودنا، من فكرتنا عن العالم ومن إحساسنا به، وكأننا غير موجودين خارجها.

ومن هنا فإنه كلما كان الإنسان له علاقة بالكتابة، فسوف يكتشف أن اللغة هنا تصبح بقدر ما هي طيّعة، عصية جدًا. ومعها يبدأ الإحساس بمستويات اللغة المتعددة ما بين الشفاهة والكتابة، ما بين السهل والممتنع، أن تتكلم وأن تكتب. وفي كل من المجالين فإن اللغة كائن آخر، مرة يكون شرسًا وأخرى يكون هيّنًا وليّنًا. وهي ذلك الكائن الذي لن تفهم طبيعته الغامضة أبدًا.

لغتي الأم هي العربية، وهي لغة عميقة بقدرما تعرضت للزيف عبر التاريخ وبقدرما خُصم من رصيد تطورها المفترض، مقارنة بلغات أخرى في العالم استطاعت أن تتبوأ مكانة حضارية وثقافية وربما لم تكن بالسعة والماعون الذي هي عليه اليوم.

والسبب يتعلق بالسياق الإنساني، بالغايات وفكرة الإنسان وهدفه في ظل عالمه الذي يكون عليه أن يُشكّلِه.

لقد عاشت اللغة العربية مرتبطة بالمقدس، بالنص والوحي، وهذا أكسبها -هي- في حد ذاتها قداسة وجعل المفردات فيها لها هالات ضوئية واستطراقات، بل حرّم أحياناً التلاعب البلاغي واللفظي وحصر البلاغة والبيان نفسه في دروس معينة لذاتها، يمكن حصرها في كتب، ومن ثم الانطلاق منها نحو أن تكون بليغًا وعارفًا.

هذا من جانب حرم هذه اللغة العظيمة من الانطلاق، عندما ظنّ فاعلو ذلك أن الوحي والتقديس يعني التقييد، في حين أن مدلول الوحي الأعمق هو انفتاح السماء على الأرض والخلود والمطلق على المحدود.

لقد حرر القرآن بوصفه علامة اللغة العربية الكبرى، التاريخ اللغوي من الجمود ونقله إلى طور جديد، كان ثورة لغوية في وقته، عبرت الأزمان وحققت معادلة تاريخية غير مسبوقة.

لكن هذه الفعل التثويري توقف، لأن ثمة التباس حصل بفعل الإرادة السياسية التي حكمت على اللغة بأن تكون هي الناطق الرسمي باسم السلطة والخلاص والحرية، وحيث صارت السلطة الدنيوية، دينية، تحدد الصلاح والهزال وتمنح وتوزع صكوك الغفران وفي النهاية صارت اللغة أسيرة تلك القسمة الضيزى.

تعيش اللغة العربية اليوم مأزقًا حقيقيًا، لا مجال لإنكاره، وبالتالي فإن نهضتها هي جزء من نهوض شامل للمجتمع، يجب الاعتراف بذلك بدلا من التسويف والرجوع إلى صك القداسة مجددًا.

إن التحرير الأول الذي تمّ للغة على لسان النبي محمد، يجب أن يعاد من جديد في طور آخر وفي عصر تعددت فيه وسائط التلقي والمعارف وحصص الترجمة. بغض النظر عن ما تحمله تلك اللحظة التاريخية من ملابسات واستقراءات وقراءات.

وهذا يعني أن اللغة نفسها سوف تصبح مندغمة مع هذا المتغير الكوني العميق والهائل، بحيث تصير- هي - جزءاً منه ولابد لها أن تتفاعل معه لكي تتحرر بجد مرة أخرى وتقفز، وهذا يساعد فيه ليس مجرد باحثين ينكفئون على الكتب والدراسات المنقطعة عن التواصل المجتمعي والحاجيات الصحيحة والمطلوبة؛ بل بدرجة أقوى وأوضح الممارسة الأدبية والفنية، فالأدب ظل على مدار التاريخ وعاء اللغة الذي يحفظها ويصونها ليس بهدف أن تبقى جامدة، بل لتحيى وتتطور وتواصل نهضتها المستمرة بلا انقطاع أبدًا.

وبوصفي أحد العاملين في حقل اللغة من خلال مهنتي ككاتب وصحفي، فإنني أسعى من خلال ممارستي وفكري أن أغرس مفاهيمًا حول ضرورة أن نفهم اللغة من وجهة نظر جديدة، ألا نضعها بمعزل عن حياتنا وسياقات وجودنا، وألا نتعامل معها كمعطى تاريخي وقديم، بل ككائن حاضر، يتنفس معنا الآن، وأن نعيد التفكير فيها بصورة دائمة، في بلاغتها وصورتها وحضورها، وأن نكون مغامرين إلى أبعد مدى معها وفق إدراك لما نفعله وتجربة من المعرفة والعرفان.

فاللغة لا تخلو من هذا التركيب البنائي ما بين هاتين العلامتين..

المعرفة في شكل وحجم الإدراك ومحتواه..

والعرفان في نمط الممارسة والتجربة والنتائج، سواء كانت نصوصاً شعرية أو سردية أو أي من الأدب المفتوح الذي لا يحدد بقالب معين.

إن اللغة مثل الإنسان تمامًا تتفاعل، تعطي وتأخذ، وتكبر ثم تشيخ ولكن تواصل بناءها في جيل جديد وآخر، في حيوية القادمين، وبهذا فهي قادرة على أن تكون ابنة زمانها دائمًا.

لهذا علينا أن نحررها بتحررنا، وأن نصنعها صناعة جديدة من خلال إعادة التفكير في مضامين وعينا.. أي نتعلم أن كل صورة ما هي إلا لحظية وعابرة، وأن كل ضمير مستتر هو قوي وواضح، وأن النحو والصرف والإعراب ما هي إلا وصايا يكون المحل الأساسي لفهمها بحق هو العيش داخلها لا النظر إليها من الخارج، بحيث تبدو منقطعة عن المراد والمعنى.

إن اللغـة هي خيـالنـا ووعينـا، وهي طريق الحريـة والانتصـــار، هي ســـبب التنميـة وضـــدهـا بكيـل الجهـل والتخلف. لهذا فإن الاحتفال باللغة العربية "18 ديســمبر" وفي ســائر الأيام، هو نقطة توقف وانتباه بأن نعيـد تشــكيـل مـا بـدواخلنـا وأن نتـدرب على الرؤيـة التي تتخـارج من "الأســـاطير" و"المعجزات" والظنون العـابرة، أن نكون عـارفين وطموحين وجـاهدين الأنفس بـالوصـول، إلى التســامي في تسـلق سـلم الحضــارة الإنسانية، وما اللغة إلا عنواناً ذلك.

من أين نبدأ الإصلاح ؟

محمد غازي النجار:
شاعرمن مصر

يقول الأديب الألماني (جوته) : " ربما لم يحدث في أي لغة هذا القدرمن الانسجام بين الروح والكلمة والخط مثلما حدث في اللغة العربية ، وإنه تناسق غريب في ظل جسد واحد " .
جوته اطلع على التراث العربي ، وكان لذلك تأثيربالغ على كتاباته ، وترجم بعض القصائد والمعلقات العربية إلى الألمانية .
ألمانيا عندما قررت اختيار اسم المركز الثقافي الوحيد لها الذي يمتد نشاطه على مستوى العالم ، لم تجد أفضل من عاشق اللغة العربية وتراثها (جوته) لتطلق اسمه على هذا المركزفي 80 دولة مع 144 معهد .
اللغة العربية هي أكثر اللغات غير الأوروبية تأثيرًا في اللغة الألمانية ، وبعض المدارس الخاصة بالطلاب الموهوبين في ألمانيا تتولى تأهيلهم من الحضانة وحتى التعليم ما قبل الجامعي ، والطلبة يخيرون في المرحلة الابتدائية ما بين دراسة العربية أو الصينية كلغة أجنبية ، 80% من الطلاب يفضلون دراسة اللغة العربية ، المبدعون الألمان الصغاريدرسون بعض سور القرآن وبعض أشعار العرب ، وقواعد النحو والصرف ، وحين يبلغون الخامسة عشريكونون قد وصلوا إلى مرحلة جيدة في اللغة العربية كتابةً وتحدثًا .

يقول الكاتب والمؤرخ الفرنسي (رينان) : " من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّة من الرُّحَّل ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، ولم يُعرف لها في كل أطوارحياتها طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى ، ولا نعرف شبيهًا بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غيرتدرج ، وبقيت حافظةً لكيانها من كل شائبة " .
وإن كانت اللغة العربية نشأتها بدوية فهذا لا يقلل من كونها لغة عظيمة غنية بالمفردات ، ومن أثرى اللغات بالألفاظ والمعاني ، على سبيل المثال مفردات اللغة العربية أكثرمن ضعف مفردات الإنجليزية .
ثم نجد بعض من يرون أنفسهم مثقفين ومتنورين يقللون من شأن العربية الفصحى ، بل وربما يدعون إلى أن يكون التعليم باللغة العامّية ، وكأنهم نسوا أن أعظم المفكرين والأدباء في بلادنا كتبوا بالعربية الفصحى ، والكتب المترجمة عن أعظم المفكرين والأدباء تمت ترجمتها بالعربية الفصحى ، وتاريخنا

الحضاري وتراثنا الثقافي مكتوبان بالعربية الفصحى ؛ ولذا هم بتقليلهم من شأنها يعوقون مسيرة التنوير من حيث لا يشعرون ، خاصة في مجتمع معظمه لا يجيد سوى لغة واحدة وبعضه أمّي .

من فضلكم كُفّوا عن اللغة العربية ، وأفسحوا لها المجال ؛ كي تتسع دائرة النور .

وإذا أصبح التعليم باللغة العامّية فهذا يعني انفصالاً خطيراً عن تاريخنا ، وانقطاعًا كبيرًا عن تراثنا الثقافي والأدبي ، وضرر ذلك شديد على مختلف الأصعدة .

يقول (طه حسين) : " إني من أشد الناس ازورارًا عن الذين يفكرون في اللغة العامية على أنها تصلح أداةً للفهم والتفاهم ، ووسيلة إلى تحقيق الأغراض المختلفة لحياتنا العقلية . قاومتُ ذلك منذ الصبا ما وسعتني المقاومة ، ولعلي أن أكون قد وفقت في هذه المقاومة إلى حد بعيد ، وسأقاوم ذلك فيما بقي لي من الحياة ، لأني لا أستطيع أن أتصور التفريط - ولو كان يسيرًا - في هذا التراث العظيم الذي حفظته لنا اللغة العربية الفصحى ، ولأني لم أومن قط ولن أستطيع أن أومن بأن للغة العامية من الخصائص والمميزات ما يجعلها خليقة بأن تسمى لغة ، وإنما رأيتها وسأراها دائمًا لهجة من اللهجات قد أدركها الفساد في كثير من أوضاعها وأشكالها ، وهي خليقة أن تفنى في اللغة العربية إذا نحن منحناها ما يجب لها من العناية فارتفعنا بالشعب من طريق التعليم والتثقيف ، وهبطنا بها هي من طريق التيسير والإصلاح إلى حيث يلتقيان من غير مشقة ولا جهد ولا فساد " .

ومن يجد صعوبة في اللغة العربية فذلك مردّه إلى الضعف المعرفي ، أو ضعف المنظومة التعليمية الفاشلة .

علماء اللغويات أو اللسانيات يقولون لا توجد لغة سهلة ولغة صعبة ، هذه فكرة خاطئة ومتوهمة فإتقان الطفل للغته الأم المنطوقة أيًا كانت يستغرق نفس الوقت ، فالطفل الصيني مثلًا لا يستغرق وقتًا أكثر في تعلم الصينية عن مثيله الإنجليزي أو العربي حين يتعلم كل منهما لغته الأم .

كما أن للغة العربية جرسًا مميزًا ، وموسيقاها رائعة لها وقْع خاص ، حتى أن العالم والفيلسوف الفارسي (أبو الريحان البيروني) كان يرى أن الشتم بالعربية وقعه أحلى على سمعه من المدح بالفارسية لغته الأم .

واللغة العربية وإن لم تكن لغتنا الأصلية في الماضي ، فهي لغتنا الحاضرة منذ قرون ، وأضحتْ جزءًا أصيلًا من تراثنا الثري وثقافتنا المتنوعة . كما يمكننا استثمار اللغة لنشر ثقافتنا عن طريقها ، فنشر ثقافتنا بين من ينطقون بلغتنا أسهل من نشرها بين من ينطقون بغيرها .

ولا حياة لأمة بدون لغتها ، يقول (مصطفى صادق الرافعي) : " ما ذلّتْ لغة شعب إلا ذَل ، ولا انحطتْ إلا كان أمره في ذهاب وإدبار " .

ومن يتنصل من لغته أو هويته لن يحظى باحترام العالم ، وأمّة بلا لغة هي أمّة مقلّدة أو تابعة ، ولا يمكن لأمة أن تنهض بحق وصدق وهي تزدري لغتها وتعتبرها ساقطة .

ومع إهمال اللغة العربية كيف سنوجد نخبة جديدة تستوعب العلوم ، وتنتشل الأمة من أزماتها المعرفية والحضارية ؟!

سأل شخص حكيم الصين (كونفوشيوس) وهو يحاوره :

" من أين تبدأ الإصلاح في حال استلمت السلطة السياسية ؟ "

قال : " أبدأ الإصلاح من اللغة " .

نحن بحاجة إلى إصلاح عاجل ؛ فالانحطاط اللغوي في كل مكان ، بداية من خطب الرئيس التي لا تكاد خطبة منها تخلو من أخطاء لغوية ، ومرورًا بالأخطاء الفاضحة لوزير التربية والتعليم ، وأخطاء المؤسسات والبرامج والمواقع ، هذا غير الأخطاء الكارثية التي نشاهدها يوميًا على صفحات الفيسبوك في كتابات من يحسبون أنفسهم من الكتّاب والشعراء وغيرهم .

الحكومة تتحمل قدرًا كبيرًا من المسئولية ؛ لأن عليها أن تدشّن سياسات تجعل المواطنين أكثر تمسكًا بلغتهم وتراثهم ، خاصة في مجالي التعليم والإعلام .

وأعتقد أننا بحاجة إلى طريقة حديثة في تدريس اللغة العربية من أجل تيسيرها وتحبيبها إلى الدارسين ، وبحاجة إلى قنوات وبرامج هادفة في التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي تدعم لغتنا وثقافتنا .

الكتّاب والشعراء والأدباء والإعلاميون والصحفيون والمثقفون يتحملون قدرًا من المسؤولية أيضًا .

والذين ينتهجون الكتابة بالعامّية كأسلوب وحيد شاركوا في هذا الانحطاط الذي وصلنا إليه ، فاللغة في الأدب غاية وليست فقط وسيلة .

يقول (عثمان أمين) : " من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه استخف بتراث أمته ، واستهان بخصائص قوميته ، ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية اتسمت حياته بتبلد الشعور ، وانحلال الشخصية ، والقعود عن العمل ، وأصبح ديدنه التهاون والسطحية في سائر الأمور ".

أخيرًا : هذه ليست دعوة للانعزال عن لغات العالم وثقافاته ، هناك فرق شاسع بين تعلّم اللغات الأجنبية والتعلّم باللغات الأجنبية ، الأول مطلوب والثاني مرفوض ، الأول يخرج أجيالًا محافظة على هويتها وتراثها ومنفتحة على العالم في ذات الوقت ، والثاني يخرج أجيالًا منفصلة عن تراثها وثقافتها وتاريخها ، ولا تعدو في معظمها سوى أن تكون امتدادًا لغيرها مع طمس هويتها

وفي نهاية المطاف اللغة هي وسيلة ، والأهم هو كيف نرتقي بلغتنا وننهض بها ، وكيف نرتقي بأنفسنا وننهض بمجتمعنا من خلال اللغة .

أنا أعشق بلادي وتراثها وثقافتها المتنوعة ، لكني أيضا مستغرق في حب العربية التي هي الآن لغة بلادي وجزء أصيل من تراثها وثقافتها .

الوقوع مبكرًا في عشق اللِّغة العربية

سمير المنزلاوي :

كما خفق القلب إبان طفولته لأول بنت أحبها ، فعل العقل الناشئ نفس الشيء مع اللغة العربية.

كرّت السنون كـكرة الخيط المنسابة، ولا زالت سعادة الحب الأول للبنت وللّغة العربية في تجويف القلب والعقل.

التقيت باللغة وجهًا لوجه، وعشقتها قبل أن أدرج إلى المدرسة ، في بقالة أبي حين كنت أجلس بدلاً منه في أوقات غدائه وقيلولته وسفراته .

امتدت يدي الصغيرة لتعبث بأوراق يغلف بها البضاعة، وعثرت على الكنز : عصفور من الشرق، جمهورية فرحات، البؤساء، مطبوعات كتابي، مجلة اللطائف ومجلة الهلال .

أضف إلى ذلك كتاب ألف ليلة وليلة الذي كان أبي يقرأ للزبائن منه في ساعة العصر، وجدت ضالتي التي تعوضني عن اللعِب مع أترابي ، ووجدت صدرأبي الحاني الذي شرح لي ما استغلق عليّ من هذه الجواهر، حيث كنت أقرأ بالكاد!

دخلت المدرسة مسكوناً بالسحروالكلمات وبعض أبيات من الشعر .

ظهرت محبوباتى من المفردات والأبيات في موضوعات التعبير، وشعرت مدرسة الفصل أنني تلميذ مختلف . سألتني من أين أكتب تلك الجمل الكبيرة والقصائد العجيبة ؟

قصصت عليها قصة حبي الذي انبثق في الدكان ، فابتسمت وأعطتني قصة الرفيق المجهول ضمن سلسلة المكتبة الخضراء ، وأخبرتني أنها تشرف على مكتبة المدرسة ، وصحبتني إليها في الطابق العلوي ، لتقابلني رائحة الحبروالأوراق ، فتحملني إلى عالمِ جديد لم أغادره حتى يومنا هذا .

كانت حلاوة اللغة تترسب في الوعي، فتخلق رابطة قوية منذ البداية، وصارالحب يجمعنا فلم أعد ألحن، حتى لوجهلت الإعراب، وظهرت لديّ موهبة الخطابة دون عثرات.

من مكتبات مدارس القرى ظهرت زهور كثيرة ، رعاها أساتذة كانوا يؤمنون برسالتهم ، ولم تكن الدروس الخصوصية قد أصابت الضمائرفي مقتل.

في المرحلة الثانوية بدأت تقليد كبار الكتاب، وكتبت على استحياء قصصًا قصيرة، عرضتها على مدرس اللغة العربية، فلفت انتباهه التآلف مع الكلمات مما يشي بعلاقة وطيدة وقديمة.

عرفت بعد ذلك بوقت طويل أن الكلمات أمّة من الأمم، وأن ثمة حروف وكلمات تتآلف وأخرى تتنافر، كما لو كانت تملك أنفسًا وأرواحًا.

أدركت أيضًا أن الخبرة اللغوية تجعل الكاتب يبني عمله من مفردات حية تتفاعل طول الوقت وتتغير مستوياتها ودلالاتها مع كثرة التناول والقراءة.

ولا زلت حتى اليوم أعيش مع إشراقات الكلمات ومواجيدها ، وأجتهد في فهم أسرارها ومواقعها ، مستفيدًا بحبي لها من قوتها السحرية التي تمنح النص بهاءه وهناءته.

ليست الكتابة كلمات مرصوصة، لكنها اختيار واشتياق وتناغم، وما النص إلا حروفاً متحابّة

سمير المنزلاوى

- روائي وكاتب مصري من جيل السبعينات
- عضو اتحاد كتاب مصر
- صدرت له عدة أعمال قصصية وروائية :
- شعاع هرب من الشمس : رواية /الهيئة العامة للكتاب
- موسم الرياح : رواية هيئة قصور الثقافة /سلسلة أصوات أدبية
- بلاد تصلح للحزن: رواية /هيئة قصور الثقافة
- الدكان: رواية/ عن دار الهلال
- الشرفات / الهيئة العامة للكتاب
- يوميات النبأ العجيب / مجموعة قصص / الهيئة العامة للكتاب
- أشواق قديمة : مجموعة قصص /دار الأجيال
- جدتي تحكم العالم ليلا : مجموعة قصص / هيئة قصور الثقافة
- الفارس : مجموعة قصص / نادي القصة بالإسكندرية

- اللافتات : مجموعة قصص / نادي القصة بالإسكندرية

- باحث في التراث ، وله عدة مقالات في التصــوف والتاريخ ، وكتب مقدمة لكتاب عبد الكريم الجيلى : الإنسان الكامل

- لا زال يقيم في قريته /منية المرشد /كفر الشيخ ، ويرفض الهجرة

- أشــرف على صــفحة الأدب بجريدة كفر الشــيخ واكتشــف عددا من الأصــوات التي أثبتت وجودها على الساحة.

- يستقبل المواهب بمنزله ويقيم ندوة لمناقشة الأعمال الجديدة

- يكرس صفحته على الفيس بوك لنشر الثقافة وعرض الكتب والقصص والمقالات

العربية .. إبداع يشكل إبداعًا

محمود حسين :

أكبر الصعوبات التي تعيق قلمي وهو يسطر هذا المقال هو اضطراره للتخلي عن كافة المبادئ التي طالما آمن بها، نعم، أنا هنا منحاز ومُتعصب وغير حيادي على الإطلاق، وكيف أكون غير ذلك وأنا بصدد الحديث عن اللغة العربية، اللغة التي ينتسب إليها شعبها، نحن عرب لأننا نتحدث العربية، وليست هي عربية لأن العرب يتحدثونها.. هي الأولى، هي الأصل، هي الأبقى..

علاقتي باللغة بدأت في وقت مبكر جداً، قبل حتى أن أتعلم مبادئ القراءة والكتابة، حيث كانت تجذبني الصور على أغلفة القصص فكنت أصر على شرائها، ومن ثم تقوم والدتي بقراءتها ليَّ، وبعد التحاقي بالمدرسة الابتدائية كنت أتصفح السطور التي ظللها أبي في كتبه، لم أفهم كثير من المعاني والدلالات، لكني كنت أترنم بوقع موسيقاها، كان الأمر أشبه بالاستماع إلى أغنية باللغة اللاوندية، لا تفهم القصد لكنك تستشعر اللحن والإيقاع وتتفاعل معهما.

المرحلة الثانية من قصة عشقي لتلك اللغة بدأت بالسنوات الأخيرة لمرحلة الدراسة الابتدائية، حين أُدخِل إلى المناهج ما يسمى بمواطن الجمال المستخرجة من أبيات الشعر وآيات القرآن الكريم، فباتت الصورة المموهة بالأمس أكثر وضوحاً اليوم، و الجمال الذي كنت أستشعره صرت أفهمه، أعلم من أين جاء و كيف؟

راح شغفي باللغة يزداد و ارتباطي بها يُوثق مع توالي السنوات الدراسية، كلما تعمقنا في دراسة علوم البلاغة، و كلما ظننت أننا بلغنا المنتهى، اكتشفت في العام التالي أنه لا يزال للحديث بقية، و كأن معجزة تلك اللغة ليست في خلودها، إنما في تجددها، هي بحر بلا قاع و لا شطآن، متسعة باتساع الكون، نقضي العمر في البحث عن سر سحرها، و ينقضي العمر و السحر الكامن بها لا ينتهي.

بلغ إعجابي باللغة العربية ذروته أثناء الدراسة الثانوية، حين درسنا أول قصيدة هجاء، لا أذكر لأي من الشعراء كانت، لكن أذكر أن الفكرة في ذاتها كانت كفيلة بدفعي إلى الذهول..

أي لغة تلك التي تحيل الخصومة إلى أبيات منغومة، مترابطة، مفعمة بالعاطفة حتى وإن كانت تلك العاطفة هي الكره؟!..

أدركت حينها أن العربية كتلة طيعة من الصلصال، متى تمكن المرء منها أمكنه تشكيلها كيفما يشاء.

العربية هي اللغة الجامعة للفنون، مفرداتها قادرة على رسم الصور بديعة التكوين، ونحت المعاني بالغة الدقة، ولحن الكلام بسجعها وإطنابها وضبط إيقاعه بطول الجمل وقصرها وتقديم ألفاظها وتأخيرها. إن كان للجمال لغة يتحدث بها عن نفسه فحتماً ستكون هي.

عند بلوغي سن الالتحاق بالجامعة تخصصت في دراسة اللغة العربية على عكس رغبتي، لكن لأسباب عديدة انتهى بيّ المطاف بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ربما كان هناك حكمة من ذلك، وربما كان مُقدراً ليّ كشف المزيد من جوانب تلك اللغة الفاتنة التي لا تُشبه غيرها مما يتحدثه بنو الإنسان، وبتلك المرحلة لم يعد غريباً في نظري أن الخالق -عزوعلا- تخيّرها من بين جميع الألسنة ليُنزل بها ذكره المحفوظ، هي اللغة صاحبة النصيب الأكبر من المفردات وصاحبة النصيب الأقل من المترادفات على عكس الشائع.

أدركت ذلك بعد أولى محاضرات "علم المعاني" وهي المادة الوحيدة تقريباً التي انتظمت في حضور محاضراتها، ربما لأن ذلك لم يكن سعياً وراء حصد الدرجات أو اجتياز الامتحان بل كان بهدف المتعة و المتعة فقط، كانت المادة تتمحور حول كشف جماليات اللغة النابعة من دقة ألفاظها وتعددها، وعيت إلى أن "الخوف" لا يعني "الرهبة" وكلاهما ليس مرادفاً "الفزع" الذي لا يشبه "الهلع" في شيء، فكل لفظ منهم له مدلوله الذي يشاربه إلى درجة معينة من ذات الشعور، كما هو الحال مع "الحب" و"العشق" و"الشغف" و"الوله"، وعرفت أن حين يرد لفظ "الإنسان" في آية كريمة فإن المراد منه يختلف عن المقصود من لفظ "بشر"، وحروف العطف في تلك اللغة الغنية تؤدي نفس الوظيفة ولكن لكل منها استخدامها ودلالاتها، حتى علامات الترقيم كان للعربية الحظ الأوفر منها، هذا كله جعلها الأقدر على التعبير وإيصال المعاني بوضوح دون أن يخالطها شك أو ريبة، فاللفظ العربي الواحد قد يحمل من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه في اللغات الأخرى إلا من خلال جمل طويلة مُفصلة شارحة للمقصود.

جماليات لغات العالم تتجلى في الإنتاج الأدبي والفكري الذي تمت صياغته بواسطتها، أما العربية فهي اللغة الجميلة في ذاتها، بل إن الأدب العربي يفقد كثيراً من قيمته حين يُترجم إلى لغة أجنبية، ذلك لأن تلك اللغة ليست مجرد أداة تعبير أو أداة اتصال بين المُبدع والمتلقي، بل هي لُب العمل الأدبي الذي صيغت به وجزء لا يتجزأ من جمالياته الفنية.

اللغة العربية ستبقى ما بقيت محل إعجابي وسر انبهاري، لا أخال أن هناك شخص ما في هذا العالم بمقدوره أن يصدر كتاباً أو يُعد برنامجاً يحمل عنوان "لغتنا الجميلة" مثلما فعل حامل لواء العربية فاروق شوشه رحمه الله، أو أن ينظم قصيدة مدح في لغته مثلما فعل شاعر النيل حافظ إبراهيم. سأظل أشكر نعمة الله -عزوعلا- إذ خلقني من متحدثيها، وأنعم عليَّ بتعلمها وإتقانها قدر المستطاع، ودبّر أمري لتُكشف ليَّ بعض من أسرارها وجمالياتها خلال سنوات العمر الماضية، فهداني للسعي وراء كشف المزيد

خلال السنوات اللاحقة، الأمر المؤسف هو أن العمر مهما طال فهو أقصر من أن يتسع لكشف كامل أسرارها أو الوصول لمكامن سحرها.

محمود حسين :

كاتب ورسام كاريكتير ومصمم جرافيك, من مواليد عام 1988 بالإسكندرية. تخرج من كلية الآداب جامعة الإسكندرية قسم اللغة العربية وآدابها. عمل بالمجال الصحفي بعدد من الجرائد المحلية, ثم اتجه إلى التدوين الإلكتروني وكتابة القصة, كما قام بكتابة السيناريو لعدد من الأعمال الكارتونية.. صدرت روايته الأولى "شياطين خرس" العام الماضي أثناء معرض القاهرة الدولي للكتاب.

اللغة والرواية.. التكوِّين السردَّي والسياق الدلالي

ناصر السيد النور :
كاتب ومترجم من السودان

النصّ الروائي :

النصّ الروائي أحد التجليّات اللغوية، وتعبير عن مستوى من مستويات الأداء والتشكيل للغة ضمن مقاربة أشكال التعبير السّردي. ولكن تظلّ حركة اللغة وأدواتها مقيَّدة بطبيعة النص الروائي وما يتضمنه من خاصيّة تعبيرية تتمثل في حركة الشخوص ومحتويات السرد؛ ومن ثَمَّ تكتسب اللغة سمة تحددها ملفوظات النصّ الروائي، كما أن النص الروائي ليس حصرًا على الشخصيات الروائية الناطقة باللغة في بنيته التكوينية، فإن التعبير عن محتويات النص الروائي وعلاماته المتضمنة في السرد تخضع إلى معايير اللغة وقواعدها وتعمّق وتوسّع من المفردات اللغوية وذلك بالدلالات التي عادة ما تتشكل على المتن الروائي، فإذا كانت اللغة في العملية السردية هي الثابت من حيث وجودها القبلي، فإن الخيال مصدر النص الروائي متغير ومتجدّد. وتكون اللغة في ذات المستوى المعياري من قبل أن تستخدم قدراتها التعبيرية في جنس أو يتبناها شكل تعبيري ما، فوجودها في أكثر من حيز وشكل تعبيري يؤكد هيمنتها على لعب دورها الثابت في رسم الخطاب السردي المتطور تاريخيًا والمتعدد المستويات من الشعر والحكي والممارسات الطقوسية اللغوية وما إليها. ونجد أن اللغة قد ظلت كذلك في طائفة من أشكال التعبير الفني والجمالي والأدائي.

إنّ اللغة تحيل النص الروائي إلى نص لغوي إبداعي يحتمل المنطق السردي من وجه البنية السردية، والجمالية في مقاربته للنص الروائي وخصوصية الحركة السردية في سياق تطور مكوناته التي يدور حولها محور الخطاب الروائي واللغوي، وإذ يخضع النصُّ الروائي إلى آليات السرد من منطلق أن السياقات السردية تتعالق حولها نصوص مُهجنة للبنية المحورية للخطاب السردي ومن ثم تتناص مع نصوص أخرى أو بما يعرف بالتناص Intertextuality أي مجموعات الخطابات الأخرى الموظفة في الخطاب الروائي. ويكون الخطاب الروائي قد أفلت من محدَّدات اتجاهات النقد الموضوعي وبالتالي التحليل البنيوي المنغلق على العلامات والوحدات البنيوية للغة.

اتسع حقل علم السرد Narratology في القرن العشرين متخذًا من تعدد العلوم الإنسانية والمناهج النقدية الحديثة أدوات للتعامل ومعاجلة النصوص اللغوية والأدبية. ومع أن الرواية تعدّ واحدة من

نتاجات الفكر البشـري التي تعتمد في بنيتها النصـية على بنية اللغة،عن طريق شـخوص وأحداث، فقد غشيها التغيير أو التطور بالنظر إلى الموضوعات والأنماط الأسلوبية ومعالجاتها السردية؛ فقد عبرت خلال مراحل متصـاعدة في الرواية الكلاسـيكية إلى الرومانسـية والواقعية إلى الرواية الجديدة Nouevu Roman ولم تخل مقارباتها النصـية في نظريات تاريخ الآداب وفق منهج تطور النصـوص. وعلى مدى هذا التصـاعد التأريخي تمكن الخطاب الروائي من إنجاز مهامه السـردية من تمثل وتجسـيد وإدماج كافة الأجناس الأخرى ضمن حيزها النصيّ ومنطوقها السردي، ويتجلى ذلك في رواية القرن العشرين وما عبرت به رواية ما بعد الحداثة عن سرد الوعي الذاتي الروائي Self-conscious Narrative.

وتبقى الإشـكالية التي أثارتها أسـئلة النقد السـردي في الفصـل بين العناصـر السـردية التخيلية وغير التخيلية، وهي أفعال الكلام، والخطاب وتحليل الخطاب والعلوم الإدراكية بأنها تصف الأفعال وتعبر عنها أكثر من الموضـوعات؛ إذ أن الخطاب الروائي خطاب يعتمد الآنية في تسـلسـل الأحداث بالعمل على خصـائص تتعلق بالشـخصـية وزمن السـرد الذي تسـتغرقه الأحداث، وما تمثله من بنية فوقية ترتبط بالإشـارة المرجعية. والأحداث التأريخية فقد عوملت كظاهرة " نصـية" بينما الأعمال الأدبية اعتبرت أحداث مادية. وكأن كتابة التاريخ شكل من السرد محكوم بتعصب السارد وتصوراته المسبقة وهو نفسه نوع من الخطابة أو الخيال[i].

تؤكد اللغة حضـورها في النصَّ بما يسـتدعيه الرصَّـد السـردي في تفاعل العلاقات في الحياة الواقعية، ومتى ما اقترب الخطاب الروائي متموضعًا بين ثنايا السرد في وجوده النصيِّ لزم ذلك اختيارًا واعيًا لمقاصد الألفاظ والدلالات والاسـتعارات تأويلًا لمفردات خبيئة في النص تفصـح عنها الجمل والعبارات بأصـوات الشخصيات الروائية. ومثلما ارتبط دور اللغة في العالم الواقعي كأداة للتواصل بين الإنسان وتفاعله مع الوجود، كما الفرضـية التي ترددت كثيرًا في بحوث الأنثروبولوجيا اللغوية والثقافية. فالخطاب الروائي ينحى إلى مفارقة هذا العالم دون التجرّد من معانيه التي يسـتقيم بها الفهم والإدراك. فإذا أخذنا بالنظرية القائلة بالعالم الموازي الذي يخلقه الخطاب الروائي فإن تمدد الآفاق التي يصـلها السـرد تتجاوز كثيرًا الخطوط المعيارية للغة، فهو - أي الخطاب الروائي - يخلق عالمًا لغويًا موازيًا أيضًـا وثيق الصـلة باللغة المتكونة في طبقات سردية أخرى.

إنّ اللغة لا تعمد إلى شرح النص الروائي وتحليل نسق البناء السردي وعلاقات المفردات والدلالات المعجمية والتركيبية، بل يتم استخدامها بالتطابق والموافقة الموضعية بين مستوى اللغات التي تستخدمها الشخصيات في الرواية والعلامات الأخرى التي توجد بقوة الفعل اللغوي نفسه في النص بتمثلها للأحداث. وبما أن الجدل النقدي قد احتدم حول مسوغات الاستخدام اللغوي ومستوى هوية الشخصية اللغوية

وموقعها في النص ومدى مناسبة اللغة التي تنطق بها؛ خاصةً إذا كانت اللغة المستخدمة لا تناسب طبيعة الشخصية في أبعادها الطبقية والمهنية ! وإن كان الاتجاه الواقعي في الرواية في القرن العشرين فقد برّر لذلك بمبررات أيديولوجية لا تنتمي إلى النقد العلمي المنهجي. ولكن اللغة تؤسس لنظام، وفي هذه الحالة لا يكون اعتباطًا بما للنظام من عقلانية محددة[ii]. ونظرية اللغة لا تناقض السرد في تقاطعاته مع المركب الشخصي للمكون السردي.

الخطاب السردي:

الخطاب السردي بما يمثله كخطاب لديه منظومات وعلامات لغوية تفسر علاقاته بين النص والمتلقي؛ يكون الخطاب الروائي داخل وخارج الخطاب اللغوي المتشكل في السياق السردي العام، وذلك لأن عناصره الحوارية ولغته، وأداته التوصيلية في النص الروائي التي تسود في تفاعلاته المعقدة تجعل منه خطابًا مستقلًا وفق نسقه الخاص به. إذ يكوّن الخطاب الروائي رؤيته ويوجه عناصره السردية نحو اتجاه تفعيل الصور اللغوية وتأويل الأحداث وبناء شخصيات روائية ناطقة بجوهر رسالة الخطاب.

إنّ مصطلح تحليل الخطاب السردي باستخداماته المتعددة والذي يعنى بدراسة اللغة فيما وراء مستوى العبارة، هو الطريقة الوحيدة التي توّحِد حزمة المقاربات الأخرى[iii]. وكذلك الشأن بالنسبة للخطاب الروائي الذي يعيد انسجام العناصر السردية داخل سياق الخطاب الروائي بصياغة الأسلوب واللغة التي تحمل ملفوظاته. فدلالة الخطاب الروائي تتكشف عبر محاور البناء السردي المُتكون عن سياق يتبع التعبيرات الدلالية. فالرواية توظف اللغة كخطاب يتحرك سرديا في لغة حوارية متصلة مع عوالم الشخصيات الروائية.

اللغة والدلالة اللغوية:

تُشكِّل اللغة مصدرًا للفكر، أو هي الفكر عينه كما في مصادر اللغة والمنطق ومقوماً للبحث عن دلالات معبر عنها بألفاظ تؤدي إلى معاني تفكك الرموز الصوتية ومن ثمَّ تعيد مراجعتها فيما تشكلت فيه من شعر ونصوص تحوّل من المعطى اللغوي القابل للتشكل إلى النصِّ السردي. إن طبيعة البحث في اللغة هو بحث في طبيعة العقل والفكر كما يرى عالم اللغويات نعوم تشومسكي بدعوى أنها "...اللغات أفضل ما يمكن أن يعكس طبيعة العقل البشري" (لبتنز)"[iv]. ولما كان الخطاب السردي لا يأخذ موقعه الوظيفي بين الأجناس الأدبية وطبيعة أداؤه إلا عبر اللغة ودلالاتها السيمولوجية (العلامات)، فإن هذه الصفة لها قابلية التغير أو معيارًا متغيرًا حيثما كان التوظيف والاستخدام، وبعيداً عن طبيعة اللغة الفيزيولوجية ومواضعتها الإنسانية المشتركة، وقواعدها التركيبة والمورفولوجية (الصرفية) وعلاقاتها بالتصورات الذهنية والعاطفة والخيال إلا أن في بنيتها المعرفية تتم صياغة عالم الوجود الإنساني كما عبر الفيلسوف الألماني

مارتن هيدغر بقوله: "إن كان حقًا أن الإنسان قد وجد مسكنه الأنسب في اللغة، أدرك ذلك أم لا، فإن الخبرة التي اكتسبناها مع اللغة ستعلمنا الرابط الأكثر عمقاً في وجودنا"[٧]. وهكذا اللغة ليست فعلًا بشريًا خاضعًا لما أنتجته من أدوات، ولكن تأويلًا فلسفيًا ضمن المعارف الميتافيزيقية لتفسير ظواهر الوجود في أهم ظاهرة تحيط بالإنسان المخلوق العاقل Homo Sapiens . أما في السرد فقد ارتقت وظيفتها السردية من حيث مستوياتها البنيوية بحسب تقسيمات السرد :

- لغة ذات مستوى معياري (لغة الأدب، السلطة، المحاكم، ..إلخ).
- لغة ذات مستوى عام (اللغة اليومية المحكّية غير المكتوبة).

المنظومة اللغوية التي تنتج الخطاب أو النصّ لا يحدها السياق الحامل لما تؤديه ألفاظها ومفاهيمها الدلالية، بالتالي يتوقف الأداء اللغوي بما هو نقل مستمر للأفكار التي تتشكل من وضعية المفردات داخل حيز النص. ولكن ارتبطت تلك المقدمات اللغوية بما يتنازعها من اصطلاحات ونظريات تجهد في تمكين النص اللغوي لإيضاح الأصول التي غالباً ما تتنازعها عوامل التغيير والتبديل أي التطور الذي تكتسبه بعض من المفردات والمفاهيم وفقاً للحاجة المعرفية. لا يحدث تداول للمعلومات والأفكار دون وسيط لغوي يختزن ما تودعه المعرفة الإنسانية وهي آخذة في التعقيد والتراكم. ومن ثم توصلت المحاولات المعرفية لفهم النصوص وما تحيل إليه من مفاهيم ومعارف ذات توجه لغوي وفكري لقراءة بيانية متداخلة المناهج لا تقف عند تمييز النصوص كما في النقد التقليدي؛ ولكن لدراسة هذه النصوص والارتقاء بها على ضوء المعرفة المستجدة في مسيرة الدراسات النقدية. واللغة في ماهيتها البنيوية تعمل على الإفصاح بمدلولاتها المجازية وحركة المفردات داخلها، فإن تبيان تلك الدلالات اللغوية دائماً ما تتطلب الإبانة المفصحة كما في البلاغة ومن ثم النقد والتفسير والتأويل؛ وهي مترادفات لا تشير إلى اصطلاح بعينه دون الآخر وإن كانت جميعاً تنتظم الإجراء النقدي واللغوي.

التعبير البلاغي للنص السردي:

وإذا كان النقد هو التشريح النقدي للنصوص السردية، أو نصوص أخرى تتوافق لغويًا مع اللغة وقواعدها كمصدر يتأسس على بينة منظومة دلالية قادرة على تركيب النصوص في نصِّ لغوي مسوغ لقدرة اللغة على التسرب بين طبقات التفكير المنطقي في إنتاج النص، فإن علم البلاغة في تطوره التاريخي الممتد في لغات العالم من اليونان إلى العربية ونظمها البلاغي،كما أن اللغة تحكمها، وتتحكم بها نظم تمنحها قدرتها في التعبير من بني ومعانٍ كالألفاظ، وبنية مورفورلجية مقيدة كالنحو وحركات الكلمات داخل السياق اللفظي؛ مما يعطيها بعدها البلاغي ومكونها الشرطي للاقتراب من مفهوم الكلام أو الضم بقول البلاغي

العربي عبد القاهر الجرجاني. وعلى هذا السياق تطورت البلاغة كأداة كاشفة لمكنونات اللغة وإعادة مستمرة لصياغة المعنى وكشف دلالاته المتوارية باختلاف طرق التفكير. فالبيان سعي مركب لإجلاء أقصى طاقات اللغة في التفسير، فالنص المبين يشكل تحديا مستمرا للبعد البلاغي في المطابقة وحدود استعماله في ثنائية النظرية والتطبيق داخل انساق الواقع الديني والأدبي والفكري والجمالي. ويظلُ محاولة مستمرة لإعادة فاعلية الاستواء اللفظي على الصورة التي تواضع عليها النص اللغوي، أونظم اللغة، فكان أن تشكل التراث النقدي على هيمنة وسلطة بيانية مسيطرة لقرون على مختلف ضروب الإنتاج الإبداعي العربي البلاغي والنتاجات الأخرى (الأجناس) الأدبية لما كان منها سائداً ومستمراً كالشعر وموازناته النقدية قديماً كالآمدي في موازنته بين شعر أبي تمام والبحتري. وتوغلت البلاغة (البيان) بعمق في اللغة العربية حتى عدّ النص البياني إعجازاً كلما بلغ النص أو التعبير مدىً يقف عنده التفكير اللغوي موقفاً يتفاوت بين الحيرة والغرابة؛ وحيثما يزداد الأسلوب غموضا يقترب من البلاغة وإعجاز البيان. وبهذا تكون البلاغة أداة البيان في الخطاب النقدي منذ اعتمادها كمقوم للخطابة واللغة إجمالًا كما في المحاورات الفلسفية الإغريقية، ومن ثّم استخدام النقد في العصور التي ازدادت فيها الحاجة إلى إثبات أحقية النصوص في التمسك المطلق للحقيقة في تأويل النصوص الدينية. وبهذا يكون النص الروائي واقع في مسار التحقيب البلاغي بتاريخه، وإن يكن النص الروائي (الرواية) بشكلها المألوف جنساً أدبياً حديثاً ويخضع في الوقت نفسه لمعايير الأدوات اللغوية البلاغية.

اللغة والرواية:

تسعى اللغة إلى التحكم بالقدرة على استيعاب ما تصطلح عليه العلوم من اصطلاحات أو دلالات لفظية يتواضع عليها؛ أو يفرض استخدامها منهجيًا بما ينتهي إلى مفاهيم تقنية يحددها السياق التوظيفي أو بما يعرف بالنسق Paradigm. كل نظرية معرفية ومفهوم يستدعي لغة ليس بالضرورة اللغة من حيث بنيتها الطبيعة، ولكن اللغة بما تترجمه الإشارات والعلامات والرموز. فالآداب والفنون تتمحور حول الكلمة المفردة في الشعر أو النص الروائي، أما العلوم وتطبيقاتها التجريبية فتكتفي بالرموز والمعادلات الرياضية التي بالضرورة لغة تتسم بالثبات وحصينة ضد التأويل بما يوحي به اللفظ في غير موضع من نصوص الخطاب الثقافي للغة. فاللغة السردية طاقة لإنتاج تعبيرات خارج السياق البيئي للغة – مجال التداول- إلى أن اللغة التي تُسكن أو تطور المفهوم أو ما تعبر عنه الشخصيات الروائية ويصبح دارجا في اللغة المتداولة. ولغة النص الروائي ليست هنا تعبير دارج لا يعتمد قواعد لغوية لإنتاج التعبير الذي ينتجه السرد في شكله اللغوي. ففي موازاة النص اللغوي السليم بالمحافظة على مفردات اللغة، تعمل كل من اللغة والسرد على إيداع شامل بإدخال المفردات والمسارد اللغوية إلى المعاجم كذاكرة لغوية ثنائية أو مفردة.

اللغة وتشكلات السرد الروائي:

تحاول اللغة السردية تقديم صورة لغوية سمتها العام لغة مبسطة ذات قاع شعري ودلالي أحياناً فتركيب الجملة ينساب متقطعًا ولا تخلو من نبرة ساخرة اتساقًا مع أحداث الرواية. إنها الصورة التي عبر عنها ميخائيل باختين "... وداخل كل ملفوظ تقريبًا، يحدث تفاعل متوتر، وصراع بين كلامه الخاص وكلام " الآخر" كما تتم سيرورة دينامية مما يبدو عليه، إذا اكتفينا بالنظر إلى توجيه الغيري وتعبيراته أحادية الصوت المباشرة"[vi]. فالرواية تقتصد مستوىً لغويا تتباعد فيه دلالات الأسلوب في حين تبرز لغة المكان والشخصيات والأحداث متفاعلة مع مستوى اللغة التي تنتج نصًا لغويًا سرديًا.

على الباحث أن يراعي مبدأين أساسين للقيام بإجراء التحليل الأسلوبي بشكل "ديناميكي" يتغلب على الوصف الثابت خلال القراءة النقدية وهما:

أولًا: التحديد الكمي الذي يشمل جميع عمليات رصد الوسائل "التكنيكية" الأسلوبية المتمثلة في النص الأدبي وحصرها وتصنيفها، مما يعد خطوة أولى في القراءة النقدية. وينجم عنها نوعان من النتائج: أحدهما تقويم العناصر التي تمارس تأثيرًا أسلوبيًا فعليًا لا شك فيه على حسب العناصر الأخرى ذات الطابع الثانوي المترتب على فقدانها لمثل هذا التأثير. والثاني إبراز بعض الدلالات المركزة على تلك العناصر.

ثانيًا: تفسير هذه العناصر بتحديد جذورها الشخصية والموضوعية؛ أي تقويم الوسائل الأسلوبية باستحضار جذورها الذاتية في شخصية الكاتب من ناحية والشبكة الدلالية الموظفة لها من ناحية أخرى. ومن هنا فإن هذا التقدير الشامل لا يمكن القيام به إلا في مرحلة أدبية معينة أو في نطاق جنس أدبي خاص، محوط بوجهة موضوعية "أيديولوجية" تضفي على هذه المكونات الجمالية طابعها المتماسك[vii].

تستخدم الرواية الصور البلاغية استخدامًا واسعًا والمفردات الغنية بالتعابير المجازية، مما يوضح الصلة بين اللغة كأداة لغوية توظف المفردة اللغوية ومطابقتها للنص الروائي، أي ما يعرف بلغة الرواية. ثمة تعبيرات ينفرد بصياغتها النص الروائي تفضي إلى جملة قصيرة موحية تجعل من النصّ الروائي نصًا مشوقًا بسبكه اللغوي المتين. وعليه، تبدو في مستوى ما شعرية وقد تخللت الأبيات الشعرية النص كأن يبرهن النص السردي على تمكنه من الأداء اللغوي. وقد تبين اللغة الفصيحة عن تعابير تبلغ بالنص الروائي مبلغًا رفيعًا من الناحية اللغوية، ومع وجود استخدام العامية في حيز ضيق على لسان بعض من الشخصيات الروائية يعقبها تدخل الراوي بشرح لغوي ناصع في إبانته. ولربما باستخدام للصور المجازية أن يجعل المفردة تمنحنا أكثر من صورة سردية.

هذه التشبيهات الواردة في هذه الجمل، دقيقة في وصفها بإيجاز ولكنها تمتد في الذهن بالصور التي تتسع مداراتها في التصور اللغوي العام.وتشبع النص الروائي باللغة التصويرية الشاعرية التي تستند على الاستعارة والترميز والدلالة المضمرة، وتكثف كلها المشاهد السردية في النص الروائي ليكمل الوظيفية اللغوية في السرد. إنَّ إنتاج نص روائي بعيدًا عن اللغة التقريرية أيًا يكن مستوى اللغة المستخدمة (العامية، الفصحى) دون تحميلها بالصور البلاغية والإيحائية؛ يفقد النص الروائي أهم عناصر الخطاب الروائي والتشكيل اللغوي الروائي. فالمعالجة الأسلوبية لمسألة اللغة في النص الروائي تعكس العلاقة بين معرفة الروائي وعوالمه التي يشكلها في النص، وإذا كان الوصف كآلية اللغة في محيطها الموضوعي لإضفاء الدلالات التي تشير إلى الموضوعات في وجودها الفعلي، فإن الوصف اللغوي في النص الروائي يتطلب ما فوق الوصف المباشر، ولذلك ينقاد السرد الروائي إلى اللغة إذا كانت من القوة بمكان هيمنتها ودقة نقلها.

-

إشارات مرجعية :

Terry Eagleton, Literary Theory.

- Ferdinand Saussaure, General Linguistics Course.
- Routledge Encyclopedia of Translation Studies.
- Noam Chomsky, Knowledge of the Language Its Nature, Origin, & Use.
- Martin Heidegger, On the Way of Language.
- مخيائل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة د. محمد برادة.
- د. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءات.
- ناصر السيد النور، الرؤية اللغوية للترجمة (دراسة)

الإنسان كائن لغوي !

منير عتيبة :

خُلق العالم بكلمة.. "كن".

لكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي أعرفه يمكن أن نطلق عليه أنه (كائن لغوي)، فكل تفاصيل حياته تبدأ وتنتهي باللغة.. الأفكار في ذهنه لغة غير منطوقة، أفعال حياته لابد أن تترجم إلى لغة وإلا تفنى..

وقد وعيت على اللغة من صغري، وعيت على كونها كل شيء في حياة البشر، أو في حياتي أنا على الأقل، فمتعتي الكبرى كان مصدرها قراءة الكتب والاستماع ومشاهدة أفلام ومسلسلات الراديو والتليفزيون، لغة مكتوبة، ولغة مسموعة، ولغة مرئية.

في المدرسة الابتدائية كنت أستمتع بكتب التاريخ، والقراءة، والقصة، والنصوص شعرًا ونثرًا، وكنت لا أحب مادة النحو، وعندما كبرت قليلًا أضيف إلى النحو مادة البلاغة، كنت أشعر أن في النحو جمود منفر يتنافى مع ضرورة أن تكون اللغة حية مقربة إلى عقل ووجدان من يستخدمها، وكنت أرى أن مادة البلاغة تضع جماليات النص الحي في تابوت فتقتلها، لأنها تحنط الذائقة الأدبية التي من المفترض أن تكون متعددة بتعدد المتذوقين، تحنطها في صيغ محفوظة لا تفيد النص بقدر ما تنفر الطالب منه، لذلك يندر أن نجد طالبًا يبحث عن كتب لكاتب درس له نصًا في المدرسة ! مما كان يؤكد صعوبة اللغة العربية، وعدم قدرتها على مجاراة العصر، وأنها ستموت خلال سنوات مقارنة باللغات التي يتم بها الإبداع والابتكار وتتلاءم مع احتياجات الناس في هذا العصر التكنولوجي، وعلى رأسها اللغة الإنجليزية.

لكنى اكتشفت فيما بعد خطأ هذه الأفكار، فليست المشكلة في اللغة العربية بل في مناهج تدريسها، وليست المشكلة في القدرات التي تتمتع بها اللغة العربية، بل في القائمين على تعليم وتوصيل هذه اللغة.

وكان من الكتب المهمة التي فتحت عيني على هذه الحقائق كتابان الدكتور نبيل على (العرب وعصر المعلومات) و(الثقافة العربية وعصر المعلومات.. رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي) فقد اكتشفت من خلال الكتابين المكملان لبعضهما أهمية وقيمة اللغة العربية.

يؤكد الدكتور "نبيل علي" محورية الثقافة بالنسبة للمنظومة المجتمعية في عصر المعلومات، ويؤكد كذلك محورية اللغة بالنسبة للمنظومة الثقافية نفسها، اللغة كوعاء للمعرفة ووسيط لتنميتها وتوصيلها، فاللغة إذًا هي الشاغل الأول، والشأن الأهم في عصر المعلومات. ويشير إلى بعض مزايا اللغة العربية كلغة

من فئة عليا Superset حيث تتميز بخصائص كثيرة تؤهلها؛ لتكون لغة عالمية مثل التزامها بالقاعدة الذهبية فيما يخص التوسط والتوازن اللغوي، فاللغة العربية تجمع بين كثيرمن خصائص اللغات الأخرى على مستوى جميع فروعها اللغوية: كتابةً وأصواتاً وصرفاً ونحواً ومعجماً، وتتسم بتوازن دقيق وتآخ محسوب بين فروع اللغة المختلفة. وعلى المستوى التكنولوجي ثبت أنه يمكن تطويع "النماذج البرمجية المصممة للغة العربية لتلبية مطالب اللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الإنجليزية." و المزايا العديدة التي تتمتع بها اللغة العربية والتي تؤهلها لتفاعل إيجابي خلاق مع عصر المعلومات وتقنياته المختلفة؛ تجعلنا في موضع اتهام لضياع لغتنا واستعجامها حتى على أهلها.. فالجهود التي تبذل لخدمة اللغة العربية قليلة ومتناثرة، وأغلبها لا يتفاعل مع مستجدات العصر.. كما أنه لا توجد فلسفة عربية حقيقية تضع اللغة العربية في مكانها التي تستحقه في منظومة الثقافة والمنظومة المجتمعية.. حتى أصبحت لغتنا سجينة قاعات الدرس، مقيدة بأغلال الإهمال، وأصبح أهلها أنفسهم يظنونها لغة غير جديرة. وفى الوقت الذي تدور فيه حرب لغوية طاحنة -تعتبر الإنترنت أظهر ساحاتها- بين اللغات التي تحاول فرض هيمنتها، نلاحظ أن اللغة الإنجليزية تفوز بنصيب الأسد حتى الآن، مما ولّد شعوراً عاماً بأن اللغة الإنجليزية هي اللغة الوحيدة القادرة على أن تكون لغة العلم والتكنولوجيا والثقافة والحوار بين كل دول العالم.. وفى وطننا العربي هناك شبه يقين أن ذلك يرجع لقدرة خاصة كامنة في اللغة الإنجليزية. لكن الحقيقة أن المنتمين إلى اللغة الإنجليزية -والأمريكان بالذات- يعلمون أهمية أن ينتصروا في الصراع اللغوي العالمي، لأنه صراع سياسي اقتصادي أيضًا؛ لأن اللغة التي ستنتصر هي التي ستفرض ثقافتها واقتصادها، وتكون لها الكلمة العليا في معترك السياسة الدولية؛ لذلك يحرصون على دراسة لغتهم وتعليمها ونشرها بكل السبل الممكنة، فانتشار اللغة الإنجليزية يرجع إلى مثابرة أهلها وحرصهم عليها أكثر من كون ذلك لميزة تميزها عن اللغة العربية مثلاً. لذا، فـ"الصحوة اللغوية" بداية حقيقية وضرورية لنلحق بالسباق قبل أن ننقرض على مستويات عدة تبدأ بالانقراض اللغوي من خلال ما أسماه المؤلف بـ"الدارونية اللغوية." والأمر هنا يحتاج إلى جهود كبيرة ومخلصة على مستوى كل الحكومات والشعوب الناطقة باللغة العربية، فلم يعد الجهد الفردي أو جهد دولة واحدة يكفي.. إننا بحاجة إلى مؤتمر قومي يعرف للغة قيمتها، ويعطيها مكانتها، وينقذها من الضياع، وذلك بالدراسات الجادة المتعمقة في اللغة ذاتها، واللغة في علاقاتها المختلفة بالعلوم والتكنولوجيا والفنون والتربية والمجتمع، وبوضع سياسات واقعية قابلة للتنفيذ، والعمل على تحقيقها.. فهل حان الأوان لنتفق "لغويًا" بعد أن فشلنا في الاتفاق سياسيًا واقتصاديًا ؟.!

باللغة يفكر الإنسان، باللغة ينفذ الإنسان أفكاره، باللغة يتواصل الإنسان مع ذاته و مع الآخرين، باللغة يحب ويكره ويفرح ويتألم، باللغة يسجل حياته ويخلدها، فبدون اللغة لا تاريخ و لا حاضر و لا مستقبل للإنسان لأنه.. كائن لغوى أساسا.

منير السيد محمد عتيبة :

مواليد: 8 فبراير 1969

ماجستير إدارة الأعمال MBA – الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا 2009

ليسانس آداب- قسم الاجتماع- جامعة الإسكندرية 1992

عضو اتحاد كتاب مصر وعضو لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة (2013-)

عضو لجنة الإنترنت باتحاد كتاب مصر (2008- 2010)

رئيس لجنة الإنترنت بفرع اتحاد الكتاب بالإسكندرية (2004-2006)

عضو مؤسس وعضو مجلس إدارة اتحاد كتاب الإنترنت العرب (2003- 2011)

عضو لجنة الإعلام باتحاد كتاب مصر (2013- 2014)

عضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية- عضو لجنة تضامن الشعوب الأفروآسيوية

مؤلف دراما معتمد بالإذاعة المصرية - مؤسس ومدير مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية. (2009-)

أمين عام مؤتمر الإسكندرية الأول للثقافة الرقمية أكتوبر 2009

منسق عام مؤتمر الإسكندرية الثاني للثقافة الرقمية ديسمبر2011

أمين عام مؤتمر محمد حافظ رجب رائد التجديد في القصة العربية2012

أمين عام مؤتمر الإسكندرية للسرديات الدورة الأولى دورة الأديب مصطفى نصر القصة القصيرة جدا2013

منسق مؤتمر مصر المبدعة التي تنظمه لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة ومختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية (دورة عام2015 ودورة عام2016).

له مؤلفات عدة نذكر منها:

الإسكندرية مهد السينما المصرية – دراسات(مشترك) الهيئة العامة لقصور الثقافة

يا فراخ العالم اتحدوا – قصص – دار"الصديقان"

حكايات آل الغنيمى- رواية, و حكايات البيبانى-قصص- الهيئة العامة للكتاب

عمر بن الخطاب فى عيون مفكرى العصر- دراسات- سلسلة كتاب الجمهورية

مرج الكحل- متوالية قصصية- سلسلة ندوة الاثنين

كسر الحزن-مجموعة قصصية- المؤلف , أسد القفقاس- رواية- و حاوى عروس- مجموعة قصصية

محمد حافظ رجب رائد التجديد فى القصة العربية (إعداد)- مكتبة الإسكندرية

عن الكتابة السحروالألم- حوارات ثقافية

بقعة دم على شجرة- مجموعة قصصية- اتحاد كتاب مصر

روح الحكاية- قصص قصيرة جدا

في السرد التطبيقي قراءات عالمية وعربية-نقد أدب-الهيئة العامة لقصور الثقافة

موجيتوس- رواية- مؤسسة حورس الدولية- 2015

وكذا عدة مؤلفات فى مجال الطفل :

تعال نلعب ونقرأ- مسرحية للأطفال- الهيئة العامة لقصور الثقافة.

شقاوة أوشا – حكايات عربية - سلسلة كتاب الهلال للأولاد والبنات.

* تم تدريس بعض أعماله: بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية- كلية التربية جامعة المنوفية-كلية الآداب جامعة حلوان-كلية التربية جامعة الإسكندرية.

حاصل على عدة جوائز نذكر منها :

جائزة الدولة التشجيعية في الآداب 2015 عن مجموعة (روح الحكاية) قصص قصيرة جدا

جائزة اتحاد كتاب مصر في القصة القصيرة2014 - جائزة نادي القصة في القصة القصيرة 2012

جائزة إحسان عبد القدوس في القصة القصيرة 2008- جائزة ساقية الصاوي في القصة القصيرة العربية 2006 جائزة إحسان عبد القدوس في القصة القصيرة 2006 - جائزة جمعية الأدباء في القصة القصيرة 2006- جائزة مجلة هاى الأمريكية في القصة القصيرة العربية 2005

تم تكريمه من المؤسسات الآتية :

نقابة العاملين بالتنمية البشرية كأفضل كاتب قصة ورواية عام2014.

إدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة المصرية لمساهمته فى إثراء الحياة الثقافية المصرية

كلية الآداب جامعة الإسكندرية وبرنامج فلاجشيب لتعليم اللغة العربية للأجانب مايو2013

الاتحاد العربي للصحافة الإلكترونية بدرع الريادة الإعلامية الرقمية يناير2012

قسم المسرح بكلية الآداب جامعة الإسكندرية مؤتمر أدباء مصر عن أدباء وجه بحرى 2011

الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب (واتا) 2008

تم اختياره ممثلا لمحافظة الإسكندرية (شخصية عامة) بمؤتمر أدباء مصر بالغردقة 2007

بين العامّية والفصحى

محمد حامد :

إننا نرى كيف تعلو من آن لآخر، صيحات أثيمة ، تدّعي صعوبة الكتابة بالفصحى، وتدعو لذلك إلى هجرها، والكتابة بالعامّية، بحجج يبدو فيها الزيف والضلال، وهي إن جازت على بعض ذوي العقول الضعيفة، والنفوس المريضة، فإنها لم تخدع بحال من الأحوال جمهرة العرب، الذين آمنوا بربهم، و تمسكوا بكتابهم، وعرفوا أن في حياة هذه اللغة الشريفة حياة لدينهم وتراثهم، وهم في هذه موقنون.

بتحقق وعد الله الكريم، بأن يحفظ الفصحى، حين تكفل عزوجل بحفظ كتابه العزيز، فقال: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } .

وإن من يدعو إلى نبذ الفصحى، والكتابة بالعامّية، لهو أحد رجلين، أولهما: حاقد على الفصحى وكتابها الكريم ودينها الخالد، فهو يريد هدم الدين عن طريق هدم لغته، وتضييع كتابه، وهذا ضل سعيه؛ لأنه ممن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

والآخر رجل جاهل بسر العربية، وما فيها من قدرة بارعة خلاقة في التعبير عن الفكر. ومن جهل شيئًا عاداه، كما يقولون.

ومن النفر الأول بعض المستشرقين وذيولهم في الوطن العربي، وقد هلل "نولدكه" لمحاولات "محمد عثمان جلال" الكتابة بالعامّية المصرية للمسرح، فما باله لو اطّلع على الأدب الغث الذي كتب بهذه اللغة الممسوخة، في عصرنا الحاضر؟!

إن مما يطمئن النفس أن أصحاب هذا الأدب، يحسون في قرارة أنفسهم بالضعة، ويتجرعون مرارة الإحساس، بأن أدبهم محلي، ليس له رواج إلا في بيئاتهم المحدودة.

ولقد يلفت النظر أن قطب الدعاة إلى العامّية في نصف القرن الماضي، وهو "سلامة موسى"، لم يكتب واحدًا من مؤلفاته، أو يسطر كلمة في مقالاته، باللغة التي كان يدعو إليها. فهل ترى أقسى من هذا على نفوس هؤلاء الحاقدين الحاسدين؟!

إنه من الغريب حقًا أن يبحث بعض الناس عن لغة أخرى غير الفصحى، لتحل محلها -على زعمهم- في توحيد شعوب الأمة العربية، ويرون في هذه العامّية أملهم في أن تحمل لواء الأدب، وتتسع لمستحدثات الحضارة.

فأية عامّية تلك التي يريدونها؟ أهي عامّية مصر، أم عامّية الجزيرة العربية، أم عامّية العراق، أم عامّية سوريا، أم عامّية المغرب، أم عامّية السودان؟ وفي مصر مثلًا: أهي عامّية الصعيد، أم عامّية الوجه البحري، وفي الوجه البحري: أهي عامّية الشرقية، أم المنوفية، أم البحيرة؟ إن هذا لهو الضلال المبين!

وليعرف أبناء اللغة العربية، أن محاولة رفع مكانة العامّية، لتحل محل اللغة الأدبية، إنما هو شعار مدرسة ضالة في أمريكا، لم يرض عنها جمهرة علماء اللغة في العالم. وهذا هو "ماريو باي" يرد عليهم فيقول في كتابه " لغات البشر ص "108:

"شق الجيل الجديد من اللغويين في أمريكا، عصا الطاعة على النحو التقليدي، وبدءوا يدعون للمبدأ الذي ينادي بأن الصيغة التي يستخدمها الناس، هي الصيغة اللغوية الصحيحة. وقد صار شعار هذه المدرسة:

"إن اللغة الحقيقية، هي اللغة التي يستخدمها الناس فعلًا، لا اللغة التي يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها".

ولكن الصيغة التي يستخدمها الناس، لها مشكلاتها الخاصة بها، فأية صيغة هذه؟ ومن الذي يستخدمها؟ حتى في الدول التي يظهر للناس أنها تستخدم لغة موحدة، هناك مستويات مختلفة لاستخدامها، كما تختلف اللهجات المحلية، باختلاف المناطق التي تستخدمها".

ولقد بلغ من خبث بعض دعاة العامّية أحيانًا، أن زعموا أن العامّية شكل صحيح من أشكال الفصحى، عنها تطور ومنها أخذ، وأن استخدام العامّية لن يقطع الصلة بيننا وبين الفصحى. ولقد كذبوا في هذا

وزيفوا وضللوا، فهم يعرفون تمامًا أن اللاتينية مثلًا، كانت هي اللغة الأدبية في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا في العصور الوسطى، وكانت العامّيات المنتشرة في هذه البلاد، هي اللهجات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهي عامّيات لاتينية، تشبه العامّيات العربية في صلتها بالفصحى.

وقد أدى استخدام الأدباء والشعراء لهذه العامّيات بعد ذلك، في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا، وتركهم اللغة اللاتينية الأدبية الأم، إلى موت هذه اللغة، وانسلاخ العامّيات عنها، وتكون اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهذا هو ما يريده دعاة العامّية، وهو أن تتفكك لغتنا إلى لغات شتى، في أرجاء الوطن العربي.

و خلاصة القول أنه لا يحق لنا، أن نخلط الفصحى بالعامّية، بدعوى أنها تمّت إليها بصلة، فإن هذه لغة وتلك لغة أخرى، فمن ضاق بالفصحى من هؤلاء الأفاقين، فلا عليه أن يستخدم عامّيته في أحاديثه و كتاباته، غير أنه لن ينتزع منها شهادة بأن هذه العامّية هي والفصحى سواء. و إنا لهم بالمرصاد، والله الموفق.

---

*الكاتب محمد حامد محمد من مواليد أغسطس 1969
حاصل على ليسانس آداب قسم اللغة العربية عام 1990
كاتب وروائي له العديد من المؤلفات المتنوعة نذكرمنها :
كتب في التصوف وسِيَر الصحابة:
- هكذا تكلم جلال الدين الرومي , مولانا أنين الناي, من سير الصحابيّات, سيرة و مناقب عمر بن الخطاب.
كتب عن اللغة و الإبداع:
- في الكتابة الإبداعية, شوارد نحوية, تبسيط النحو والصرف و القواعد الاملائية.

مؤلفات أخرى:
- المُتَشَوّف , قواعد العشق الخمسون , أدب الجواري, لا أحد يعبر الجسر,
كيف تكون شخصيتك؟, كيف تكون من الأوائل؟,
سلسلة من خمسة أجزاء تتضمن مختارات من مقالات الأديب عباس محمود العقاد. قصص وروايات:
- السابعة والنصف صباح الثلاثاء "مجموعة قصصية", ورواية"فراديس"
شارك في فعاليات المؤتمر الدولي الأدبي السادس "مئة ألف أديب من أجل التغيير" سبتمبر الماضي .

هشتريه بعمل الخير

وسام جنيدي :

علاقتي باللغة العربية نشأت مع بداية قراءة رواية (الحرافيش) للكاتب نجيب محفوظ رحمه الله، ونتيجة أني قرأت تلك الرواية في سن صغير نسبيًا ،لم يكن عالم نجيب محفوظ الساحر فقط هو ما جذب مخيلتي بالطبع البعد الفلسفي لكتابات محفوظ كان غائبًا عني لصغر سني نسبيًا وقتها ،ولكن الكلمات ،تركيبات محفوظ الفريدة ،التي برزت لي للغاية في العبارة التي يرددها المنهزم في معارك الفتوات (نعم الفتوة أنت) !

تلك العبارة على الرغم من اقتضابها محيرة للغاية ،لِمَ قام محفوظ بكتابتها هكذا ،تلك الموسيقى التي تصاحب وقع الجملة عند قراءتها، تركيبة فريدة، مختلفة، على الرغم من أنها قد تبدو للقارئ ذات نشاز قرائي ولكن ...

مع الوقت اكتشفت لغة نجيب الخاصة، تلك اللغة التي بذل بها جهدًا ربما يفوق عالمه الخيالي المنسوج و فلسفته العميقة.

اللغة العربية بقراءاتها الخمس لا تحتاج للحديث عنها و مقارنتها مع اللغات الأخرى، ولكن هاجسي الشخصي منذ بدأت الكتابة ،كيف سأصنع لغتي الخاصة !؟ كيف ستصل إلى المتلقي !؟ والأهم كيف ستصنع مفردات لغتي التي أتمناها لي السعادة لمن يقرأ لي؟!

نعم السعادة، فاللغة و الكلمات تصنع سعادة الأفراد، نعم تصنعها ، فاللغة العربية تصل بمن يريدها هكذا حتى في جمل مقتضبة سريعة ،لا يهم أن تحوي موسيقى منفردة مثل عبارات محفوظ ولكن تستطيع .

لذا عندما أجلس لأكتب أتذكر موقفًا حدث منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، ذلك الموقف قد يعبر ربما على بعض من يقرأه عبور الكرام ولكن بالنسبة لي كان مؤثرًا للغاية في موضوع اللغة العربية، وربما اللغة عامة ، في يوم ما أثناء جلوسي في محل للحيوانات الأليفة يملكه صديق لي ،دلف شاب صغير نسبيًا ، ربما في الرابعة عشر من عمره ،مصطحبًا كلبًا من فصيلة ملكية نادرة، على الرغم من وضوح رقة حال الشاب الصغير صاحب الكلب، إلا أنه كان يشتري نوعًا من الطعام لكلبه غال السعر ،وعندما سألته عن ثمن الكلب أجاب: 750جنيها ،وهو ثمن غال في ذلك الوقت ولكن الكلب عن حق فصيلة ملكية، فمازحت صديقي بأن هذا السعر إذا أراد أحد شراءه شخصيًا بهذا الثمن سيكون سعرًا مبالغًا فيه، ضحكنا و ضحك الشاب صاحب الكلب، حاولت إشراكه في مزاحنا دون فجاجة وسألته :

-بكم تشتري صديقي هذا إذا ما عرض للبيع !؟

نظر إليّ الشاب صاحب الكلب بنظرة ودودة ونقل بصره إلى صديقي صاحب المحل:

(هشتريه بعمل الخير)

جملة لا يستطيع تركيب مفرداتها سوى أبناء البلد، سوى شخص متصالح، جميل إلى أقصى درجة على الرغم من رقة حاله الواضحة !

لذا عندما أجلس لأكتب دائمًا، أتذكر صاحب الكلب ، أتذكر لغته البسيطة المقتضبة، المتفردة، اللغة العربية على عكس جميع لغات العالم، بقراءتها المحدودة ولهجاتها المتعددة، تتطوع، ولكنها تتطوع لمن يحبها، لمن تشعر به الكلمات لا يلفظها فقط، للرسالة المرجوة من نطقها وكتابتها ،تستطيع الألفاظ والتراكيب أن تجلب النشوة والسعادة معًا لمن يقرأها !

لذا حاول دائمًا أن تكون كصاحب الكلب، تحمل رسالة، تحمل لغة خاصة، اللغة العربية تستطيع تقديم هذا لك بكل أريحية ،لا فرق بين فصحى وعامية وصحفية، ستعطيك هذا فقط لو حاولت.

وسام صلاح جنيدي :

مواليد 1981 حاصل على بكالوريوس تجارة وإدارة أعمال

كاتب صحفي وروائي مصري شاب

نشرت له مجموعته القصصية الأولى عام 2014 بعنوان "منزل مليء بالقطط"

أما روايته الأولى "نانسي وأصدقاؤها" فقد نُشِرت يناير من هذا العام, وهي رواية تنتمي لفئة أدب الجرائم النفسية.

وله العديد من المقالات بالمدونات والمواقع الالكترونية .

ترجمات خاصة

الحقائق المذهلة عن اللغة العربية

ترجمة : علي زين

هل تعرف كم عدد الكلمات العربية عن 'الحب'؟

هناك أكثر من 300 مليون متحدث باللغة العربية في العالم.

اللغة العربية هي اللغة الرسمية في 22 دولة والتي تشَّكل الجامعة العربية. هناك أكثر من 300 مليون متحدث باللغة العربية في جميع أنحاء العالم، تعيش في الغالب في المنطقة الممتدة عبر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. كما أنها واحدة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة (UN). ومع ذلك، ففي المملكة المتحدة، واحد في المائة فقط من السكان البالغين يمكن أن يجري محادثة صحيحة باللغة العربية.

العربية لديها استخداماتها المختلفة اعتماداً على السياق الذي تُستخدم فيه :

اللغة العربية هي لغة السامية الوسطى، ذلك الارتباط الوثيق بالآرامية والعبرية. التميز أو اللغة العربية الفصحى - الفصحى - وهي شكل مميز من اللغة المستخدمة في وسائل الإعلام والصحف والأدب وباقي مناحي الحياة.

العامية (المحكية) العربية،هناك العديد من النماذج التي تستخدم في المحادثة العادية، مختلفةً من بلد إلى آخر، وحتى من مدينة إلى مدينة أخرى. حيث يتم استخدام أشكال وأساليب مختلفة للغة جنباً إلى جنب لخدمة وظائف مختلفة في المجتمع.

من داخل جوهرها، كانت العربية قد تطورت عن طريق الكلام الشفهي والشعرية التي ازدهرت في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام وبدء تدوين اللغة العربية.يتم استخدام الحرف العربي على نطاق واسع في الفن من خلال الخط والمُشاع الآن في أكثر الفنون الحديثة والمعاصرة للفن العربي. يستفيد البعض من انصهار ودمج فن الخط والكتابة على الجدران، والمعروف باسم "calligraffiti". خطوط القرافيتي..

العربية تبني كلماتها من الجذور الأساسية :

وكما هو الحال في اللغات السامية الأخرى، العربية لديها طريقة معقدة وغير عادية في بناء الكلمات من الجذر الأساسي. وهذا يعني أن وجود مثال أو كلمة من ثلاثة أحرف مثل "ك-ت-ب"، سوف تكون دائماً

أساس الكلمات التي تحتوي على الحقل الدلالي لل'الكتابة'، مثل "كتاب" الأمر الذي يتفرع ليصبح 'مكتبة أو مكتب.

باستخدام أسلوب الجذر يعني الترجمة المباشرة, وخصوصاً من النصوص الشعرية، وغالبًا ما يكون من الصعوبة حيث يمكن لجذر الكلمة الواحدة أن يحتوي على المعنى الذي قد يستغرق بضع جمل لترجمته ومعرفة معناه. ومع ذلك، إلا أنها مزية مفيدة من خصوصيتها، المدهش في الأمر هو أنك ستحصل وستبلغ بشكل لا مثيل له على عمق كل معنى وعاطفته من قبل العديد من اللغات..

هناك 11 كلمة على الأقل ل'الحب' :

العربية لديها مالا يقل عن 11 كلمة عن الحب فقط. وكل واحدة منها تحمل مرحلة مختلفة في عملية الوقوع في الحب. كلمة 'الهوى'، على سبيل المثال، تصف الانجذاب الأولي أو ميلان وانحدار الروح و العقل نحو الآخر. مصطلح يأتي من جذر الكلمة "، هوى " تلك الرياح العابرة التي يمكن أن ترتفع أو تنخفض.

كلمة ال"علاقة" والتي تأتي من جذر الكلمة (علق) الكلمة التي تعني"التمسَّك, والتشبثّ "واصفةً المرحلة المقبلة عندما يبدأ القلب بالتعلقّ بروح الحبيب، قبل أن تتطور لتصبح الرغبة العمياء وهي "العشق" والتي ستستهلك الحب لنصل لمرحلة "الشغف" وهي المرحلة الأهم من الوقوع في الحب.قبل أخر مراحلها وهي كلمة "الهيام"، واصفة الغرق الكامل والكلي في الحب.

ومن المثير للاهتمام، أن الكلمة الأكثر شيوعاً عن الحب في العربية: "حَب"، الكلمة التي تأتي من نفس جذر كلمة "البذور" حيث البذرة التي لها القدرة على النمو إلى شيء جميل.

كلمة القلب التي يأتي من جذر الكلمة (ق-ل-ب)، وهذا يعني قفاء أو قلب الشيء على ظهره. على الرغم من أن الكلمة تشير إلى القلب الجسماني والروحي,ولكنه جذر الكلمة التي تصبح مناسبة جداً عندما نفكر في قلوبنا كشيء يتحول ويتقلب باستمرار على العواطف والقرارات والآراء. كن حذرًا لتنطق الحرف الأول بشكل صحيح,لأن لدينا كلمة أخرى مشابهة وهي ال "كلب" والتي ستشير" إلى شيء مهين ومحتقر وبعيد للغاية عن معنى كلمة "القلب " الروحية.

هذه المفردات التوسعية لا تقتصر فقط على عالم الشعر والأدب، ولكن أيضًا في جميع مناحي الحياة الاجتماعية.

العربية لديها نغمة الصوت الوحيد الذي لا وجود له في اللغات الأخرى:

هناك العديد من الاختلافات بين اللغتين العربية والإنجليزية، ولعل أكثرها وضـــوحاً هو أن أنها تكتب من اليمين إلى اليسار. وهناك أيضًا عدد من الأصوات التي لا وجود لها في اللغات الأخرى، مثل حرف 'ح'، وهو صـــوت ال 'ح' كما هو الحال في بداية كلمة "حب" (الحب). للحصـــول على فكرة عن كيفية نطق هذا الحرف، تخيل صوت إطلاق تَنفسك على زجاج نافذة لخلق الضباب.

اللغة الإنجليزية لديها العديد من الكلمات من أصل عربي:

اللغة الإنجليزية لديها العديد من الكلمات المكتســبة إما مباشــرة من العربية أو بشــكل غير مباشــر من الكلمات العربية التي دخلت في اللغات الرومانسية قبل تمريرها إلى اللغة الإنكليزية. ومن الأمثلة على ذلك: المضــرب، الكيمياء، الكحول، والجبر، والخوارزمية، القلوية، وكلمة "آل" في العربية التي صــنعت كلمة that في الإنكليزية, والعنبر، والترســانة، والحلوى، والبن، والقطن، الغول، الخطر، الليمون، ،والمجلة، والشربات ، والأريكة،..وغيرها الكثير.

الحرف الجبري 'X' الذي يمثل عدد غير معروف، نبع من الكلمة العربية "شــاي" أو (الشــيء)، والتي أصبحت في نهاية المطاف تترجم إلى 'إكساي "في إسبانيا، مما أدى إلى اختصارها النهائي واستخدامها في الجبر باسم' س '.

وحتى نظام الأرقام المستخدمة اليوم كان قد تم نقله وتأسيسه للأوربيين عن طريق التجار العرب...

المصدر:

https://www.britishcouncil.org/voices-magazine/surprising-facts-about-arabic-language

تاريخ اللغة العربية في اليونسكو

ترجمة : سارة الجريوي

عقد المؤتمر العام الثالث لليونسكو في بيروت (لبنان) ، والذي أعلن بأن اللغة العربية ستصبح لغة العمل الثالثة للهيئات الإدارية التي تلتقي في الدول الناطقة باللغة العربية إلى جانب الإنجليزية والفرنسية ومنذ تلك اللحظة تم الإعراب عن الرغبة في تقديم رؤية للأربع لغات الأخرى من خلال التأكيد على الترجمة ، طباعة وتوزيع الوثائق ، الكتب ، ومنشورات اليونسكو الأخرى والتي تعتبر ذات أهمية خاصة لهذا الهدف .

أقر المشاركون في الجلسة السابعة للمجلس التنفيذي في اليونسكو بإمكانية استخدام العربية لتوفير الترجمة الشفوية في الاجتماعات، وترجمة الدوريات ووثائق العمل الرئيسية نظرًا لأن عددًا كبيرًا من أعضاء الدول المشاركة يتحدثونها.

في عام 1960 م ، أفصح المؤتمر العام عن أهمية العربية ، وأعلن بأنه سيكون هناك قبول أكبر لوثائق اليونسكو في الدول الناطقة باللغة العربية إذا ما عممت بالعربية ، ولذلك قرر اليونسكو استخدامها في المؤتمرات الإقليمية بالمنطقة العربية وكذلك ترجمة الوثائق والمنشورات الرئيسية إليها . في عام 1964 م ، تم عقد المؤتمر الإقليمي للجان الوطنية العربية في الجزائر والذي عبر المشاركون فيه عن رغبتهم لزيادة عدد الترجمات الى لغات اخرى حتى تتمكن اللجان الوطنية من أن تطلب ترجمة الكتب وفقا لفائدتها الإقليمية وطبيعة الجمهور ووعيهم ، بالإضافة إلى خدمات الترجمة مثل الطباعة، النشر ، آلية التوزيع من أجل تعزيز التعدد اللغوي والتنوع الثقافي. في عام 1966 م ، تم اتخاذ قرارات تهدف الى تقوية وجود اللغة العربية في اليونسكو عبر الترجمة الفورية من والى العربية خلال الجلسات العامة وترجمة الوثائق الهامة .

قاد المدير العام منذ ذلك التاريخ جهودا كبيرة من أجل مساواة اللغة العربية بكافة اللغات الأخر في اليونسكو إذ أنه في عام 1968 م أصدر قرارًا لإدراج العربية ضمن اللغات العاملة. كذلك ، أصدر المؤتمر العام قرارًا للاستخدام التدريجي للعربية من خلال ترجمة وثائق العمل والسجلات الحرفية وتوفير خدمات الترجمة الشفوية. أيضًا ، تم تقديم برنامج للتوسع في استخدام اللغة العربية والذي يوضح أهميتها باعتبارها وسيلة للتعبير والحفاظ على الحضارة والثقافة الإنسانية فتبنى المؤتمر العام في عام 1974 العربية كلغة رسمية وساوى مكانتها بلغات أخرى مثل الإسبانية ، الروسية ، الصينية .

أدرجت مســألة اســتخدام اللغة العربية كلغة عمل المجلس التنفيذي على أجندته بناء على طلب عدة حكومات مثل السعودية ، الجزائر، مصر، العراق ، الكويت ، لبنان ، تونس ، اليمن وبعد اعتماد العربية كإحدى اللغات الرسمية لليونسكو، أصبحت المنظمة تروج لها على المستوى المؤسسي مع ترجمة الوثائق الرسمية والتقارير وتطوير خدمات الترجمة الشفهية للاجتماعات والمؤتمرات كما أنها أصبحت قادرة على تطوير العربية من خلال ثقافة العالم العربي مع ازدياد كبير في ترجمات الاعمال التمثيلية من وإلى العربية .علاوة على ذلك ، تمكنت اليونســكو من تأســيس برامج ترجمات ترويجية للدوريات والمنشــورات وحتى اليوم تهدف اليونســكو الى توســع اســتخدام العربية في أنشــطتها من خلال مشــاريع مثل تطوير العربية الخاصة ببوابتها الالكترونية وترجمة البيانات الاصطلاحية وكذلك تشجيع ترجمة ونشر توزيع المطبوعات العربية. أخيرًا وفي عام 2005 ، تم اتخاذ خطوات حقيقية لتنفيذ هذا المشروع بفضل مساهمة من الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

المصدر:

http://www.unesco.org/new/en/unesco/resources/history-of-the-arabic-language-at-unesco

هل تشجع العربية الإسلاموية المتطرفة؟

ترجمة : يس الملك

إدعى الناطقون بالعربية منذ وقت طويل أنها ليست محض لغة، بل هي لغة الإسلام واللغة التي اختارها الله لمخاطبة الجنس البشري، وهي تؤثر في فهم المرء للعالم والتعبير عن الواقع. ولذلك تأثير عميق في نظرة المجتمع. وهكذا يعلن وزير التعليم الجزائري السابق أحمد طلب إبراهيم أن "الشعب الذي يغير لغته هو الشعب الذي يغير روحه ونظرته للعالم". ومؤخراً كتب عالم الاجتماع عبد القادر يفسح: أن استخدام العربية "يقود مباشرة إلى ... صدراة الديني على كل الأنشطة الأخرى".

على النقيض من ذلك يميل غير المتحدثين بالعربية إلى التشكيك في مثل هذا الإدعاء. إنهم يقرّون أهميّة العربية ويقدّرون إرتباطها العميق بالإسلام، لكن يجدون تصديق أمر تبعيتها للإسلام صعب التصديق.

بينما كنت أقوم ببحث في جامعتين جزائريتين في السنة الأكاديمية 1989-1990م كان لدي فرصة فريدة لجمع تحقيقات منظمة حول هذه المسألة. كنت أنظر في الفروقات بين التلاميذ الذين تلقوا تعليماً أولياً بالعربية وأقرانهم الذين تلقوا تعليماً أولياً بالفرنسية، والتي كانت متعددة وعميقة. ولاختصار الفروق: يرى التلاميذ المعرَّبين العالم بطريقة إسلامية أكثر من أندادهم فرنسي المنحى، وبالتالي ما يقوله متحدثي العربية عن لغتهم صحيح.

العربية في النظام التعليمي:

اللغة العربية هي أقوى رمز للثقافة الإسلامية العربية ونقلها، لذلك كانت دوماً الوسيط الضروري للتعليم، وتقريباً كل العرب يعترفون بأهمية أن يكون التعليم الأولي والثانوي باللغة العربية، وفي الواقع تسيطر العربية على المنهج في التعليم العالي. أكملت الجزائر تعريب نظامها التعليمي عام 1989 عندما تخرجت الدفعة الأولى من السنة الثانية عشر من تعليم عربي بالكامل، ولقد كان نظامها فرنسياً لوقت طويل.

لكن جزء من التعليم الجامعي في العالم العربي ما زال باللغة الإنجليزية والفرنسية، وهذا يحض على نقاش واسع. من ناحية، قدر عظيم من العرب -بغض النظر عن مهاراتهم اللغوية- يفضلون مبدئياً تعريب التعليم الجامعي. بالنسبة للنخبة التكنوقراطية الناطقة بالفرنسية فإنها توافق على التعريب، رغم أنها تصر على ضرورة الاحتفاظ بالفرنسية كأداة لمواكبة الحداثة، ولكن بصورة خاصة تردد هذه النخبة

بصـــورة مفاجئة أن التعريب ســيعيد الجزائر إلى العصـــور الوســطى. هذه النخبة تتبع للنظرة الغربية العلمية والعلمانية، وأسلوب حياة الغرب، وترفض التقاليد الإسلاموعروبية.

عملياً فإن محاولات تعريب التعليم أيضـاً تعثرت بعقبة صـعبة: ذلك أن المصـادر الضـرورية لتعريب كامل غير متوفرة. والنتيجة انقسـام في التعليم إلى قسـمين عربي وأوروبي. الدراسـات الإسـلامية والآداب العربية هي المجالات الوحيدة المعربة بالكامل، بينما المجالات العلمية والتقنية التعليمية تكون بالإنجليزية حتى في التعليم الجيد في جامعة القاهرة والأزهر والمدينة ومكة. ســوريا هي الوحيدة في العالم العربي بأكمله التي اســتطاعت تعريب جامعاتها بالكامل. الدول الأخرى عرَّبت جزئياً أو كلياً مجالات العلوم الإنســانية والاجتماعية، أما المجالات العلمية والتقنية فتكون إنجليزية أو فرنسية في جزء كبير منها أو كلها.

كل الطلاب الجزائريين الذين تحدثت إليهم أكدوا على ضــرورة المحافظة على الإتصــال بالغرب المتقدم لأجل نقل المعرفة، وشـدد الإسلاميون على ضرورة التفريق بين العلمي والتقني وبين الثقافي والأخلاقي. كلما راقب الطالب وحقق ارتباطه بالأيدلوجيا الإســلامية كلما مال إلى رفض النموذج الثقافي والاجتماعي الغربي كونه غير مناســب وخطر على الجزائر. لذا تريد حركة الإســلامويين المحافظة على نقل المعرفة مباشــرة من الغرب مع تغليفها بأيدلوجية عربية إســلامية دينية تنقي تلك الجوانب الغربية التي تعتبر مؤذية للجزائر.

من نواحٍ عدة، فالمشكلة اللغوية بين لغتين طقسيتين: العربية هي وسيط لدين مقدس وقوي، والفرنسية وسـيط لأسـاطير ومناسـك علمية بذات القداسـة والقوة. عدد الجزائريين الذين أخبروني أن الفرنسـية لا تقدر على التعبير عن الجمال وعمق قدسية الرسالة الإسلامية كان يعادل عدد الذين أخبروني أن العربية عاجزة عن نقل العلم المعاصر.

* الدراسة بالعربية تشجع الإسلاموية:

أظهر بحثي أن لغة الدراســة هي أهم متغير في تحديد ارتباط الطالب بالمبادئ الإســلامية أو الإســلاموية. المنحى الثقافي الديني أكثر ارتباطًا باللغة منه بالجنس أو الحالة الاجتماعية والاقتصــادية أو العرق أو الأصل الجغرافي أو مجال الدراسة. لقد توصلت إلى هذه الخلاصة بعد مراقبة ومقابلات مكثفة في جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا وجامعة الجزائر. وركزت على مقارنتين: (1) الطلاب المعربين ضــمن الفئة الوافدة في مواجهة طلاب غير معربين أو أقل تعريباً من فئة أقدم قليلاً, و (2) الطلاب الذين يدرسون

علومًا اجتماعية وإنسانية معربة في مواجهة أولئك الذين يدرسون العلوم والهندسة وفق النخبة التكنوقراطية الناطقة بالفرنسية.

لتقييم قناعات طالب حول الأسلمة؛ طرحت أسئلة حول أمور مثل: تساوي الحقوق بين الرجل والمرأة، التعليم المتوسط والعالي المختلط، مواظبة الصلاة، بيع الكحول، تصوراتهم عن المجتمعات الغربية وثقافتها، وأهمية الأساتذة المسلمين. بالنسبة للنساء، سألت عن ارتداء الحجاب، ونيتهم بالزواج من غير مسلم. أما الرجال، طرحت سؤالين محددين: رأيهم في الحجاب، وحضور المسجد أيام الجمعة. بالنسبة لآراء الطلاب حول الغرب سألت إذا ما كانت الثقافة الجزائرية ستتعلم أي شيء من الثقافة الغربية، وأهمية العلاقات الجزائرية مع الدول الغربية، وتأثير السينما والتلفزيون الغربي، والتفضيلات الموسيقية.

أظهرت المعاينات أن الجزائريين الأثرياء والذكور البرابرة هم الأقل احتمالية ليصبحوا إسلامويين. الطالبات، سواء عرَّفن أنفسهن كعرب أو برابرة، كنَّ ميالات للإعتدال. الذكور العرب يميلون بقوة إلى الإسلاموية. الطلاب من أصول طرفية، والذين يبدون أقل تقدماً، ومن طبقات اجتماعية اقتصادية متدنية متأسلمين أكثر من الآخرين بصورة ظاهرة.

يعكس سلوك الطلاب تجاه تعريب التعليم العالي ازدواجية تجاه دور الإسلام في المجتمع: نعم، يجب أن نحسن شخصيتنا الثقافية واللغوية، لكن لا، لا ينبغي أن نسمح لذلك بحرماننا من قوة المعرفة العالمية. الإسلاميون والبربريون المتطرفون فقط هم القادرين على الهرب من قبيل هذا التهدج، وتبني مواقف ثابتة ولا مثيل لها تأييداً أو مناهضةً للتعريب/الأسلمة.

في المقابلات أظهر الطلاب المعربين دعماً قوياً لا ريب فيه للحركة الإسلاموية وتشكيك في الغرب بنفس القوة. كان لهم ميل لترديد ذات القصص البسيطة والإشاعات التي تملأ الصحافة العربية، تحديداً صحيفة جبهة الخلاص الإسلامية "المنقذ". أخبروا عن مشاهدات لكلمة "الله" مكتوبة في سماء الظهيرة، تسرب جاسوسات إسرائيليات مصابات بالإيدز داخل الجزائر، دحض المسيحية في برنامج محلي، وتحول الأمريكان الجماعي إلى الإسلام بالملايين. لم أكن الوحيد الذي لاحظ هذا التمييز. العديد من الطلاب والجامعيين عندما سئلوا عن ما إذا كان الطلاب الجدد المعربين يختلفون عن الآخرين أجابوا بإيجاب مغلظ.

آراء الطلاب: رأى العديد من الطلاب أن تعريب التعليم الأولي والثانوي مسئول من كثير من الإختلافات بينهم. الطلاب من الجماعة المعربة عام 1989 يرون أنفسهم، ويراهم الطلاب الآخرين، أكثر قدرة على

المنافسة في اللغة العربية من السابقين لهم في الجامعة، يختلفون عن سابقيهم بعام أو اثنين في ارتباطهم بتعاليمهم وقيمهم وسلوكياتهم وقناعاتهم الإسلامية.

العديد من الطلاب يتصورون التعريب كمسبب مبدئي للأسلمة المتزايدة. مثلاً مجموعة من طلاب السنة الثالثة في قسم علم النفس في معسكر جامعة الجزائر "بوزاريه" أكدوا أن الطلاب الجدد في شعبتهم كانوا مختلفين. يوضح أحدهم:

"إنهم محافظون، موجهون دينياً، وضيقوا الأفق أكثر من ذي قبل، خاصة هنا في علم النفس. لا يمكنك التحدث لأكثرهم حول بعض المواضيع إطلاقاً، مثل الدين. إنهم يرفضون مناقشته."

وعندما سألنا طالبة اللغة الإنجليزية نبيلة: لماذا تعتقدين أن الطلاب في قسم علم النفس أكثر توجهاً دينياً من أولئك الذين في قسم دراسات اللغات الأجنبية؟ قدمت تحليلها:

"لا أعرف. بالرغم من أنني تساءلت عن ذلك بنفسي. أعتقد أن سبب ذلك يعود لحقيقة أن لديهم اتصال قوي باللغة العربية ومع أساتذة يزودوهم بموضوعات الدين. هناك أساتذة ينتمون إلى الدعوة الإسلامية أكثر مما لدينا في قسمنا. أعتقد أنه عندما يكون المرء قوياً في لغة ما فإنها تشجعه لقراءة المزيد في تلك اللغة مما إذا كان ضعيفاً. وهذا يقود إلى قراءات أخرى. أنا مثلاً، عندما أجد كتاباً عربياً يشدني، أقرأ فيه قليلاً، وينتهي الأمر، لا أقدر على قراءة الكتاب بأكمله، إنه عمل كثير."

الفرق الأكبر هو بين خريجي التعلم العالي في المجالات العلمية والتقنية، لأن هذه المسارات كانت الأخيرة في التعريب. مهدي هو طالب من الجماعة المعربة بالكامل الذي يدرس حالياً الهندسة في جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا بالفرنسية. ولديه رؤية قوية في اللغة:

"سيغير التعريب طرائق الجزائريين في التفكير في بعض المجالات، هذا صحيح، مثلاً هناك العديد من الجزائريين ببساطة ليسوا جزائريين، إنهم فرنسيين، وبالنسبة لهم فاللغة هي حبلهم السري مع فرنسا. أنا متأكد أن التعريب سيغير المجتمع، ويجعله أكثر تديناً مما هو عليه. ومقتنع أن بإمكاننا تحويل الشخصية الجزائرية عبر التعريب، لكن هذا لا يعني أننا سننفصل عن دنيا العلم والحداثة، هذا ليس صحيحاً، وفي الواقع أعرف أستاذة قامت بدراسة إحصائية مختصرة على نفقتها في باب الزوار في جامعة بومدين. وجدت أنه بمقارنة طلابها المعربين بثنائيي اللغة، قام المعربين بعمل أشق بمئات المرات عن ما قام به

الآخرين، لماذا؟ لأنهم يريدون شيئاً .. إنهم خائفون من أن ينقصهم شيء، لذلك يريدونه .. لتعويضه. أنا شخصياً أفعل ذلك"

مولود: طالب الهندسة في السنة الرابعة يظن أن الدراسة بالعربية تقود الطلاب للالتزام أكثر بالقيم التقليدية والإسلام. لكن الأثر الحقيقي للتعريب معزو لاختلاف الأساتذة في المرحلة الأولية والثانوية. "كثير من الأساتذة يأتون من بلدان عربية. إنهم أكثر تقليدية، أكثر صرامة، يضربون الطلاب، ويؤكدون الطاعة". في الحقيقة كثير من طلاب الجامعات أخبروني أن أساتذتهم في مرحلتي الابتدائية والعليا كانوا من الشرق الأوسط، تماماً مثل الجزائريين الذين تدربوا في الشرق الأوسط. أكثر تزمتاً وتسلطاً. أقل احتكاكًا بالطلاب، وأشد ميولاً لضرب التلاميذ.

مجموعة من طلاب الهندسة الكهربائية في السنة الرابعة في جامعة بومدين اتفقوا أن الطلاب المعربين الجدد مختلفين عن الآخرين. "قد غير التعريب سلوك الطلاب، أصبح لديهم عقلية مغايرة .. نحن حقاً لا نتشارك الكثير معهم. إنهم أضيق أفقاً!" جميعهم شعروا أن كون المرء مغلقاً على العربية كان يعني "تفكيراً مختلفاً". كيف ذلك تحديداً؟ "يوجد شيء هنا" لكن لم يقدروا على وضع يدهم عليه. اثنان من الأربعة أشارا إلى الثقافات والسلوكيات المضمنة في اللغات (العربية والفرنسية).

يرى الطلاب القدماء أن الطلاب المعربين ضعفاء في الفرنسية وأكثر تديناً وضيق أفق. في الواقع، يمكن الشعور بتغير سريع حتى ضمن العائلة، إذ يصف العديد من الطلاب أخوانهم وأخواتهم المعربين بذات الصفات. كان على "الفاتح" طالب الهندسة من البرابرة أن يعيد دراسة سنته الأولى، وهكذا علق في فصول مع طلاب معربين. لقد وجدهم مختلفين عنه:

"هم بالتأكيد مختلفين وأكثر محافظة وضيقي الأفق في مواضيع عديدة. أشد ضعفاً في الفرنسية، ما يجعلهم يعانون أكثر منا في الفصل. لا أدري ... إنهم يقولون الأشياء بطريقة مغايرة، ولا يتحدثون كثيراً. مررت بوقت صعب في الحديث معهم، حتى أنني ألاحظ ذلك مع أخي، الذي تم تعريبه. تفرقنا ثلاث سنوات، لكنه ضيق الأفق جداً. أعرف أن ذلك بسبب أنه يقرأ فقط الصحافة العربية ويسمع إلى محطات الراديو العربية، وهذا يمنحه نظرة مختلفة تماماً حول ما يحدث في الجزائر وحول العالم. إنه يهز رأسه عندما يراني أقرأ هورايزون (الصحيفة الفرنسية اليومية الرائدة). لا أدري ... هناك فراغ بيننا، ومعظم طلاب السنة الأولى هؤلاء مثله تماماً"

آراء الأساتذة: لاحظ كل المحاضرون الذين تحدثت إليهم في المعسكرات الثلاثة اختلافًا بين المجموعة المعربة ومحاضريهم، بالرغم من أنهم أدركوا تغيراً أقل في السلوك عنه في الجودة الفكرية. أشاركل من المحاضرين إلى رؤية تدني في مستوى كفاءات الطلاب في كل النطاقات. بينما كان متوقعاً أن ينطوي تغيير اللغات على اختلافات وتغييرات، إلا أن الأساتذة شعروا أن الطلاب الجدد كانوا أضعف لغوياً في الفرنسية في الوقت الذي لم يكونوا فيه أكفاء في العربية. تنهّد أستاذ الهندسة: "ما نحصل عليه الآن هو جهل ثنائي اللغة!" نعت الأساتذة تدني مهارات الطلاب كجزء من إثقال النظام المدرسي، والذي لم يقدم مواد كافية ولا أوضاع جيدة ولا حتى نسبة أساتذة جيدة مقارنة بعدد الطلاب، وكجزء من التعريب الذي أبعد كل الأساتذة الجيدين ذوي الخبرة من المدارس. يقول العديد من الأساتذة أن التدني في تحضير الطلاب أكاديمياً، خاصة مهاراتهم التحليلية، أدى بالطلاب المعربين ليصبحوا فريسة سهلة للحوارات السطحية والحركة الإسلاموية. أستاذة علم الاجتماع في معسكر بوزاريه في جامعة الجزائر سعاد خودجا حرفياً هاجمت النظام المدرسي الجزائري المعرب:

"لقد تخلخل النظام التعليمي خلال خمسة عشر عاماً بواسطة الإسلامويين والبعثيين. لقد وحّد الاثنان جهودهما تحت غطاء التعريب بأقصى سرعة، لقد قدموا أطفالاً غير محضّرَين على الإطلاق و بدون عقل ناقد ... لقد انبنت الطريقة التعليمية على المذاكرة والتكرار".

يتفق عدد كبير من التلاميذ والأساتذة مع أطروحة خودجا، وتقودني تجاربي الخاصة للإتفاق معها.

لنلخص: فإن هذه الدراسة تؤسس لعدد من النقاط المتصلة. تعريب التعليم له آثار مباشرة على توجه الأفراد الثقافي. المراجع الإسلامية للغة العربية تصبغها برموز دينية قوية لها إحالات سياسية هامة. عندما يقود التعريب إلى ضعف اللغة الفرنسية، ينتج عن ذلك انتقال درامي في التوجهات الحضارية.

* لماذا تحض العربية على الإسلام:

هناك أربعة تفسيرات تثبت أن التعريب ينتج عنه زيادة في حركة الأسلمة.

الترتيب المختلف للرموز العربية: يسأل اللغوي محمد طالبي "لماذا يبدو الأمر صعباً لمراهق أن يخبر محبوبته "أنا أحبك" باللغة العربية؟". "في الفرنسية ليس أسهل من ذلك". وترد عليه زميلته أمينة زاوي: "للعربية ذاكرة تضمر ذلك: إن للأمرّ علاقة بالقمع الإسلامي للفكر.. العربية هي سجانة الإسلام .. مقدسة، وتبقى لغة التوقير" البناء الدقيق للغة العربية وتلميحاتها يعني أن الطفل الذي يدرس ويفكر بالعربية سيطور مراجع تاريخية وثقافية بارزة، ومناهج معرفية، وسلوكيات، وأساليب للمنطق.

العربية والإسلام متكاملين ويعززان بعضهما: التعريب والأسلمة جزءان لا ينفصلان من ثقافة مثالية تتخلل العالم العربي. بمصطلحات آن سويدلرز تختلف "حقيبة أدوات" التفكير الرمزي والإدراكي لهما عن الممنوحة للمجموعات ثنائية اللغة السابقة. التلاميذ المعربين يفضلون الصحافة العربية والراديو العربي، والتي تختلف في توجهاتها الأيديولوجية عن الإعلام التكنوقراطي الناطق بالفرنسية. الإعلام العربي له طريقة أكثر إسلامية ومناهضة للغرب في المسائل الاقتصادية والاجتماعية، ويقيد الموسيقى وموجات الراديو ذات مضامين الثورة الاجتماعية والشك. هؤلاء الطلاب ينجذبون لحركات وأنشطة في تناغم مع مرجعياتهم النخبوية العربية. وبينما تتعمق الأزمة الأيديولوجية يختار الأفراد معسكراتهم بناء على مدى حسن فهم الناس وتواصلهم مع رسالتها. يجد الأفراد المعربون رموز المجموعة الإسلامية وأسلوبها اللغوي ومرجعيتها الثقافية أكثر ألفة وإقناعًا.

يتفق هذا التفسير مع رؤى لغويين مثل جيروم بيرنر، جوزيف كليك، ر. جيكوبسون، إدوارد صابر، وبنجامين وورف، الذين قالوا أن اللغة حتماً تفرض تصنيفات عقلية تجبر الفرد للانخراط في ترتيب رمزي معين في تفكيره وتواصله وتراتبية خبرته. العربية المشحونة بالتقديس تزيد من قوتها القهرية، جاعلة منها ما وصفه بندكت أندرسون بالـ "اللغة-الحقيقة". إنها انبثاق للواقع وهكذا هي الوصول الوحيد لهذا الواقع. هذا جعل العربية بالذات مقاومة للتغير والتراكم.

إنه لأمر يستحق الملاحظة أن العربية بينما تفلح في الخدمة كوسيط للحداثة بامتياز فهي لا تفعل، لأنها تخدم شحنة رمزية دينية عالية التشبيع. لما فهم قادة الإسلاموية ديناميكية الأمر جعلوا تعريب النظام المدرسي هدفاً أولياً.

أقل كفاءة في الفرنسية: يدرك الطلاب المعربين تالياً أنه حتى في كليات الجامعات المعربة (جانب الدراسات الإسلامية) تحمل الفرنسية سمعة لا يمكن إنكارها كمفتاح لجودة المدربين والمادة القرائية. وهم يعرفون أن الشركات الحكومية الكبرى في المجال الاقتصادي تعمل تقريباً بالكامل بالفرنسية. كما بين كليمنت هنري مور و آرلي ر. هوتس جايلد في المغرب؛ هؤلاء الطلاب غير قادرين على المشاركة في إغناء الثقافة الفرنسية التي تتخلل القطاع الحديث، هم الأكثر قابلية ليصبحوا مسيسين. قبل خمسة عشر عاماً في الجزائر قاد هذا ..... إلى مظاهرات طلابية، واليوم لقد تحولت هذه الاحتجاجات نحو المعارضة الإسلاموية.

التعليم رديء الجودة:

استخدام العربية في المدارس يتضمن الكثير عن الأساتذة والكتب الدراسية والطرائق التعليمية. العديد من الأساتذة الأكفاء وذوو الخبرة لا يدرسون بالعربية تم تسريحهم عندما تبنت المدارس الابتدائية والثانوية اللغة العربية، وأبدلهم بأساتذة غير أكفاء متحدثين بالعربية والذين جلبوا أيضاً سلوكيات إسلامية وتقليدية. الكتب الدراسية العربية لا توافق الجودة التقنية والتطور والتنوع في الكتب الدراسية الفرنسية، حقيقة يعترف بها الأساتذة عادة. وبالنسبة لعلم أصول التعليم، وبينما يؤكد الغرب على مراقبة الطفل والإدراك النقدي والمشاركة الإيجابية، ينبني علم التعليم عند العرب على مذاكرة القرآن، الكتاب الموثوق. وعلى ذلك يتعلم الطفل أقل نشاطاً أو نقداً في كسب المعرفة من زميله الغربي. المعرفة بالنسبة له أقل من موضوع اكتشاف،كأنها كرية دم لتودع داخل الطفل من خلال التعليم بالتكرار.

الخريجون من مثل هذا النظام أقل إجادة لموضوع الدراسة وأقل مقدرة على التعبير عن أنفسهم، ومهارات نقدية وتحليلية وإبداعية أقل تطوراً . كما يقول العديدون –وأنا أتفق معهم- أن هؤلاء قليلي القدرات التحليلية يسهل التأثير عليهم بواسطة الطبيعة التسلطية للحوار الإسلاموي -خاصة أثناء فترات الأزمات الاجتماعية- والذي يتطلب طاعة عمياء لنظام دوغمائي الإيمان.

روابط أقوى مع الشرق الأوسط:

تماماً كما قرأ الجزائريون الشباب الأدب السياسي اليساري في الستينيات بالفرنسية، يستهلك العديد من جامعيي اليوم الأعمال الإسلاموية بالعربية، والذي أصبح ممكناً بسبب تأسيسهم القوي في الأدب واللغة العربية الكلاسيكية. لقد فرَّخ الاتصال القوي مع الشرق الأوسط بثقافته الإسلاموية والعروبية كتابات ونقاشات وحوارات متطورة حول الإسلام في الجزائر. كما يشير دالي إيكلمان، هذا النقاش الفكري الجديد نسبياً قد فعل الكثير في تحويل الإسلام من تقليد معاش إلى أيديولوجية واعية

* خلاصة:

كل الحكومات العربية بغض النظر عن سمتها السياسية أو الاجتماعية تستخدم القوة الرمزية للغة العربية في دافعها للحداثة القومية، الموثوقية، وتوحيد حكوماتهم. كلهم يرون أن تعريب المجتمع، خاصة النظام التعليمي، كضرورة لمهمتهم. ولكن هذا يقود إلى سخرية غير متوقعة: بسبب أن العرب يخلقون اتصالًا قريبًا بين العربية الكلاسيكية والإيمان بالإسلام، فإن التعريب دائماً يقود إلى هوية تقليد إسلامي (فوق السلطة الوطنية).

ينطبق هذا المنطق على الجزائر أيضـاً. لبناء هوية قومية أكد الوطنيين الجزائرين الذين تولوا السلطة عام 1962 بشدة على العروبة والتعريب، ويعرف ورثتهم، طلاب الجامعات المعربين اليوم أنفسهم ليس كجزائريين أو حتى عرب لكن كمسلمين. هذا الارتباط بين العربية والإسلام الذي رأيناه يقاطع كل المجموعات العرقية أو الاجتماعية الاقتصادية. حتى بين البرابرة، المجموعة الأشد مناهضة للإسلاموية والموالية للغرب في البلد، الشباب الذين تخرجوا مؤخراً من برامج معربة يظهرون سلوكيات إسلامية أكثر من أقربائهم وإخوتهم الأكبر سناً. المشروع الراديكالي للجيل السابق، باختصار، انتهى مختطفاً بقوة اللغة العربية.

المصدر:

http://www.meforum.org/276/does-the-arabic-language-encourage-radical-islam

اللغة العربية بين الحقيقة و الخيال

ترجمة : يوسف أزروال

مؤتمر عالمي للغة العربية عقد ما بين الثامن عشر و التاسع عشر من ديسمبر من العام 2013 بتونس، و الذي خرج بإعلان تنادي به الحكومات العربية بتعميم استخدام اللغة العربية في جميع المجالات، بما فيها المصالح الحكومية، التعليم و التظاهرات العامة الرسمية.

التلاعب الأيديولوجي :

تحت رعاية الحكومة المؤقتة، تم تنظيم هذه التظاهرة و التي كشفت عن مدى تحايلنا على الأسئلة الجادة، و ذلك عن طريق التلاعب بالأجندات الأيديولوجية و السياسية، في الحقيقة إن لم يكن هناك إجماع على الحالة المزرية التي وصلت لها لغتنا، فمن غير الممكن أن نتفق على حقيقة هوية المشكلة أو على وسائل معالجتها إن لزم الأمر.

المشكلة تقع في كوننا نطرح السؤال بالطريقة الخطأ، و كونها عرض لوجهة نظر غائية، و هي معرفة التداعيات السياسية الممكنة لتظاهرة تداعب الحس القومي العربي على حساب القضية الأساسية لهذا المنتدى.

لذلك إن كنا نتحدث عن الوضع الحالي المتدهور للغة العربية، فذلك لإرجاعها فوراً لمكانتها البارزة كلغة القرآن الكريم، إن كنا نذكر أهمية استعمال العربية و تعميم استخدامها، ذلك لكونها مكوناً أساسياً للهوية العربية الإسلامية.

و ليكون للأمر أكثر فعالية، يجب أن يكون هناك إصرار على أهمية اللغة كآلية للتفكير، و الذي هو أساس الوجود، و كذلك إن تحدثنا عن الهوية بشكل مقتضب، بكل صفاتها، فالمواطن العربي يمكن أن يكون مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً.

في الحقيقة ما يفسد المحاولات المتعددة لرد الاعتبار للغة العربية، و منحها المكانة التي تستحقها كلغة حية، لغة ثقافة و حضارة، هو ذلك الجهل المتعمد بمكانتها في مخيلة الناس، في ما يقولونه و ما لا يقولونه.

خيال محبوس :

في مخيال الناس، اللغة العربية هي لغة ليست فقط متجاوزة، بل و رجعية كذلك، تكلم الإنجليزية أو الفرنسية يستدعي الاحترام و التقدير من طرف شباننا دون ذكر أطفالنا.

لكن عن أي لغة عربية نتحدث؟ هل هي العامية المحكية من المحيط إلى الخليج، و التي لا يمكن اعتبارها لغة بشكل مساو للغة الأدبية المكتوبة؟ هل ذلك يعود لاعتبارنا لغة القرآن أكثر عربية من لغتنا العامية التونسية أو مثيلاتها في الدول العربية؟ وأيضاً، عن أي لغة قرآن نتحدث؟ هل هي تلك اللغة العربية الصافية التي تعود لعصر ما قبل الإسلام أو التعابير الأجنبية الدخيلة على اللغة العربية خلال الفترة الذهبية للغة، حينما كانت العربية لغة العالم و التقدم؟

هذه فقط عينة من الأسئلة التي لم يتم تداولها من طرف المشاركين في المؤتمر، بأعداده الأربعة، الذي كان يشبه زمن السكولائية القروسطية، مستهلك في مواضيع من قبيل ماهية جنس الملائكة.

تكلمنا عن عدد لا يحصى من الأكاديميات المحدثة، و عن التكامل و الدعم الضروري بين الدول العربية، عن تعريب التعليم العالي و البحث العلمي، وعن ترويج اللغة العربية لغير العرب أو إحداث موقع إلكتروني لتعليم لغة القرآن.

لا توجد أسئلة سيئة بل أسئلة مخطئة. ما هو جوهري يجري في أماكن أخرى.

كل ما يجري بهذا الخصوص يشبه نبيلاً غدر به الزمن، فهو لا يحمل و يتشبث بألقابه و أصوله فقط، بل يحتفظ كذلك بكنوز تسكن قصره، أو بمعنى أصح، تسكن ماضيه التليد، لكن رغم كل هذا الرصيد التاريخي المميز، هذا القصر سقط في دوامات من الفوضى، لهذا يجب أن يتم تنظيفه أولاً، لجعل هذا القصر أكثر من مجرد متحف، بل مكان تزدهر فيه الحياة و الثقافة.

إن سألنا العرب، إن استجوبنا خيالهم، ذلك اللاوعي الجمعي الذي يقف خلف كل أفعالهم و أخلاقهم كبشر، ماذا تمثل لغة القرآن بالنسبة لهم بشكل يومي؟

للإجابة بشكل غير مباشر و فوري على هذا السؤال، يكفينا أن نقول أن المنتدى عقد على هامش احتفالية يوم اللغة العربية العالمي، الثامن عشر من دجنبر. من يهتم بها في المجمل هم الوحيدون الذي يهمنا أمرهم في الوقت الحالي؟

ينعكس ذلك بشكل جيد على خيال العامة، الذين يشعرون بضرورة التحرك صوب إيجاد مكانهم في اللغة العربية. لغتنا في أزمة، هذا صحيح، لكن كما كررت أكثر من مرة، هذه الأزمة لا توجد إلا في رؤوس من يفكرون بها، أريد أن أقول من خلال ذلك بأن الاهتمام الأساسي هو العامة الذين يبتدعون هذه الأزمة من خلال تدبيرهم لحياتهم، بتبنيهم لهذه الأزمة كما هي في الحقيقة.

بالأساس، الأزمة هي طريقنا نحو التطور المطلوب من وضع لأخر. مؤلمة بالتأكيد، ولكنها في النهاية تمنحنا طريقاً لوضع سيكون بكل تأكيد متجدد. الأزمة ليست سوى تلك الحمى المبشرة بدفاع الجسم ضد هجوم المرض، رد فعل صحي على عكس ما قد يبدو.

لكي تقوم بكارثة بهدف الاستفادة منها، لسبب أو لأخر، يعود ذلك بالسلب على الوضع بشكل عام. الحكمة تستلزم أن نعالج الأمر كما لو أنه إنذار خطر استباقي، و هكذا وضع الأمور في نصابها باعتبار نتائجها، لأنه بذلك تكون حظوظنا أكثر لاسترجاع صحتنا.

بارانويا الفكرة :

هذا ما نفعله عندما نحاول أن نفكر بطريقة ملتزمة أو متزمتة، نزعم أننا نفكر بواقعية و منطقية عندما يكون فكرنا غير متصل بالحقيقة و الواقع. الواقع الحقيقي الذي لم يتأثر بتشويه المبدأ المشهور بتقزيم الحقيقة، هذا ما نسميه بالواقعية. محاولة أن تكون - سياسياً و إيديولوجياً – على حق هو تفكير أحادي لا يؤدي إلى أي مكان.

بالنسبة للغة العربية، إن أردنا فعلاً أن تعود لغة القرآن المقدسة إلى مكانتها البارزة في العالم، يجب علينا أن نعتني بما يوطنها في القلوب.

وكذلك يجب علينا، حالاً، التوقف عن تقديس هذه اللغة، لأن ذلك ينزعها من درجة اللغة الميتة، في حين يجب علينا بالمقابل أن نجعلها شعبية، أن نفعل ذلك بشكل عمومي بامتياز. نرى جيداً إلى أي حد الأطفال فخورون بإمكانيتهم التعبير بالعربية الفصحى عندما يمنحون الفرصة لذلك، يجب أن يبقى شعورهم حيالها كذلك دائماً، لكن شبابنا و مواطنونا، سياسيونا، صانعوا القرار و الباحثون ينقسمون إلى مجموعتين: أولئك الذين يعتقدون أن اللغة العربية أصبحت « has been » متجاوزة بالعلوم و التكنولوجيا الحديثة و أولئك الذين يعتقدون بالعكس. في الواقع، الاثنان محقان، العربية هي خارج مضمار العلوم اليوم، لا تستخدم سوى في علوم الدين، لكن انطلاقًا من هنا، إن أحببنا أن نجعل لغتنا علمية، يجب أن نجعلها تغادر قدسيتها، دفعها بشكل ما نحو العلمنة لكي تكون على مستوى حاضرنا و عصرنا، و هذا كله ممكن بالنظر للغنى و السلاسة التي تتمتع بهما اللغة العربية.

الطريقة المثلى لتثبيت هذه القناعات بشكل عميق هو عن طريق جعلها مشاع على العموم.

كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ بترك الجميع يتكلم عن دينه و لغته المرسومة على كتابه المقدس، لنعود لدراستها و التعليق عليها. في الإسلام ذلك ممكن بشكل تام، إن لم يكن مطلوباً، لأنه لا يوجد وسيط بين الله وعباده من جهة، ثم أن الاجتهاد مقبول حتى و إن كان غير كامل أو به أخطاء هو دائمًا محمود طالما كان مبنياً على الصدق و المثابرة.

عندما نستوعب هذه الثورة الفكرية، الثورة هي، بشكل فعلي، العودة إلى الماضي، قد نستطيع إعادة اللغة العربية إلى مكانتها كلغة عالمية. صحيح يجب أن نبحث عن الطريقة المثلى التي تناسب عقلية بلدنا، و التي هي الانفتاح على الإبداع، لاستمالة معظم الناس ليعتبروا هذه اللغة كلغة حية. يتطلب ذلك تشجيع الترجمة و تبني عبارات إلى العربية من كل اللغات بدلاً من أن نأخذها كما هي، كما يجب علينا أن نعيد اكتشاف ديننا بشكل جديد غير متجاوز و بروح عصرنا.

مجدداً، بالعمل على فكر الشعب، بإشراك مخيلته، سنصل بالتأكيد لنتيجة تجعل العربية و التكلم بها أمراً عادياً و غير مستهجن بل أصيل و يدعو للفخر.

هكذا، و هكذا فقط، سننجح في مطابقة أفكارنا مع هويتنا، و التي هي في صراع الآن. سنتوقف بذلك عن التلاعب الذي نفعله الآن، ذلك الانعدام في التوازن بين ما نحن عليه وما نرغب في أن نكونه، ذلك الانفصام العميق بين أفكارنا و تعبيراتنا اللغوية.

الخيار واضح جداً: نفكر بالعربية و بالتالي نجد أنفسنا و ننهي حالة الازدواجية التي نعيشها أو نكمل كما نحن، لنفكر بلغة أجنبية (حتى و إن كانت هذه اللغة وطنية زعماً، كما هو مدون في الأوراق الرسمية، متوارثة بالتأكيد، لكنها تحتل واقعنا التونسي الحالي بوضوح)

هل من المنطقي أن نتكلم عن تعريب التعليم، بينما طموحنا الأكبر هو القضاء على الأمية؟ هل الرغبة في تعريب التعليم العالي و البحث العلمي ليست هزلية حينما نجد أن جامعاتنا هي مثال على التصحر الفكري؟ إذا كان في الأدب العالمي "صحراء التتار" الشهيرة بحق، فيمكن أن نتحدث غداً بالمقابل عن صحاري تونسية لكي نوقظ هذه الأرض الغنية بكل شيء و خصوصًا ببنية المادة الرمادية (الأدمغة) لشعبها، لكننا نسعى غالبًا، سياسياً و إيديولوجياً، لجعلها بلداً فقيراً بشعب في عوز دائم.

إنه الوقت المناسب للعودة للشعب في عصر الحشود، نعيد له لغته، وبهذا نعينه على إيجاد ذاته وكنوزها، و بالتالي التوقف عن التفكير في مكانه، لأنه كبير و ناضج بما يكفي لكي يقوم بذلك لوحده، خصوصاً و نحن على أعتاب مناسبة الاحتفال بعيد الثورة.

المصدر:

http://www.leaders.com.tn/article/12909-la-langue-arabe-entre-l-illusion-et-la-realite

أوديسة اللغة العربية ونظامها الكتابي

ترجمة : عبير حماد

تعد اللغة العربية أصغر فرد في عائلة اللغات السامية التي تضم : الأرمنية، اللغات الآشورية-البابلية،الأثيوبية، العبرية،و العربية الجنوبية كالسبئية و الحُميرية، وبالرغم من ذلك فإنها الأقرب للنموذج الأصلي أي "السامية الأولى" والتي أُشتقت منها هذه اللهجات جميعها.

والعربية التي نعرفها اليوم تطورت من لغة قريش (قبيلة النبي محمد) وهي اللغة الخالصة الأفضل التي تطورت من لهجات جنوب الجزيرة العربية، وهي اليوم تعد اللغة السامية الأكثر استخدامًا مفاجئةً الجميع بثرائها من المرادفات وأوزانها المتناغمة وإيجازها ووضوحها وبلاغتها. وقد نجحت بإظهار إمكانيات عائلة اللغات السامية وإيصالها إلى مرحلة متقدمة من التطور كما لم تفعل أي لغة أخرى من العائلة نفسها والتي معظمها مندثر الآن أو على وشك الإندثار.

خضعت اللغة العربية الحديثة إلى عدة تغيرات صوتية ونحوية مهمة في تركيبها اللغوي،بالرغم من وجود عددٍ من اللهجات في عالم العربية المحكية فإن الفصحى وهي النموذج المُبسط من لغة القرآن قد وحدت المتحدثين بها، وهي اللغة المكتوبة المُستخدمة في كل الأقطار العربية في الصُحف والمدارس وفي البرامج التلفازية والإذاعية. والأبجدية العربية بسيطة ومختصرة فهي تحوي ثماني وعشرين حرفًا جميعها حروف صحيحة ما عدا ثلاثة أحرف تُستخدم كحروف معتلة طويلة،أما حالات الإعتلال الأخرى فتحددها أربع عشرة حركة إعرابية والتي تحول أيضًا الأفعال و الأسماء،وتُوضع الحركات إما فوق الحرف الصحيح أو أسفل منه لتحدد النطق الصحيح للكلمات.

أما نظام الكتابة العربية (الخطوط) فما زال يحوم خلاف حول تطوره،حيث يُشير بعض الكُتاب إلى أن أصله يعود إلى ما قبل حوالي 4.500 سنة ولكن السجلات الأثرية الجيدة عنه تعود فقط إلى القرن الرابع بعد الميلاد. ويُشير هذا إلى أن نظام الكتابة العربي تطور من النبطية والتي تنحدر مباشرةً من الآرمية التي هي نفسها نتاجٌ من أبجدية السامية الأولية و هي نظام كتابة قديم تطور بين القرنين السادس عشر والثامن عشر قبل الميلاد والتي تعد هي السلف لكل الأبجديات الأوروبية والآسيوية -باستثناء الصينية- . مُبكرًا بعد ظهور الإسلام تطور نظام الكتابة العربي إلى نوعين من الخطوط. الأول : الكوفي الذي تطور في المدينة العراقية الكوفة،وقد توقف استخدامه في العصر الحالي ما عدا في التصاميم المعمارية،حيث أضفى على نفسه لمسات مبهرة للاستخدام في الزخرفة والذي ما زال يُوظف إلى حد كبير في الفنون والعمارة الإسلامية. أما النوع الثاني فهو: النسخ وهو يُكتب بحروف متصلة ويُستخدم بعدة أساليب وطرق فنية

مُبتكرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أنه مشــهور لجماله وهو أصــل الكتابة العربية الحديثة، ويُســتخدم حاليًا في عدة نماذج زُخرفية مُعقدة. وكلا النوعين ذائعي الصــيت بســبب أناقتهما وتميزهما الفني اللذين تسببا في توظيفهما في الأعمال الفنية المتقنة والمميزة.

خُلدت اللغة العربية في القرن السابع كلغة القرآن وأضحت ملازمة للإسلام، وباندفاع الجيوش الإسلامية تجاه جنوب أفريقيا فشــبه الجزيرة الإيبرية والشــرق، من قلب أرض العرب إلى قلب آســيا انتشــرت اللغة العربية كجزء من الدين الجديد انتشــار النار في الهشــيم، وقد عدت الشــعوب المسـلمة حديثًا نفســها في العديد من الحالات أنها امتلكت لغة رجال الصحراء المنتصرين. وفي بضعة عقود أصبحت اللغة الرائدة في العالم والمحيط الثقافي تلك التي وحدت معظم أقطار العالم المتحضر.

ساوى الانتصار المذهل للجيوش العربية بين امتياز العربية و الإسلام والقرآن، وجعلها اللغة الوحيدة التي تمكن المسلم من الوصول إلى الله، ولا يستطيع أي شخص يُسلم أن يتجاوز استخدام العربية أو على الأقل بعضٌ منها. ولم تســتطع لا الإغريقية ولا اللاتينية ولا أي لغة أخرى أن تبلغ ما بلغته العربية القديمة من منزلة في العالم،تلك اللغة الجيدة المناسبة للتخاطب والتفاعل مع اللغات الأخرى. كتب جويل كارميشـيل في كتابه (تقدم العرب):

" إن إمكانيات اللغة العربية لاستخدامها كلغة تصويرية لا حصر لها، فإشاراتها وعباراتها المجازية وبنيتها اللغوية تضــعها في منزلة أبعد من أن تصــل إليها أي لغة أخرى.. تُفقد العربية في الترجمة ولكن اللغات الأخرى جميعها تحقق انتصارًا عند ترجمتها إلى العربية"

منح اتســاع المســاحات الناتجة عن الفتوحات في الإمبراطوريات الســامية القديمة البارزة العربية منزلة رفيعة على مسـتوى العالم لم تحظى بها أي لغة أخرى على الأرجح إلا الإنجليزية في عصـرنا الحالي. وبحلول القرن الحادي عشـر أصـبحت العربية اللغة المنطوقة والمكتوبة الأشـهر لكل المسـلمين المتعلمين من قلب الصــين وحتى حدود فرنســا، لتحل محل اللغات الأدبية الأخرى مثل : الآرمية والقبطية والإغريقية واللاتينية. وأضحت لغة الفن والثقافة و الفكر والعلوم والتقنية في المجتمع العلمي أجمع ليساهم ذلك في إنشاء حضارة إسلامية وتصبح واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها العالم على الإطلاق .

لم يطل الأمر بعد الانتصار المبكر حتى بدأ تبني الخط العربي في لغة المسلمين الحديثين، فبمرور عدة قرون بدأت الكردية والفارسـية والبشـتونية والتركية وعدد من اللغات في القارة شـبه الهندية ولغات أخرى مثل البربرية في جنوب أفريقا وأسبانيا باستخدام الخط العربي. وسرعان ما أُستخدم الخط العربي في عدد من لغات المسلمين من غير العرب مُشكلًا بذلك حدودًا ثقافية لتحُد العالم الإسلامي من جهاتٍ مختلفة، ومتى عبر المســافرون هذه الحدود فسـيعلمون أنهم دخلوا حدود عالمٍ آخر. لاحقًا تبنى عددٌ من اللغات الملايو-بولينيزية وهي اللغات العامية لمسلمي غربي أفريقيا كالهاوسا وشرقي أفريقيا، الصومالية والســواحلية،بعض لغات أوســاط آســيا كالطاجيكية،التترية، الأوزبكية،وبعض اللغات في القارة شــبه

الهندية كالكشمرية والبنجابية والسندية والأوردو وبعض اللغات السلافية في أوروبا الخط العربي. كما أثرت قواعد لغة القرآن على لغات أخرى كالعبرية التي بدأت بتوظيف بعض الطرق اللغوية العربية ومصطلحاتها.

بقي استخدام الخط العربي راسخًا وثابتًا حتى انتزعه سقوط الأندلس ومن ثم الاستعمار الحديث في آسيا وأفريقيا. وبقدوم الاحتلال الأوروبي التبشيري وإداراته الاستعمارية والذي نظر رئيسيًا إلى العربية وخطها بازدراء، وقد سوغ المستعمرون أن إبعاد الأبجدية العربية سيجعل لغة القرآن غامضة ومبهمة بالنسبة للناس لفصلهم عن إخوتهم المسلمين و تسهيل التحكم بهم والسيطرة عليهم. وكانت المدارس التي أسسها هؤلاء تُخرج طلابًا يعانون عقدة نقص إزاء الغرب، فهؤلاء الآسيويون والأفارقة المُغربون بمن فيهم العرب أنفسهم احتقروا العربية وقللوا من شأنها بوصفها لغة متحجرة ،كما أن أنظمتها في الكتابة لن تناسب العصر التقني المتطور. كما طور الأوروبيون المحصنين هؤلاء عقدة نقص أخرى في الأقطار الإسلامية التي لم يحتلوها كالدولة العثمانية تتعلق بالغرب ولغاته.

مع ذلك وقبل قدوم الحركة الاستعمارية إلى آسيا وأفريقيا كانت لغة القرآن مُعرضة للهجوم ،حيث حظرت أسبانيا استخدام العربية مباشرةً بعد سقوط غرناطة لكن المورسكيين المسلمين الذين أكرهوا على اعتناق المسيحية تابعوا استخدام الخط والكتابة العربية خفيةً،رغم أنهم كانوا قد نسوا العربية فقد أبقوا على الكتابة بالأعجمية الأندلسية – وهي نوعٌ من الكتابة الأسبانية المرسومة والمخطوطة بالحروف العربية حتى ترحيلهم من أسبانيا في سنة 1609- ،وبعد ذلك الطرد والترحيل اختفت الأبجدية العربية من شبه الجزيرة الإيبرية.

بُعيد الحرب العالمية الأولى وُظف نظام الكتابة بالعربية في عددٍ من اللغات التي بدأت تُنبذ، حيث أُستبدل بالأبجدية اللاتينية في الأراضي المسلمية التي كانت تحت الحكم الروسي في الفترة ما بين سنتي 1927-1928، كما ألغت تركيا الكتابة العربية في سنة 1928 واستبدلتها باللاتينية المُعدلة. تبعت الصومال الطريق نفسها في العقود القليلة المنصرمة حيث استبدلت ما كان يُكتب بالعربية باللاتينية، وكانت الهند منذ استقلالها والتي كانت تستخدم الحروف العربية لمئات السنين في لغات كالكشميرية والبنجابية والسندية تدريجيًا باستبدالها بالأبجدية الديوناكرية (السنسكريتية).

كانت الهاوسا وهي لغة تعامل مشتركة وشائعة في غرب أفريقيا يتحدث بها أكثر من خمسين مليون شخص في ذلك الجزء من القارة تُكتب لقرون بالأعجمية وهي أحد أشكال الأبجدية العربية، وقد استعارت عددٍ كبيرًا من الكلمات من العربية تلك التي أثرت على مفرداتها. ولكن في العقود المبكرة من القرن العشرين وبسبب تأثير المدارس التبشيرية وإدارات الاستعمار البريطاني نُبذت الكتابة العربية واستبدلت باللاتينية، وبقيت اليوم بعض الآداب الدينية تُكتب بالأعجمية. وقد واجهت السواحلية التي يتحدثها سكان المناطق

الساحلية في شرق أفريقيا من الصومال وحتى الموزمبيق دخولًا إلى قلب أفريقيا المصير نفسه. وهي واحدة من أكثر اللغات المنطوقة المُستعملة في أفريقيا وتحوي الكثير من الكلمات العربية المُستعارة ولكن الحملات التبشيرية ومنذ وطئت قدماها أفريقيا للمرة الأول عملت جاهدة لإلغاء كتابتها العربية، وبحلول منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا و صاعدًا أُبعدت الأبجدية العربية كليًا وحل محلها الكتابة المبنية على اللاتينية.

أما في الأرخبيل الماليزي الإندونسي وحتى القرن الثالث عشر كانت السنسكريتية هي المُستخدمة في كتابة عددٍ من اللغات الموجودة هناك، وبحلول القرن الرابع عشر وبعد دخول الإسلام إلى هذا الأرخبيل عن طريق التجار العرب بدأ استبدال الكتابة السنسكريتية بالعربية لأولئك الذين اعتنقوا الإسلام. وعُرفت الطريقة المُستحدثة للكتابة بالعربية المستخدمة في لغة الملايو بالجاوية وهي الاسم العربي المشتق من جزيرة جاوة. وبغض النظر عن انتشار أدب الملايو فقد ساعدت في نشر و فهم الإسلام مساعدة كبيرةً جدًا. وبقدوم الغزو الأوروبي الذي رافق الحملات التبشرية، تلك التي عرفت الشعب بالخط الروماني المُسمى بالرومي، وقد أصبح هذا هو الأبجدية لكلٍ من البهاسا الماليزيا والبهاسا الإندونيسية –واقعيًا هي نفس اللغة- التي تعد اليوم اللغة الأكثر انتشارًا في جنوب شرقي آسيا. بالرغم من أن الجاوية ما زالت تُدرس في بعض المدارس فقد خسرت كثيرًا من أهميتها ومكانتها، حيث اختفى معظمها في أندونيسيا كما أنها نادرًا ما تُستخدم في ماليزيا. كانت حجة التبشيرية التي خدمت مصالحها تتمحور حول كون الكتابة العربية لن تُناسب نطق الأصوات في اللغات المحكية غير العربية، تلك التي اقتنع بها الكثير من متعلمي ومثقفي الملايو والمسلمون الآخرون غير العرب وابتلعوها وتشبعوا بها.

بالرغم من كل ذلك فما زالت العربية تتوسع على النطاق العالمي وتنتشر، فهناك 300 مليون شخص يتحدث بها كلغته الأم و800 مليون شخص آخرين كلغة دينية، وبقيت أبجديتها الثانية في الاستخدام عالميًا في الكتابة تسبقها الأبجدية اللاتينية فقط. إلى جانب العربية أبقت أكثر من عشر لغات أخرى على استخدام الكتابة العربية وأهمها:الأوردو،الفارسية، البوشتو،الكردية، السندية في باكستان. وبقيت العربية نفسها تتمتع بسلطة ثقافية كثيرة، فبكونها لسان الفكر الإسلامي أثرت في أكثر من مليار شخص في العالم الإسلامي من الأطلسي إلى الهادي ومن جنوبي أوروبا وحتى صحراء شمال أفريقيا.

وبخلاف غيرها من اللغات نالت العربية مكانةً كلغة عالمية مرتين: الأولى خلال العصر الذهبي للإسلام والثانية في عصرنا الحالي، فهي الآن واحدة من ست لغات مُستخدمة في الأمم المتحدة واعتبرت لغة عمل في منظمة الوحدة الأفريقية، كما عادت إلى مركزها السابق كثاني لغة في إيران وباكستان والجزء الجنوبي من الفلبين.

وعمومًا فإن كل محاولات إدارات الاستعمار الأوروبي والتبشيرية والمعاديين للمسلمين التي استمرت لقرون للحط من منزلة العربية وأبجديتها وكتابتها لم تنجح، فقد استمرت كلغة حية ونابضة بالحيوية يوقرها المسلمون والعرب من غير المسلمين في العالم الأجمع.

المصدر:

http://www.alhewar.com/habeeb_salloum_arabic_language.htm

هل تعتبر اللغة العربية جميلة ؟ إذا كان الأمر كذلك لما ؟

ترجمة : حباب صديق منير:

- أليكس رزرفورد :

نعم إنها جميلة بشكل مذهل، خاصة الفصحى. إن مستوى دقتها وتعقيدها مدهش، التغيير الدقيق في المعنى الذي يأتي مع مجرد تعديل نبرة واحدة ملفت للنظر حقًا. الأصوات محددة للغاية أيضًا، لغير الناطقين بها تبدو حلقية جدًا وربما عدوانية. ولكن لإتقان هذه الأصوات تحتاج الكثير من السيطرة على صوتك.

نطاق المفردات متسع جدًا، أذكر أني بحثت عن كلمة "whip" في قاموس شامل ووجدت 17 مرادفا للكلمة.

إن هيكل الأنماط الكامنة في اللغة مذهل أيضًا. فمثلًا إن "جذر" من ثلاثة أحرف يمكن أن يستخدم لاشتقاق كل الكلمات الممكنة ذات الصلة بالمعنى. على سبيل المثال "ك-ت-ب" يشير إلى أي شيء متعلق بالكتابة. الفعل الأساسي "to write" هو مجرد حروف الجذر هذه "كتب" لكن الأفعال الأخرى الأكثر تعقيدًا يمكن أن تشتق بإضافة حروف إضافية تعطي الفعل تغيير واضح في المعنى مثل الانعكاس، التحول والسببية. هذا الهيكل الأساسي يسمح لك بتحويل مفهومك ومعرفتك للكلمات المختلفة المتعلقة بمفاهيم مختلفة بكفاءة عالية. عندما تدرك أن هذه الأنماط "متغلغلة" في اللغة فإن هذا مذهل.

أخيرًا، فيما عدا كتب الأطفال أو بعض النصوص الدينية، يتم إسقاط حروف العلة من الكتابة العربية. لذلك على المرء ببساطة أن يعرف أو يخمن المعنى. مثلًا: الحروف المكتوبة "درس" يمكن أن تكون "دَرْس" أو "دَرَسَ" أو "دُرِس" وما إلى ذالك. إن إتقان اللغة ينطوي على حدس رائع منقول عبر مرور الزمن والكثير من الممارسة.

- دان لينسكي:

يمكن أن أقول أنها أنيقة أكثر من كونها جميلة. لقد استمتعت خاصة بسماع بعض من تلاوات الآيات القرآنية، أنا معجب بالنطق الدقيق جدا للأصوات المعقدة والإيقاع الدقيق. واستمتع بمقارنتها مع هتاف التوراة باللغة العبرية، التي أنا على دراية اكبر بها.

أود أن أقول إن اللغة الفارسية هي بالنسبة لي الأكثر جمالًا في منطقة الشرق الأوسط. الفارسية لديها صوت أكثر ليونة مع نوعٍ من الإيقاع الغنائي البشوش الذي أحب.

-لارا نوفاكوف:

أنا بالتأكيد، لقد سمعت لهجات مختلفة منها وهي لغة جميلة خاصة عندما يتعلق الأمر بالغناء. من الغريب أن أصفها إلا أن فيها شيئًا يجعلني أشعر بالقشعريرة عندما أستمع لأغنية باللغة العربية. كما أتيحت لي الفرصة للاستماع إلى بعض آيات القرآن بينما كنت في مصر ولقد بدا الأمر رائعًا لأذني.

المصدر:

https://www.quora.com/Would-you-consider-Arabic-a-beautiful-language-If-so-why

عشرة أسباب تدعوك لتعلُّم اللغة العربية

ترجمة : إسلام علواني :

تتنامى الأهمية السياسية والاقتصادية والمعرفية للعالم العربي،وهذا يفرض اللغة العربية كواحدة من أكثر اللغات أهمية. على الصعيد السياسي تتعدد الأسباب التي تدعو إلى تعلم العربية فهمًا لنوازع السلوك العربي وتوقيًا لتوابع عدم الاستقرار الأمني في المنطقة، والذي يؤثر بدوره على حياتنا اليومية. واقتصاديًا فإن العديد من المنتجات ذات الاستعمال والاستهلاك اليومي ذات منشأ عربي. أما معرفيًا فالعديد من العلوم والمعارف المتداولة اليوم، والتي يرجع إليها الفضل في تقدم حياتنا، تدين إما بالنشأة أو بالتطوير للعلماء العرب والمسلمين. إليكم تفصيل ذلك .

السبب الأول :

العربية هي خامس أكثر اللغات تحدثًا حول العالم . حيث أنها اللغة الرسمية لأكثر من عشرين دولة و ثلاثمائة مليون ناطق. وعلى الرغم من التواجد الكثيف لناطقي العربية في منطقة الشرق الأوسط إلا أن هناك أقليات من متحدثي العربية الأصليون يتواجدون في مناطق أخرى حول العالم. أضف إلى ذلك أن اللغة العربية هي إحدى اللغات الرسمية لمنظمات: الأمم المتحدة، جامعة الدول العربية، المؤتمر الإسلامي والاتحاد الإفريقي .

السبب الثاني :

العربية هي لغة الشعائر والطقوس الإسلامية. ولكونها كذلك فبالإضافة إلى متحدثيها الأصليون هناك ملايين المسلمين حول العالم من غير الناطقين بها يتعلمونها .

السبب الثالث :

الغربيون متحدثو العربية من غير الناطقين بها مطلوبون بشدة للعمل في العديد من المجالات . وعلى الرغم من ذلك فإن قليلون يبدون أية رغبة في تعلم العربية. فالأهمية المضطردة للشرق الأوسط في العلاقات الدولية لا تقابلها زيادة في عدد العاملين من ذوي الدراية باللغة والثقافة العربيتين. فدارسي العربية يمكنهم إيجاد وظائف في مجالات عديدة من بينها : الصحافة، الصناعة والأعمال، التعليم، العلوم والأعمال المالية والمصرفية، الترجمة العادية والفورية، الاستشارات، الأعمال الدبلوماسية

والمخابراتية، والعديد من الأعمال الأخرى. على سبيل المثال، هناك فقط واحد بالمائة من الإثني عشر ألفًا عملاء الإف بي آي (مكتب التحقيقات الفيدرالي) لديهم أدنى معرفة باللغة العربية، ويتضمن هذا الرقم من لا يعرفون عن العربية إلا بضع كلمات .

السبب الرابع:

هناك أيضًا حوافز مالية تبعث على تعلُّم العربية. فالحكومة الأمريكية أعلنت العربية كلغة ذات أهمية إستراتيجية. فمبادرة " اللغة ذات الأهمية الإستراتيجية " التي تم إطلاقها عام 2006 تدعم عبر منح العديد من المنح الدراسية ودعم البرامج التعليمية بعض اللغات ذات الأهمية الإستراتيجية من بينها اللغة العربية. تلك الحوافز المالية تشمل : دعم برامج تعليم اللغات من الابتداء إلى الإتقان والتمرُّس، برامج الدراسة بالخارج، فرص للدراسة ببرامج التوجيه المكثف، تبادل المعلمين، والتطوير المهني .

السبب الخامس:

المبادرات الهادفة لدمج العالم العربي في إطار الاقتصاد العالمي أدت إلى نمو متسارع للسوق العربية تمخضت عنها فرص قائمة وأخرى محتملة لانتشار الأعمال . فالزيادة السكانية المضطردة للإقليم تعِد بسوق واعدة فيما يتعلق بتصدير السلع والخدمات. فبناتج محلي إجمالي يُقدر بستمائة مليار دولار لا يزال لدى المنطقة الكثير لتضيفه للتجارة العالمية. بناء على ما سبق، ومن أجل أعمال ناجحة، علينا فهم واستيعاب اللغة والثقافة العربيتين لكونهما لغة شعوب المنطقة التي نأمل في إقامة جسور تجارية معها.

السبب السادس:

إسهامات الحضارة الإسلامية – التي ينتمي إليها شعوب العربية - لا تعد ولا تحصى. فبينما كانت أوروبا ترزح تحت عصور الظلام – من 600 إلى 1500 م – كانت الحضارة الإسلامية في أوج بهاءها. فعبر ما حوته وأورثته البشرية المكتبات العربية في مجالات العلوم، والطب، والفلسفة، التي ورثوا أصولها وتعلموها عن الحضارات اليونانية، والرومانية والبيزنطية؛ كانت للعرب اليد الطولي في ازدهار وتطوير تلك العلوم . كذلك فقد كان للعرب إسهام بارز في الأدب، الرياضيات، الملاحة، الفلك، والهندسة . من أجل ذلك فإن العربية تُمكن الملم بها من استكشاف ذلك الكنز المعرفي بلغته الأم .

السبب السابع:

للعالم العربي إرثه الثقافي الفريد في مجالات الفنون والآداب والموسيقى وكذلك المطبخ. فبعض الغربيون يعرف الرقص الشرقي، والبعض الآخر قرأ ألف ليلة وليلة والبعض الثالث طعُم بعض الأطباق العربية كالحمص والفلافل، ولكن هذا ليس كل شيء، فالانفتاح الغربي على العالم العربي لا يزال قاصرًا عن إدراك جوهر ثقافته. فسبرك لأغوار العالم العربي سوف يعينك على إدراك الخصوصية الثقافية للمنتجات والممارسات العربية. كما أنك حينها سوف تكون قادرًا على تفهم بعض القيم الهامة للشعوب العربية؛ كالشرف، والكرامة، وحسن الضيافة

السبب الثامن:

الإلمام بالعربية يدعم أواصر التفاهم بين الثقافات. فإضافة إلى ضعف الانفتاح على الثقافة العربية تقوم وسائل الإعلام، وسينما هوليود بتقديم صورة نمطية سلبية أحادية الجانب للعرب بوجه عام. وفي الوقت نفسه فإن الأحداث في الشرق الأوسط تؤثر على حياتنا اليومية. لذا فإن التعويل على تلك الصور الذهنية التي تصور العرب بشكل سطحي وزائف، على خلاف الواقع، يمكن أن يؤدي إلى انعدام الثقة سوء التواصل، وإلى عدم القدرة على التعاون والتفاوض وتسوية المشكلات، ولا نستبعد المواجهة العسكرية. مُتعلمو العربية لديهم صورة أكثر تبصرًا عن ماهية القيم الثقافية والسياسية والدينية ودورها في حياة الشعوب العربية. لذا فإن متعلمو العربية يمكنهم عبور الهوة الثقافية واللغوية بين الأمم، ومن ثم المساعدة على حل المشكلات الناجمة عن الصدام بين الحضارات وتوقي حدوثه مستقبلاً، وكذلك المساعدة على تذليل العقبات التي تحول دون انخراط الشركات في إطار التجارة الدولية.

السبب التاسع:

للعربية أثرٌ جلي على غير قليل من أخريات اللغات. فمن العربية انتقلت إلى العديد من اللغات بعض العلوم ، كما انتقلت بعض المنتجات بأسمائها، وكذلك انتقلت بعض الأنشطة لصيقة الصلة بالعرب. فعلم الجبر أسسه الخوارزمي – أحد العلماء المسلمون - في العصور الوسطى. كذلك فالمنتجات الرئيسية شائعة الاستهلاك كالقهوة والقطن، والعطور كالياسمين، والموالح كالليمون واللارينج جميعها منشؤها عربي. جذور العربية متشعبة في الإنجليزية. فبعض الكلمات/الأسماء الموجودة في الإنجليزية مستعارة من العربية ك "الحناء، فن المكرميات[1]، آلة العود، مرتبة السرير، الجُربوع "حيوان من فصيلة الفأر"، الشربات، رحلات الصيد/السفاري، وأخيراً الموصلي "نوع من أنواع النسيج"[2]. وليست الإنجليزية وحدها هي من أخذت عن العربية ؛ فللعربية بصمة واضحة على لغات أخرى منها الفارسية والتركية والكردية والإسبانية والسواحلية والأردية وأخيراً التيجرينيا وهي لغة ساميّة منطوقة في إريتريا.

السبب العاشر والأخير:

تُقدر الكتلة السكانية من ذوي الأصول العربية بالولايات المتحدة الأمريكية بثلاثة ونصف مليون شخص وهي كتلة لا يُستهان بها. ومن هنا فحتى الحد الأدنى من الدراية بالعربية – لغةً وثقافة – قد تسهم في تفهم وتقبل تلك الجماعة من المواطنين الأمريكيين التي لطالما أُسئ فهمها ولم يُحسن تمثيلها .

المصدر:

http://www.greatmindslearn.com/faqs/what-are-some-the-benefits-of-learning-arabic/

[1] أحد أشكال صناعة النسيج - باستخدام العقد بدلاً من النسج أو الغزل. و العُقدَة الرئيسية هي العُقدة المُربعة أوبما تسمى الغرزة المسطحة وأشكال من "الربطات": مثل : الربطة الكاملة والربطات مُزدوجة الشطرين. صَنَعها البحارة لفتراتٍ طويلة، خاصةً في أشكال العُقد الموضوعة والعُقد التزيينية، وذلك لتزيين أي شيء بدايةً من مقابض السكاكين والزجاجات وصولاً إلى أجزاء السفن. https://ar.wikipedia.org/wiki/مقرمة

[2] الموصلي ويسمى أيضًا الموسلين أو الموصلين هو نوع من القماش مصنوع من القطن. وصلت إلى أوروبا من الشرق .على الغالب, اسم القماش مشتق من مدينة الموصل .نظرية أخرى تقول ان هو تحريف لاسم "ميسلوس".جاء ذكره في كتابات الرحالة ماركو بولو. من المدن التي اشتهرت في السابق بصناعة الموصلين مدينة مدراس وداكا .

إسهامات اللغة العربية في اللغة الإسبانية

ترجمة : سوزان عواد :

من الصحراء أتى هؤلاء الرجال يملأهم هوسهم بدينهم راكبين الخيل تحت راياتهم المكتوب عليها شعار"لا إله إلا الله محمد رسوله".

وبعد إقامة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كأساس عربي لإمبراطوريتهم الإسلامية العربية في القرن الثامن,هبطوا على شبه الجزيرة الأيبيرية حيث قاموا بزرع دينهم ولغتهم في السنوات التالية, وكان لهم تأثيرًا كبيرًا على التاريخ وطريقة الحياة في هذا الجزء من أوروبا.

هؤلاء العرب وقرآنهم لم يكونوا كالغزاة المعتادين. فثقافات البلدان التي احتلوها لم تُدَمَّر كما هو مصير الحضارات التي تقهرها جيوشًا أخرى وتنتصر عليها, ولكنها حُفِظَت, وفيما بعد أُمْتُصَتْ وأُستُوْعِبَت تلك الثقافات لتشكيل الحضارة العربية الإسلامية التي أصبحت بمثابة طريق استرشاد البشرية لقرون عديدة. وبالطبع انتقلت تعاليمهم عبر شبه جزيرة أيبيريا إلى بقية أوروبا.

بيد أن إقامتهم في إسبانيا حوالي 800 سنة كان لها أكبر الأثر عليها. فلغتهم العربية, كانت واحدة من أهم المركبات التي حملت تلك الثقافة من الشرق إلى أوروبا في العصور الوسطى. تلك اللغة السامية التي تطورت في الصحراء العربية قبل الفتح الإسلامي, على مدى آلاف السنين للغة متدفقة وصفية شعرية خلقت كمًا هائلاً من المفردات. على أي شيء في تلك الأرض الوعرة القاحلة امتلك العرب تلك السلسلة العريضة من الكلمات. فالشاعر لا يجد صعوبة لنظم قصائده المسجوعة لأنه يمتلك مخزونًا كبيرًا من المرادفات يختار منها, وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة لا تضاهى في النثر والشعر.

إن العرب فخورين بلغتهم, يؤمنون بأنه لا مثيل لها بين اللغات البشرية.

وكما يليق بفخرهم هذا, كانوا يبذلون جهدًا كبيرًا في محاولة للحفاظ على لغتهم الأساسية نقية.

حتى بعد الفتوحات الإسلامية عندما بدأت التأثيرات الأجنبية تتسلل خلسة للغة, حاول العلماء إيقاف هذا المد. يقول عمر س. باوند في كتابه القصائد الفارسية والعربية بالإنجليزية :

"كما يفتخر العربي باستخدامه كلمة الحق, كان الكثيرين من علماء العرب في العصور القديمة يسافرون مسافات بعيدة كي يتمكنوا من معرفة المعنى الصحيح لكلمة نادرة تستخدمها قبائل بدوية مجهولة. غالبًا

ما يتفحصون الضيوف القادمون من بلاد بعيدة عن كثب للتمحيص في شأن استخدام معنى كلمة معينة توجد فقط في قبيلة الضيف".

وبعد انتقال الإسلام من وطنه الأم, كانت اللغة العربية هي التي حملت رسالته, كل من تحوّل للإسلام أظهر رغبته في تعلم لغة رجال الصحراء هؤلاء, حيث كان هناك اعتقاد سائد أن العربية هي أم اللغات و أنها اللغة التي تعلمها آدم في الجنة.

أنور شيخان في عمله اللغة العربية: دورها في التاريخ

يقول: أن الكاتب العربي ابن منظور (القرن الرابع عشر), في مقدمة كتابه لسان العرب يجزم بأن الله خلق لغتهم العربية لتفوق جميع اللغات الأخرى, وعزز هذا بكونها لغة القرآن و أنها لغة الجنة. كذلك فإن ابن منظور يروي عن النبي محمد حديثه الذي قال فيه:

"إن [الناس] أحبت العرب لثلاثة أسباب: أنا عربي; القرآن باللغة العربية; و العربية لغة الجنة "

لكن هذا الفخر باللغة لم يوقف العرب عن تعزيز لغتهم بعد الفتوحات.

فمن الشعوب المحتلة حديثًا, استعار العرب مجموعة كاملة من المصطلحات العلمية و المفردات التقنية.

وهذا ما أثرى لغة الصحراء بالعديد من المرادفات لإنتاج لغة عالمية بلا منازع.

في القرن الثامن, انبثقت اللغة العربية كلغة مكتملة لإمبراطورية وكأداة للأفكار استمرت و عاشت بعد العصور الوسطى, ربما لا يوجد لغة حول العالم قد عاشت أكثر من 1400 سنة في هيئتها الأولى كاللغة العربية التي شُكِلت في ذاك القرن من العظمة بمكان.

و من القرن الثامن و حتى القرن الثاني عشر أصبحت اللغة العربية لغة العلم للبشرية.

خلال تلك الفترة كان على أي فرد يرغب التقدم في العالم , و أن يكون ماهرًا و حاذقًا فعليه أن يتعلم العربية. كما في يومنا هذا تفتح الإنجليزية الأبواب نحو التقدم العلمي والتكنولوجي للرجال الطموحين, كانت العربية في ذلك الوقت.

في تلك القرون أنتجت بالعربية أعمالاً أكثر من أية لغة أخرى في ذلك الوقت.

فواحدة من الستين مكتبة بقرطبة كانت تحتوي على ما يربو من ستمائة ألف مخطوطة مكتوبة باليد؛ بوقت كانت أوروبا غارقة في العصور الوسطى؛ حيث كان يعتبر الاستحمام عادة خطيرة. في الوقت الذي كان فيه العرب سادة إسبانيا, و العربية تسير بطريقها لتصبح لغة العلم للبشرية, في العالم الجاهل تقريبًا

والمحتل مؤخرًا, بدت اللغة العربية الغنية بالتأكيد مثل الإنجليزية الآن في عصرنا الحالي وكما تبدو لمتعلمي جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى المتآلفين فقط مع لهجاتهم المحلية القبلية.

ففي شبه الجزيرة الأيبرية قبل الإسلام, كانت أنواع اللاتينية العامية والسوقية فقط هي لغة الأرض منذ عصر الرومان, ومع ذلك, فعندما احتل القوط الجرمان إسبانيا بثلاثمائة عام قبلما يفتحها المسلمون, ساهموا بشكل ما بتلك اللهجات المحلية المنطوقة, ولكن ليس بالقدر الكافي.

فأهم ارث تركوه لدى مغادرتهم إسبانيا حوالي 200 كلمة تتعلق بالملبس وشئون الحرب, وبضعة أسماء للأماكن الموجودة هنا وهناك في كل من إسبانيا والبرتغال. خلال تلك الفترة عندما حكم الجرمان؛ فالقليل الذي كان متعلمًا معظمهم في صفوف رجال الدين, وكانوا يستخدمون اللاتينية الكلاسيكية, وبدرجة أقل اليونانية بوصفهما لغة التواصل والأدب.

وبعد وقت قصير من الفتح العربي لإسبانيا في أوائل القرن الثامن, أصبحت اللغة العربية كلغة رئيسية في وسط وجنوب شبه الجزيرة الأيبيرية واللاتينية في الشمال المسيحي مع اللهجات السائدة.

وكان هذا حتى القرن الثالث عشر عندما بدأ دفع العرب خارج وطنهم في الأندلس.

في أجزاء من شبه الجزيرة الأيبيرية الواقعة تحت الاحتلال العربي, تعتبر اللغة اللاتينية السوقية المتحدث بها هي السلف المباشر للإسبانية المعاصرة جنبًا إلى جنب مع اللغة العربية والتي تطورت بكثير من المصطلحات لما يعرف باللغات الرومانسية, وهى تتآلف من أربع لهجات رئيسية:

(Mozarabic): التي يتحدثها المسيحيون الذين عاشوا تحت الحكم العربي وأصبحت الوسيطة الرئيسية لتمرير الكلمات العربية إلى الإسبانية.

(Aragonese): والتي يتحدثون بها في أراضي أراجون, ونافار (ليونز), ما نطلق عليه لغة مملكة ليون التي تأثرت بشدة بالكلمات العربية والقشتالية (Castilian), والتي قُدِّرَلها فيما بعد أن تصبح اللغة الوطنية في إسبانيا.

هذه اللهجات المحلية وغيرها مثل الكتالونية (Catalan) والبروفنسال (Provencal) , لعبوا دورهم في تطور اللغة الإسبانية الحديثة, ولكن القشتالية, التي نمت في قلب إسبانيا كانت تعتبر قاعدتها الرئيسية.

إن حركة استعادة إسبانيا التي كانت أساسًا بقيادة قشتالة تقدمت وبلا هوادة إلى الأمام قرنًا بعد قرن لتزرع القشتالية بالأقاليم المحتلة ومع انتشار هذه اللهجة, أصبحت الإسبانية والقشتالية مترادفتان.

فاليوم التحدث بالقشتالية أي التحدث بالإسبانية النقية.

أما في المناطق المسلمة في إسبانيا,انتشر استعمال اللغة العربية انتشارًا سريعًا؛ فمن القرن العاشر, كان التعليم الابتدائي أمرًا شائعًا في جميع أنحاء إسبانيا العربية .وباستثناء الفقراء جدًا, جميع البنين والبنات كانوا يذهبون إلى المدارس.

وبخلاف المناطق المسيحية من إسبانيا وبلدان شمال أوروبا, كانت الغالبية العظمى من سكان المناطق التي يسيطر عليها العرب متعلمين العربية كلغة السكان المتعلمين, بلغ هذا مستويات مبهرة في أقل من قرن وحتى المسيحيين الذين يعيشون تحت الحكم العربي أصبحوا متمرسين باللغة العربية حتى أنهم أهملوا لغتهم الخاصة بهم.

ر. دوزي في الإسلام الأسباني

يشرح كيف أن المسيحيين أسرهم بريق الأدب العربي حتى أن رجالًا من مؤلفيهم تذوقوا لغة الغزاة -أي العربية- وكتبوا بها واحتقروا لغتهم اللاتينية. ويستشهد بـ الفارو دى كوردوبا, الكاتب المعاصر في القرن التاسع الذي رثى ذاك الواقع بهذه الكلمات:

"إخواني المسيحيين", متابعًا:

"يالها من لذة في أشعار ورومانسيات العرب; إنهم يدرسون أعمال الفقهاء والفلاسفة المحمدية, لا من أجل تفنيدها, ولكن لاكتساب أسلوب عربي صحيح وراقٍ.

فأين يمكن اليوم العثور على شخص عادي يقرأ التعليقات اللاتينية في الكتاب المقدس؟ من ذا الذي يدرس الأناجيل, الرسل والحواريين؟ وأسفاه؛ فالشبان المسيحيون الأكثر موهبة لا يعرفون أية آداب أو لغة; باستثناء العربية؛ إنهم يقرؤون الكتب العربية ويدرسونها بشراهة ويتكدسون في المكتبات الباهظة التكاليف, ويتغنون بالأناشيد العربية التقليدية في كل مكان ومن ناحية أخرى وعلى ذكر الكتب المسيحية, فإنهم يحتجون بازدراء بأن هذه الأعمال غير جديرة بملاحظتهم. يا له من أمر يدعو للشفقة فالمسيحيين نسوا لغتهم الخاصة ونادرًا أن تجد واحد في الألف ممن يستطيع كتابة خطاب لصديقه باللاتينية ! ولكن عندما يتعلق الأمر بالكتابة باللغة العربية, فكم ممن يمكنهم أن يعبروا عن آرائهم بتلك اللغة برقي حتى إنهم قد يكونون قصائد صحيحة الشكل والتكوين أكثر من العرب أنفسهم!".

في الواقع إن تفضيل السكان غير المسلمين المقيمين العربية على لغتهم الخاصة أدى إلى أن يكون تأثير العربية على الإسبانية هائلاً. حيث زحفت الكلمات العربية داخل اللهجات الإسبانية, لاسيما في الميادين العلمية والتِقْنِيَّة. هذه الاستعارة للعربية لم تدخل للإسبانية واللغات الأوروبية بالصدفة أو بسبب

الافتتان بسحر اللغة العربية, وإنما كنتيجة لمحاولة المسيحيين الأوروبيين لمحاكاة الثقافة العربية التي تمثلت في جلّ التخصصات, والتمسك بتقاليدها بكل انضباط, بما في ذلك الفنون.

عامًا بعد عام من اقتراض هذه الكلمات بزخم استقطابها؛ حتى تم وقف ذاك المد العربي.

ومن القرن العاشر فصاعدًا, دخلت الكلمات والمصطلحات العربية اللهجات الرومانسية في شبه جزيرة أيبيريا على نطاق واسع. هذه المفردات العربية الغنية كانت بمثابة منشط كبير لتطوير الفكر الأوروبي.

ففي توليدو Toledo بعد إعادة فتحها بواسطة المسيحيين وترجمة الأعمال العربية إلى اللغات الأوروبية ليبدأ التغيير الجذري في التفكير المسيحي وتوضع أوروبا على طريق التقدم.

وما من شك في أن الكثير من الكلمات العربية دخلت لغات أوروبية عديدة بعد هذه الترجمة.

على الرغم من أن الكثير من المؤرخين الغربيين عبر قرون, كانوا معارضين لفكرة الاعتراف للدور العظيم الذي لعبته العربية في تطور أوروبا المسيحية, فلكلمات العربية في اللغات الأوروبية هي الدليل على تلك المساهمة الهائلة.

وحتى عندما حاول الأسبان بعد إعادة استرداد بلادهم, تطهير لغتهم من أية كلمات عربية, فربما مازال حتى يومنا هذا ثمانية آلاف كلمة, وحوالي ألفان وثلاثمائة اسم من أصل عربي. وسوف يفاجئ الكثيرين لمعرفة انه بعد اللغة اللاتينية فإن العربية قدمت أكبر الإسهامات في اللغة الإسبانية.

فإلى جانب الإسبانية ساهمت العربية في مفردات المصطلحات الأوروبية كما تشبعت العديد من اللغات في بلاد المسلمين مثل 57% الباشتو, و42% اللغة الأردية, و30% من أصل فارسي بالكلمات العربية.

غير أنه من كل اللغات في العالم خارج أراضي المسلمين, فإن الإسبانية تضم أكبر عدد من الافتراضات اللغوية من الكلمات العربية ؛ ففي هذه اللغة من المفردات العربية كلمات تحت كل حرف من حروف الأبجدية. بالإضافة إلى العديد غيرها, فإن دراسة لاشتقاقية القاموس الأسباني تكشف عن أن عددًا كبيرًا من الكلمات التي تبدأ من أصل عربي. وإن لم يكن معظمها ليس دارجًا في اللغة اليومية ولكنها , ما زالت مستخدمة إلى حد ما. وربما ليس هناك طريقة أفضل لتقدير التأثير الكبير للعربية على الإسبانية من زيارة إسبانيا اليوم. بالسفر في جميع أنحاء البلاد, يجد المرء العربية والأسماء في كل مكان*[1]:

Albacete (البسيط); **Albufera** (البحيرة); **Alcalá**(القلعة); **Alcantara** (القنطرة); **Almería**(المرآة)؛ **Alpujarras** (البشرى); **Benicasim** (بني قاسم)؛ **Calatayud** (قلعة أيوب); **CalataÁazor**(قلعة النسور)؛ **Guadalajara** (وادي/ نهر الحجارة) ; **Guadalcazar** (وادي القصر/ نهر

القلعة); Guadalquivir (وادي الكبير); Guadalviar (وادي البيار)؛ Madrid (مجاري نسيم)؛ Medinaceli (مدينة ساليم)؛ Murcia (مصرية); Tarifa (طريف/ اسم رجل); Vega (بقعة مفرد بقاع); Valladolid (بلد الوليد).

و إلى جانب هذه العينات القليلة فهناك المئات من أسماء الأماكن المأخوذة من العربية, فالكثير من الأماكن الطبيعية الريفية بأسبانيا أُستمدت أسماؤها في اللغات الأخرى من العربية مثل Guadalupe أو lupis باللاتينية, وتعني (وادي الذئاب)؛ Zahara de los Membrillos بالإسبانية أو de los membrillos quinces بالفرنسية وتعني (زهرة السفرجل)*[2]

وعلى الرغم من أن لأسماء المواقع العربية جانبًا هامًا في التأثير على إسبانيا, فإن الكلمات العربية بالإسبانية تشير إلى العديد من المجالات الأخرى التي أثرت على أسلوب الحياة الإسبانية.

لندرك تمامًا مدى هذا التأثير, دعونا نقوم برحلة خيالية إلى Andalusia (الأندلس) , 'The Vandals' وهي قبيلة جرمانية استوطنت شبه الجزيرة الأيبيرية وشمال أفريقيا قبل الفتح العربي.

بعد هبوط الطائرة في المدينة الأندلسية, ودعنا azafata (المضيفة). وعندما صافحناها رأينا في يدها alfiler (خلخال) و aljófares (الجواهر). ودعتنا قائلة: Hasta la vista (حتى نلتقي) وقلنا لها: Ojalá ! (ان شاء الله), ثم أسرعنا بعيًدا.

لحظات وكنا في الجمارك aduana (ديوان). وسألنا aduanero (موظف الجمارك) إذا ما كنا من السياح وهل نحتاج إلى turjimán (المترجم) ورفضنا هذا شاكرين وغادرنا الجمارك بسرعة, ثم قمنا بتأجير السيارة للوصول إلى مضيفنا.

في الطريق مررنا بـ zocos (أسواق) ملونة ولاحظنا alfareros (الفخارين) يبيعون آنيتهم.

وفي الطريق مررنا بـ alcaldía (مكتب المحافظ) وشاهدنا alcalde (القاضي/ العمدة) و alguacil (الوزير) و albacea (الواصي) على zalmedina (المدينة).

مررنا صاعدًا بمكاتب alarife (مهندس)و albéitare (طبيب بيطرى) و alcaiceria (سوق الحرير)

و hóndiga (الفندق) و almacene (متجر)و fonda (فندقة/موتيل) قبل دخول ضاحية باريو (بري)

وسرعان ما ضللنا الطريق وتوقفنا في almoneda (المنادين/ مكان بيع بالمزاد) للسؤال عن الطريق.

دخلنا إلى المكتب الأمامي وشاهدنا alamín (الكاتب الذي يفحص الأوزان) كانت tarifa (قائمة أسعار) معلقة على الحائط. وكان يقف بجانبه almojarife (المشرف/ محصل الضرائب) يتحدث إلى muhtasib

(المحتسب/ المفتش) ورئيس المفتشين الموازين والمقاييس, المعروف سابقا باسم zabazoque (صاحب السوق). سألنا عن الاتجاهات و أجابنا المفتش بأن أصدقائنا يعيشون في Arrabal (رابض/ضاحية) مرفهة. و قبل أن نغادر أعطانا لمحة تاريخية عن البيع بالمزاد العلني في الأندلس وعن الأوزان والمقاييس المستخدمة و منها: almud وarrelde (الرطل) وarroba (الربع) و azumbres(الثمن)و quintal (القنطار) و celemi (ثماني)و جميعها مستمدة من اللغة العربية.

و قبل العودة إلى السيارة, قمنا بجولة في الشوارع المحيطة المليئة بمقاهي الهواء الطلق qahwah (مقهى). وكلما مررنا بإحدى هذه المقاهي دعانا الزبائن للانضمام إليهم "Venga Usted a comer!" (تعال انضم إلينا!), وتلك عادة اكتسبوها عن العرب, فبنفس الطريقة في جميع أنحاء العالم العربي يدعو الزبائن المارين قائلين: تفضلوا (مرحبًا! أو انضم لنا!).

على بعد دقائق معدودة بالسيارة وصلنا إلى منزل مضيفنا المنزل المغربي الطراز, بحديقة مسيجة و نافورة و هو نمط متوارث من العرب في جميع البلدان الناطقة بالإسبانية.

كان المنزل بلا رقم فسألت أحد المارة fulano (فلان) ويبدو أنه كان trafalmejas (أطرف الناس/ خفيف الدم والعقل) إذا كان هذا بيت مضيفنا فابتسم, ثم هز رأسه.

بعد ضرب aldaba(الباب) ظهر مضيفنا وحيانا قائلاً:

"ادخل! يسرنا أن نراكم, esta es su casa (هذا بيتكم).

وعندما دخلنا بباحة الدار رأينا alberca (البِركَة/ البَرَكَة) محاطة بـــ azucenas (السوسن/ الليلاك الأبيض) المغطاة بـــ atanores (التنورة/ يعني ما يشبه التندة). وكان بالجوار almarraja (المرشاش) زجاجة لري النباتات. وكان بالفناء ajimez alfeizar (الفاشة؛ الشمس/ يعني نوافذ مقوسة لدخول الشمس)و azulejo (الزلاج ملونة / أي حوائط ملونة بالقرميد) و baldosa (بلاط/ أي الأرضية) التي كانت جميلة للحد الذي أبهرنا بسحر جمالها.

وعندما سرنا لفحص المكان, لاحظنا أن جزءًا من المنزل كان adobe (الطوب اللبن)وكان أعلى albaÁil (البناء) azotea (السطح/ سقف) حيث توجد المدخنة.

في الفناء البهي , حيّانا أفراد العائلة قبل أن يأخذنا مضيفنا في جولة بمنزله, مشينا من خلال القاعات والغرف مليئة بـــ alcatifas (القطيفة)و arambeles (الهنابل/ معلقات الحائط) وأرضيات مغطاة بـ alfombras (السجاد) الملون. ثم انتقلنا إلى الطوابق العليا, لاحظنا alcobas (القبة) المدهونة بـــjaharro (هواره/ ورق ملون) لونه aÁ il (الأزرق النيلي).

أما في العلية zaquizami(سقف شامي) أشار مضيفنا بفخر لنا على alacena (الخزانة/دولاب) التي يوجد بها alcancia (الخزينة/ صـندوق المجوهرات أو العملات) تتضـمن العملات القديمة ومنها: maravidí (المرابط/نسبة إلى المرابطين) و meticales (مثقال).

بالعودة إلى غرفة الجلوس ذات الكراسـيtaracea (طرازة/ أي مرصـعة) مقاعد tabiques (تشـبيب/ مسـاندها رقيقة) و أرحنا أجسـادنا المرهقة على sofas (صـوفا) أي الأرائك المنخفضـة ذات almohades(المخده/ الوسـائد), وعندما تسـلل البرد إلى المكان كان anafre (الفرن) باعثا على الدفء, بينما قام مضـيفنا بتقديم alm§íbar (المشـاريب) مثل limón (الليمون) و naranja (النارينج/ البرتقال) ومعها أطباق من الحلوى تحتوي على arrope (خلاصة عصير فاكهة مغلي) و jarabe (شراب/ مشروب) معها أطباق صغيرة من pistachios (الفستق)وescabeches (المخلل) و شرائح من zanahorias (الجزر). تناولنا من هذه المقبلات قرابة الساعة انتظارًا للوجبة الرئيسية والتي بدأت بـ gazpacho (جازباشو) و هو حسـاء موروث من المغرب العربي و khubz mushrib (خبز منقوع) و أعقب ذلك :alboronía (البرانية) و berenjena(الباذنجان)مع الخضـار وأطباق جانبية alcachofa (الخرشـوف) الشـهي و alubia (اللوبيا)و chirivía(الجزر الأبيض) وespinaca (السبانخ).

فيما بعد قُدِّم إلينا albóndiga (البوندوق/كرات اللحم) بنكهة alcaravea (الكراوية) وalmoradux (المردقوش/ المشـروم) و azafrán (الزعفران)و estragon (الطرخون)و zamaque (السـماق/ دبس الرمان) و arroz (الأرز) البخاري مطهوًا في aceite (الزيت) المحفوظ في alcuzas (الكوزه/ عبوات زيت الزيتون) وalmejas (الماجا/ رخويات مسلوقة/ أم الخلول) و atún (تونة) مقلية و sábalo (الشاد).

ثم الطبق الرئيسي حيث أحضر مضيفنا alajú (الهاشو/ عسل) و almojábana (المجبنة/ كعكة الجبن) متبوعة بـ tazas (طاسات/ فناجين)القهوة المحلاة بـ azúcar (السكر).

و بعدما أصبح الجميع متخمين بالطعام تم تقديم albaricoques (البرقوق) الطازج و sandías (سينادي/ الشـمام) و toronjas (ترونج/ جريب فروت) و zafaris (سـفرس/ تين حلو) معjarra (جره/ قلة) من الماء المثلج و التي قدمت في النهاية كلمسة أخيرة.

في الحقيقة إن مضيفتنا أخذت tarea (طريحة/ مهمة) بمحمل الجد.

وبعد أن انتهينا من الطعام فإن ama (أم/ ربة المنزل) التقطت قطعة من الخبز وقعت على الأرض وقالت على طريقة العرب: Es pan de Dios (عيش الله/ نعمة ربنا).

قبل أن تأخذ النساء لتريهم alcoba (القبة/ غرفة نومها). عندما دخلوا الغرفة لاحظوا أن الغرفة مملؤة بأشياء كثيرة, ومعبقة برائحة قوية algalia (غلاية/ زيت النفط) وalmizcle (المِسْك).

على طاولة قرب jofaina (مغسلة) كان يوجد بعض ataujiadas (الأوشحة) ودبابيس الزينة وajorca (الشاركه/ الخلاخيل), مع alhajas (الحاجات/ مجوهرات) عديدة أخرى وalbanega (البنيقة/ شبكة شعر).

كانت المفارش المصنوعة من fustal (الفسط/خشن [الاسم القديم للقاهرة]) أما السرير فمغطى بـ guadamecil (غدامسي/ جلد محفور [من مدينة غدامس في ليبيا]) وبجانب حافة السرير وعلى الجدران وبالقرب من خزانة الملابس التي يوجد بها كل أنواع الملابس التي شملت:

albornoz (البرنس) وalmalafa (الملفة/ روب المرأة) والمصنوع من aducar (الدوكار/ قماش خشن) azul (اللازورد/ أزرق) اللون وalmejía (المحشية/ معطف قصير) وستة camisas (قميص) مصنوعة من algodn (القطن) و chupa و jubón (جُبّة/ لُباس للرجل بمعنى سترة/ للمرأة بمعنى فستان) و marlota (مالوتة/ تنورة) مصنوعة من aceituni (الزيتوني/ أي المخملي) وعدد من zaragüelles (سروايل)

أما على ارضية الخزانة فيوجد زوج من alcorques (الجرموك/ نوع من الأحذية)وalmofrej (مفرش)

carmesi (قرمزي)وbabuchas (خف/ شبشب)وalpargatas (البرغات/ صندل من القنب)

عادت النسوة إلينا مبتهجات بما شاهدنه من الأنواع القديمة للملابس النسائية, بعدها تحدثنا لبضع دقائق قبل أن يخبرنا مضيفنا بأنه أعد لنا zahora (سهرة) أندلسية تقليدية لامتاعنا.

وفي دقائق تواجد الموسيقيين لحظات وبدأ الموسيقيين يلعبون على آلاتهم aldufe (الدف) aÁ afil (النفير) laúd (العود) quitarra (القيثارة/ الجيتار) tambor (التنبور/ الطبلة).

مع حلول المساء تقدم اتخذنا azar (عذر/ فرصة) لشرب alquermes (الكريمز/المشروبات الكحولية) المصنوعة منزليا.

وفي هذا الجو ما بين الموسيقى والمشروبات قام مجموعة من fallah manjah (فلاح منجي/ راقص فلامنكو) "saved farmer" بالعربية, بتسليتنا بتقديم رقصاتهم وcante jondo (نوع من الغناء من أصل عربي). وطفقنا نردد سريعا !olé (الله/ للاستحسان بمعنى برافو) عندما أخذ الراقصون يزيدون من سرعتهم في النهاية. لقد كانت حقاzahora (سهرة) لا تُنسى

وفى صباح اليوم التالى أخذنا مضيفنا فى شاحنته إلى نزهة فى الريف.

وفي طريقنا للخروج من المدينة عبرنا حقولalcandia (الكتانيا/ الذرة) alcaucí (القابيل/الخرشوف alfalfal (الفصفصة) algarroba (الخروب).

وبالقيادة عبرهذه الحقول على امتداد النهر مررنا على aceÁa (السانيه/ الساقية)و acequias (المساقي/ قنوات الري) وalcantarillas (القناطر/ جسور صغيرة) cistern) aljibe (الجب/الصهريج) almazara (المعصرة/ طاحونة زيت) almenara (المناهر/قنوات المياه الفائضة)

atarjea (التريحه/الريَّاح/ مصرف صغير) azud (السد/ عجلات المياه) norias (النكاره/عجلات الري) بواسطة arcaduzes (الكداس/ دلائهم) الأثرية.

وانعطفنا عند zubia (شوشابة/ قناة صغيرة)؛ و تركنا طريق النهر وعبرنا almunia (المنايا/ المزارع) المليئة azahares (الزهر/ براعم) البرتقال والليمون; ثم توقفنا للحديث مع arriero الى (هرر/[تعبير يستخدمه العرب لحث الجمال فصاعدا]) يقصد راعي يقود البغل التي كانت تحمل atramuz (الترمس/ حبوب الترمس) فى alforias (الجراب/ حقائب توضع على ظهور الحيوانات لحمل الأشياء).

ليس بعيدا عن ميدان azahares (أزهار) مررنا على مخيم الغجر aduar (الدوار) ثم توقفت مسيرتنا عند alquería (القرية/ المزرعة) لزيارة rabadan (رئيس الرعاة).

وحيانا بنفس دفء وعلى منوال أسلافه العرب. و بينما نتحدث سمعت بالقرب من josa (هشهشه/حديقة غيرمسورة) أصوات zorzales (الزرزور)يغني؛ وبعيدًا عنه بمسافة لمحنا zagales (الشباب الرعاة) خلال rehala (رحلة/ رحلتهم لرعي الغنم). وكما كنا نستمع لزقزقة العصافير استمعنا للالحان الحزينة من abogues (البوق/المزامير) التي يعزفها شباب الرعاة.

قام مضيفنا بعقد argolla (الجول/ حلقة حديدية للأغنام) بيد, و alicates (اللقات/ حليقات) بيد أخرى فيما يبدو لبدء العمل. و مع ذلك, ظل محتفظا بضيافة العرب حيث أخذنا إلى منزله و عرض علينا من zaque (زق/ وعاء جلدي) alcoholic (الكحول) شراب مقطر لا يزال في alambique (الإنبيق). ولكننا رفضنا عرضه الكريم وودعناه. بينما بقي يردد أكثر من مرة:

Ya sabe que ha tomado posesión de su casa (البيت بيتك) كما يقول العرب.

وبعد أن تركنا منزل كبير الرعاة مررنا على مساحة منزرعة من الأرض مشبعة بـ álcalí (القلوية) ثم قاد بنا مضيفي الشاحنة بجوار أطلال alcázar (القصر) قبل ان نصل الى aldea (الضيعة).

ونحن فى طريقنا عبر الشوارع الضيقة, لاحظنا ان هناك العديد من الاشخاص jayáns (حيان/ صوتهم أجش) و الذين بدوا gandul (غندور/ يتسكعون).

بالقرب من مستودع arsenal (دارسينا النقدي) فى نهاية المدينة, سرنا على arrecife (الرصيف/ طريق معبد) خلال حقل daza (الداقوش/ العشب) وفي طريق العودة, ناقشنا مع مضيفنا حول مساهمات العربية باللغة الإسبانية. تحدثنا عن الكثير من هذه الكلمات المقترضة, وتريثنا عندما وصلنا لكلمة álgebra (الجبر) almanaque (المناخ/ بمعنى نتيجة) alquimia (خيمياء/ كيمياء), cifra (صفر)elixir (اكسير) guarismo (خوارزمي/ شفرة) و ojiva (القوس/ الشكل المقوس الحاد)

وكل هذه الكلمات العربية التي جاءت إلى الإسبانية, بشكل أو بآخر, دخلت في لغات أوروبية عديدة أخرى.

لقد كنا منهمكين في الحديث للغاية فلم نلحظ حلول الظلام, وبدأت النجوم في الظهور aldebarán(الدبران), algabar(الجبار), algol (الغول),betelgeuse (بيت الجوزاء), mizar (الميزار).

قدنا في جو بارد تحت هذه النجوم الغير مرقمة و التي تحمل أسماءً عربية, ناقشنا كلمة auge (عوْج) acimut(الصامت) nadir (نادر) nazir (نظير) و هي بعض المصطلحات المتعلقة بالسماء, المستمدة من اللغة العربية.

انقضت الأميال سريعًا, لنصل لمنزل مضيفنا و ننال قسطًا من الراحة, حيث قُدِّم النبيذ لنا من garrafa (الدورق/ الغرافة). و بعد فترة من الراحة أخذنا مضيفنا إلى السينما, كنا نشعر بالإثارة المشاهدة الفيلم الذي يحكي قصة من قصص الحروب المغربية-الأسبانية.

بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام دخلنا السينما, المبنية على الطراز mudéjar (مداجن/ المسلمين الأسبان الذين كانوا يعيشون تحت الحكم المسيحي)

شاهدنا في الفيلم الموريسكيين في alcazaha في (القصبة/ الحصن). و alcaide (القائد) منتظرا في قاعدته العسكري alarde (العرض) أي استعراض جنوده الذين كانوا مسلحين بالكامل مع adargas (الدرقة/الدروع الجلدية) alfanjes (الخنجر)و azagayas (الزجايا/ الرماح الخفيفة).

وقد أبلغه alférez (الفارس) في atalaya (طاطليا/برج المراقبة) أن البحرية الإسبانية مع العديد من zabras (زوارق/الفرقاطات) بقيادة almirante (الأمير) المعروف تقوم بإعداد rebato (رباط/ شن هجوم مفاجئ) لغزو مدينتهم.

وقد كانت خطة القائد الإستراتيجية : انه عين adalid (الدليل) لاختيار مجموعة من أفضل الجنود و إخفائها في الجبال المحيطة في انتظار الهجوم الاسباني عندما ينتشر رجاله, لتجميع مجموعة قليلة من almogávares (المغاوير/ الكوماندوز/ المهاجمين) من Mozarabes (المستعربين/ المسيحيين الذين يعيشون تحت الحكم العربي) الذين يشكلوا zaga (سكاه/ خلفية) جيشه.

وبعد ذلك يستطيع إحراز تقدم في اتجاه العدو بتهيئة algarada (الغارة/الضجة) قبل أن يرتدّوا إلى القلعة. وعندها يحاصر قلعة الأسبان مع algaras (الجهارة/ المهاجمون) وجنود المشاة, بواسطة الأدلاء لمهاجمتهم من الخلف بينما المدافعين عن القلعة والذين كانوا مختبئين في adarves (الدرب/ خلف المتاريس) وعندما بدأ هطول المطر down ذهبوا جميعا وفقا للخطة. وانتهى الفيلم برسول أمام califa (الخليفة) في قرطبة معلنا بفخر Albricias (بشارة).

في صباح اليوم التالي قبل أن نودع مضيفنا, زرنا شقيقته المريض في مستشفى قريب للوصول إلى غرفتها كنا مضطرين إلى المرور بكلمات alferecía (الصرع) و zaratán (السرطان).

وفي طريقنا حيى مضيفنا العديد من المرضى قائلًا: Dios le ayude المأخوذة من العربية (الله يساعدك) و أجاب كثيرون: Vaya por Dios (هذه إرادة الله).

عندما وصلنا إلى غرفة شقيقته وجدنا أنها مستعدة للمغادرة. وقد وجد الطبيب بأنها لا تعاني إلا zaqueca(الشقيقة/الصداع النصفي).

افترقنا أمام المستشفى, وطلب منا مضيفنا السخي زيارته مرة أخرى. و أجبنا جميعًا:

quiere Si (إن شاء الله!).

وبهذه الكلمات الإسبانية المأخوذة من العربية انتهت رحلتنا الخيالية للأندلس.

إن المفردات المستخدمة في رحلتنا الخيالية تعطي فكرة عن الإسهام الهائل الذي قامت به العربية في الإسبانية. هناك المئات من الكلمات العربية التي أصبحت جزء متكامل من اللغة الإسبانية, ولكنها تشكل جزء صغير من التراث العربي وعلى الرغم من أن بعض هذه الكلمات إلى حد ما عفا عليها الزمن الحديث فإن غيرها أصبحن مرادفات راسخة في اللغة لا بديل عنها.

قاموس طويل من الكلمات العربية ساهمت بالإسبانية إضافة إلى الصفات والأسماء, مثل:

(الأصلع-بتولي)bald§ o (أنيق-غاري) garrido (مجانا- هرر) horro (مظهرية- شريف)jarifo

(البؤساء – مسكين)mezquino (منخفض أو حقير- رخي)rahez (البرية - صحراء)zahareÁo

وهناك أفعال مثل: acicalar (لتزيين- الثقال) , aleve اليف (السايب) halagar (تطورًا و بمعدلات – خلاقًا). وعلاوة على ذلك, تحتوى الإسبانية على العديد من الكلمات الغيرعربية والتي تحمل معنى باللغة العربية. هذه الأمثلة القليلة تعطى فكرة عن هذا النوع من اللغة.

Aceros: مما يعنى الطاقة و القوة, وترجمة عربية من كلمة hiddah (الحِدّة),

poridad وهو ما يعنى كل النقاء والصداقة من (خالصة)

vergüenza مما يعنى كل الشرف نفس معناها باللغة العربية.

هذه وغيرها من المعربات Arabisms تترجم وتشير إلى معنى الكلمات العربية التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من اللغة الإسبانية.

بيد أن هذه الكلمات لا تشكل سوى جزء صغيرمن الإرث العربي. الكلمات العربية نفسها بالإسبانية هي المقياس الحقيقي لتأثير العربية في جميع مجالات حياة الإنسان بما يعطينا فكرة عن تأثير العرب إسبانيا و تأثيرهم على بقية أوروبا عن طريق إسبانيا.

التعبيرات الاصطلاحية في الهندسة المعمارية, و الزراعة, الفن و علم الفلك والتجارة و الجغرافيا , والصناعة (بما في ذلك التسلح و صناعة الأقمشة و الزجاج, وصناعة الجلود, والبتروكيمياويات و الحرير, الخ), والأدب, والرياضيات والميكانيكا والأدوية و الموسيقى والفيزياء.

ومما لا شك فيه إن تأثير العربية إسبانيا جعلها من الدول الرائدة في أوروبا منذ قرون عديدة. في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تعيش في الجاهلية, كانت إسبانيا شكل حجر الزاوية في المعرفة.

كثيرمن الكتاب مسلمون وغربيون وضعوا أعمالهم في تلك الفترة الساطعة التي تشهد على هذه الحقيقة. ولعل هذا لا يمكن اختزاله في تعبير أفضل من تعبير جوستاف لوبون المفكر الفرنسي الحر حيث قال:

"لو أن موسى بن نصير استطاع غزو أوروبا, لجعلها مسلمة, ولحفظها من ظلام العصر الوسطى التي بفضل العرب إسبانيا لم تعرفها".

*[1] لاحظت أثناء الترجمة أن الباحث خلط بين بعض الكلمات الإسـبانية المأخوذة من العربية, و الأخرى المأخوذة من الجرمانية / و الأمازيغية, حيث أن الفصل بين تينك المترادفات يصعب إلا على المتتبع لأصول اللغات و اللهجات و بالبحث تبين لنا على سبيل المثال:

أن كلمة مدريد المأخوذة من كلمة مجريط, هي كلمة قوطية وليست عربية, و كذا كلمة قرطبة المأخوذة من كوردوبا.

و كلمة تازا, لا تعني طاسة/ أو فناجين, إنما هي كلمة أمازيغية قديمة, تعني كأس الماء أو عين الماء العذب

ووادي الأبيض التي ترجمها الباحث هكذا صوابها وادي البيار "جمع بير" وكذا كلمة مرسية ليست ترجمة لكلمة مصرية, بل هي اسم قوطي للمدينة مثل مدينة بلنسية, وهكذا..

*[2] السفرجل, ليست بالعربية بل هي كلمة قوطية الأصل تعني نبات السفرجل.

المصدر:

http://www.alhewar.net/Basket/Habeeb_Salloum_Spanish_Language.htm

التعدد اللغوي كمعضلة ثقافية وسط المجتمعات الأفريقية

ترجمة :منجد باخوس

بقلم: نونقيلا ماسيليلا.*

يشكل سؤال اللغات الأفريقية أكثر القضايا المركزية التي تحتل طليعة الدراسات الثقافية وعلم السياسة الثقافي ، اللسانيات وعلم اللغة التطبيقي ، وبشكل ما تكمن الأهمية الكبرى لسؤال اللغة في كيفية اختيار مجتمع ما في القارة الأفريقية لغته القومية في ظل التعدد اللغوي و التباين الثقافي الساحق في القارة السمراء بديهيًا جدًا ،إن أفريقيا أكثر قارة في العالم تمتلك زخمًا ثقافيًا متميزًا ، فمثلاً في نيجيريا وحدها ما يقارب المائتان وثمانية وأربعون(248) لغة تتحدث بها المجتمعات النيجيرية !

ويختلف انتشار اللغات وعدد المتحدثين بها ، فبعض اللغات يتحدثها الملايين منذ العصور القديمة وصولاً لفترات ما بعد الاستعمار الأوروبي لإفريقيا ، فمثلاً نجد السواحلي في شرق أفريقيا ولغة الهوسا والفولاني بشكل واسع وسط المجتمعات في غرب أفريقيا ، إذ تستخدمها مجموعات ثقافية واسعة كلغة تواصل مشتركة في ظل التباين اللغوي الذي يشكل السمة الأساسية في تلك الأحزمة الجغرافية ، أرى أن بعض هذه اللغات السائدة - كظاهرة تاريخية في وسط المجتمعات الأفريقية - ساهمت بشكل رئيسي في تقليل التعقيدات المرتبطة دائماً باختيار اللغات القومية وسط تلك المجتمعات ، لكن على الرغم من ذلك تظل قضية اختيار اللغة القومية في أفريقيا أمراً بالغ التعقيد و الحساسية.

إذا هذا التعدد الثقافي والغنى اللغوي في أفريقيا استدعى سؤالاً مهمًا وسط الباحثين في علم اللغة واللسانيات فيما يتعلق بتصنيف هذه اللغات الإفريقية ، وقد كان هذا السؤال يمثل الاهتمام المركزي لعلماء اللغة الأوروبيين أثناء فترة العهد الاستعماري. أما اليوم ؛ ومنذ استقلال المجتمعات الإفريقية من لعنة الاستعمار؛أصبح السؤال نفسه مهيمنًا على عقول واهتمام بعض اللغويين الأفارقة النابهين ، فمثلا المؤرخ الأفريقي العظيم جوزيف كي زيربو من بوركينا فاسو الذي يعيش في منافي ساحل العاج ؛ قد كتب بعض الأبحاث والأوراق المتميزة في هذا السياق بدايات العام1960م.

إن محاولات تصنيف اللغات الأفريقية قد قاد الباحثين إلى تحديد مجموعة من العائلات اللغوية ، فالمعايير الطبوغرافية لهذا التصنيف اعتمدت : وجود الأصوات وطبيعتها ، تراكيب الجمل ، المقاطع الأحادية ، النوع...الخ. ونجد أن عملية التصنيف هذه قد أنتجت المقاطع جديدة جداً، فالباحثين الألمانيين في اللغات الإفريقية في نهاية القرن التاسع عشر- ويسترمان ، مينهوف وفيرنر نموذجا- قد طرحوا

ثلاث عائلات لغوية أصيلة في أفريقيا : السودانية ،الحامية والبانتو ، أما مجموعة اللغات السامية فتقف في زاوية تماس بين هذه المجموعات.

لكل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث طبيعتها الخاصــة ،فمثلاً : مجموعة اللغات الســودانية تتميز بأنها أحادية المقطع ونغمية . مجموعة اللغات الحامية فنجدها متعددة المقاطع ، تمتلك حروف علة متحركة متعددة وهكذا .أما ما يســمى بمجموعات لغات البانتو ؛ فهي تتحرك في مســاحة بينية بين المجموعات المذكورة أعلاه.

على الرغم من أن هذه التصنيفات وثيقة الصلة بطبيعة تراكيب اللغات نفسها إلا أن عدد قليل من هذه اللغات في الحقيقة يظهر هذه السمات في التراكيب الداخلية الخالصة . هنالك أيضاً توليفات أخرى على ضــوء معايير تصــنيفية أخرى ، لكن هي ليســت مركز اهتمامنا هنا ، فنجد مثلاً اللغوي الأمريكي جوزيف جرينبيرج قد حدد ستة عشر (16) عائلة لغوية للغات الأفريقية.

نجد أيضــا أن الباحثين الأفارقة نفســهم قد حددوا عائلات لغوية ومجموعات مختلفة للغات الأفريقية ، فنجد :اللغات الأفرو – آسيوية ، نيجر-كونقو ، السودانوية ،مجموعة لغات الكليك.

تتكون مجموعة اللغات الافرو-آســيوية من المصــرية القديمة ، الســامية ، البربرية ،اللغات الكوشــية و التشــادية .أما اللغات التي تندرج تحت نيجر- كونقو فنجد : مانديقو ، كوا ، بامبارا ، وولوف ، إيجو ، أداماوا وآخرين. أما مجموعة اللغات الســودانوية فتتكون من مجموعة متباينة من اللغات التي تتموقع على امتداد حوض النيل من الســودان وصــولاً إلى مصــر. إذن للغات المندرجة تحت مجموعة الكليك فهي ما يســمى بعائلة لغات البانتو والتي تمتد من جنوب أفريقيا وحتى الزائير، أوغندا ، كينيا و مجموعة لغات الخواز.

إذن ؛ هذا التشكيل اللغوي والثقافي المتنوع في القارة الأفريقية إضافة للبنية المتمايزة التي تطغى على هذه اللغات ؛ هو عامل مركزي في التاريخ الثقافي لإفريقيا. هذه فقط التعقيدات اللغوية التي تبدو تحديًا كبيرًا فيما يخص بناء إيقاع ثقافي موحد و اختيار لغة قومية لمجتمع ما مليء بالتعدد الاثني والثقافي في أفريقيا.

بجانب هذه التعقيدات المتعلقة بالتعدد اللغوي ؛ هنالك عمليات ثقافية وتاريخية قدمت دور اللغة داخل قضــية الثقافة المعقدة ، فحتى الآن نحن نركز اهتمامنا في اللغات التي تشــكلت تاريخيًا بوســط أفريقيا ، لكن بمجرد تفكيرنا في لغات الشمال و الجنوب الأفريقي تواجهنا إشكاليات تاريخية مختلفة كليًا عن التي نعتقد، فمثلاً الأفريكانية في جنوب أفريقيا تكشــف لنا عن قضــية الإمبريالية الثقافية في تاريخ الثقافة الأفريقية . رغم ذلك ؛ وبما لا يدع مجالاً للشــك فإن الأفريكانية هي لغة أفريقية اليوم ، لكن في

ســياق تكوينها وتشــابكها وتداخلها مع اللغات الأفريقية الأخرى ، لكن يجب الإشــارة إلى أن وصــولها إلى المجتمعات الأفريقية كان عبارة عن عملية اختراق إمبريالي لأنها في الأســاس ليســت لغة أفريقية خالصــة ، وإنما تعود جذورها إلى اللغة الهولندية. أما اللغة العربية ؛ التي تتراجع ، ســاحق في شــمال أفريقيا ، فقد ســاعدت وســهلت عملية انتشــار الديانة الإســلامية في أوســاط المجتمعات الأفريقية ،لكن هنالك نقطة مهمة هنا ، وهي أن اللغة العربية نفســها قد تقهقرت بدرجة كبيرة ، مقارنة بهيمنتها الشــاســعة في الســابق على مجموعة كبيرة من اللغات المحلية الأفريقية خصــوصًــا في نطاق البلدان الإفريقية الســوداء. لكن الدين الإسـلامي نفسـه لم يتراجع ، بل واصـل في الانتشـار و الهيمنة على كل البلدان والمجتمعات الأفريقية على حد سواء.

إذًا ماذا نستنتج من هذه التجربة الخاصة عن البنية الثقافية للنظام الأفريقي؟

هـل البنيـة الثقـافيـة للنظـام الإفريقي تعكس مـدى قوتـه مقـارنـة ببنيتـه الفلســفيـة في مقـاومـة عمليـة الاختراقـات الخـارجيـة لأفريقيـا ؟ إذ يبـدو وكأن بنيـة النظـام الأفريقي الفلســفيـة قـد هُزمـت وتمـت الســيطرة عليها بالكامل من قبل المدرسة الأوروبية ابتداءً من المسيحية مرورًا بالماركسية !

ما هي العلاقة بين اللغة و بنيتها الفلسفية الأصيلة التي يفترض أن تلعب دور الناقل ؟!

دعني أقل هذا- استباقًا لأي سوء فهم قد يحدث - إن العرب أفارقة أيضًا، واللغة العربية نفسها اليوم هي لغة أفريقية، و الدين الإسلامي ربما هو أكثر الأديان انتشارًا وسط المجتمعات الأفريقية اليوم.

يبدو لي هنا: القضــية غاية في التعقيد بحيث تفتح نوافذ عديدة فيما يتعلق بعملية التأويل والتحليل فعلى ســبيل المثال: بالعودة إلى ســؤال اللغة الأفريكانية في جنوب أفريقيا اليوم ، ففي العام 1976 إذا رُفضــت اللغة الإفريكانية من قبل الأفارقة ، ونفترض أن الأدب الأفريقي قد كتب بهذه اللغة، هل يمكن اعتبار هذه اللغة لغة أفريقية؟! ما أعنيه هنا : ماذا نعني حقاً بما يسمى باللغات الأفريقية؟

لكن كما قلت مسبقًا أن هذه بطريقة ما مسـألة متشـابكة ومعقدة. اهتمامي الأسـاسـي هنا هو تسـليط الضوء على عملية تاريخية أثرت في البنية الثقافية للغات في أفريقيا أكثر من مناقشة الآثار السياسية التي نتجت عنها.

من الأشـياء المسـلم بها بشـكل عام هو أن اللغات : الإنجليزية ، الفرنسـية ،الإسـبانية والبرتغالية هي لغات أوروبية ، وانتشــار هذه اللغات في أفريقيا كان بســبب الاســتعمار الأوروبي لأفريقيا ،وعملية فرض هذه اللغات على أفريقيا تزامن مع تهميش الإرث الثقافي للمجتمعات المحلية وإحلال الأوروبي الإمبريالي محله ،بينما ببزوغ حركات التحرر الوطني و بداية الاســتقلال نجد أن هيمنة النموذج الأوروبي الاســتعماري قد

انحسر قليلًا ،لكن واصلت اللغات الأوروبية هيمنتها وزحفها بأفريقيا ،ومؤشر هذه الهيمنة المستمرة هو الأعداد الهائلة من المؤلفات والكتب التي تنتج اليوم في إفريقيا بهذه اللغات مقابل الأعداد الخجولة التي تنتج بها المؤلفات باللغات الأفريقية المحلية. ترى ما الذي يفسر هذه المعضلة الثقافية الغامضة وسط المجتمعات الأفريقية ؟ فهيمنة اللغات الأوروبية في أدبنا الأفريقي تمتد من وول سوينكا بنيجيريا حتى نور الدين فرح بالصومال ،من ماريو دي أندرادي في أنقولا حتى ليبولد سيدار سنقور بالسنغال . وبشكل خاص في بعض البلدان الأفريقية هذا النموذج يكرر نفسه فمثلًا :في جنوب أفريقيا فإن كتابات إيزيكيل مهاليلي المكتوبة بالإنجليزية تكسب شهرة ساحقة بينما الملاحم الشعرية لمازيسي كونيني بلغة الزولو لا تجد أي اهتمام يذكر.

من وجهة نظري ؛ فإن هذا الافتتان باللغات الأوروبية يقتصر على القطاع الفكري والنخبوي في السياسية. ،إذ أن غالبية الأفارقة لم تطلهم هذه المكنسة الأوروبية الإمبريالية لذلك يواصلون حياتهم و ممارسة ثقافاتهم ولغاتهم الأصلية محافظين على وجودهم الثقافي ، إذًا فالمسألة مرتبطة بطبقة بعينها ،تحديدًا الطبقة الحاكمة وطبقة المفكرين البرجوازيين البائسين. إن مشكلة هيمنة اللغات الأوروبية على اللغات الأفريقية هي قضية ثقافية بقدرما هي مشكلة سياسية .

نغوغي واثينغو في كينيا واحد من الكتاب القلائل الذي يحاول الخروج من هذه الدائرة الإمبريالية الشريرة ،وتكمن أهمية هذا الكاتب في التاريخ الثقافي لأفريقيا سيناقش لاحقًا.

رغم أنه ، وبما لا يدع مجالا للشك :أن اللغات الأوروبية في أفريقيا هي جزء من عملية التطفل الإمبريالي لكن نجد أنها تلعب دور العمود الفقري في توحيد أقاليم أفريقية قومية متباينة عديدة ،وذلك لأن هذه اللغات اكتسبت صفة لغات التواصل المشتركة في دول عديدة ،وهذا هو اللغز الحقيقي لهذه اللغات في التاريخ الثقافي الأفريقي . فهذه اللغات في الحقيقة هي أسلحة سياسية للوحدة فيما بيننا وأيضًا هي أدوات ثقافية للسيطرة علينا في نفس الوقت.

من جهة أخرى ، ما يعمق المأساة هو وضوح أنه لمن المستحيل على بلدان أفريقية عديدة اختيار لغة أصيلة كلغة قومية وسط التعدد الاثني واللغوي الموجود ، وذلك يعود- في تقديري- إلى الخوف الكامن من اشتعال حرب أهلية بين المجتمعات المحلية في حال اختيار لغة بعينها دون الأخرى الأمر الذي قد يفسر على أنه تمييز ثقافي من قبل المجموعات الأخرى ، ونيجيريا هي المثال الكلاسيكي لهذه لنقطة ،كل ذلك يقود لنتيجة حتمية واحدة ؛وهي أن السياسة والثقافة ساهمتا بشكل قاطع في عملية تشويش التعامل مع قضية اللغات في أفريقيا.

هنالك شـيء واحد يبدو واضـحًا خلال كل هذه التعقيدات ،وهو أن ثبات هيمنة اللغات الأوروبية أحدث تأثير ضار بالبنية الثقافية لأفريقيا ، "قد يكون بسبب غياب نظام فلسفي أفريقي أصيل في الوقت الحاضر قد أدى إلى اســتخدامنا للغات أجنبية في أنماط تفكيرنا و العمليات الإجرائية المنطقية" ما هي العلاقة يا ترى ما بين اللغة والفلسـفة ؟! هل هنالك شـك في أن عبقرية وول ســوينكا ســاهمت في إثراء عظمة اللغة الإنجليزية ،لغة اليوربا- لغة سوينكا الأم- ببطء تصاب بالضمور وربما الموت بسبب سوء التغذية .

ما الذي علينا فعله ؟!

هل المســار الذي شــقه نغوغي واثينغو هو المخرج الوحيد من المشــكلة التي نحن الأفارقة وجدنا أنفســنا متورطين فيها؟

إن أفكار و أفعال نغوغي واثينغو فيما يخص مســألة اللغة قد أحدثت تحول جذري في الســنين الفائتة ، فنغوغي واثينغو قد بدأ مشــروعه الإبداعي الذي يتكون من الرواية ،القصــة القصــيرة ،مقالات في النقد الأدبي والأعمال الدرامية ، باللغة الإنجليزية. ففي أواخر الخمســينيات وبداية الســتينيات آمن نغوغي واثينغو بأهمية كتابة الأعمال الأدبية باللغة الإنجليزية كخيار طبيعي ،ليدرك فيما بعد أن هذه الفكرة تم فرضـها في ظروف تاريخية معينة. هذه الأفكار الخاطئة لم تكن مقتصـرة على واثينغو فقط ،بل اكتسحت كل الكتاب الأفارقة الكبار، فنجد :من نيجيريا تشــينوا أشــيبي ووول ســوينكا- حائزان على نوبل - ومن ملاوي جون بيبر كلارك ،غابريال أوكارا ،ومن ســيراليون ديفيد روباديري ،ومن كينيا لينري بيترز ووتثينغو وجريس أوغوت ومن جنوب أفريقيا لويس نكوزي و إيزيكيل ماهيليلي و بلوك ماديسون.

لقد ذكرت هذه الأسـماء بقصـد ،لأن هؤلاء الكتاب نفسـهم الذين اجتمعوا في كمبالا في العام 1963م فيما ســمي بمؤتمر الكتاب الأفارقة باللغة بالإنجليزية هؤلاء الكتاب اجتمعوا ليؤكدوا الأهمية الثقافية للكتابة باللغة الإنجليزية في أفريقيا ، واثينغو كان ضمن هذه الكوكبة من الكتاب. أوبي والي الناقد الأدبي النيجيري رفض الفكرة الكلية للمؤتمر ،و دافع عن فكرة أن الكتاب الأفارقة يجب أن يكتبوا بلغات أفريقية وليس بلغات أوروبية ، لكن هؤلاء الكتاب قابلوا والي بســخرية لاذعة وصــبوا جام غضــبهم عليه ،وليثبت والي مواقفه و قناعاته كتب فيما بعد رواية ضخمة بلغة الإيبو.

نغوغي واثينغو في أعماله النقدية الأخيرة ومذكرات السـجن،(كُتاب في الســياســة ،فوهة قلم ومعتقل) قد أشار إلى الأهمية التاريخية للمؤتمر في سياق الضياع الكامل الذي عاناه جيل الكتاب بأكمله . وأيضًا شمل نفســه وســط هؤلاء الذين كانوا مغيبين تحت أوهام الكولونيالية الجديدة في فترة مؤتمر كمبالا. ربما السـبب الأسـاسـي الذي جعل واثينغو وحده دون غيره من الكتاب في اكتشـاف خطأ الإصرار على المواصلة في الكتابة بلغة أوروبية ربما الســياق الكيني نفســه ،ففي كينيا أكثر من أي بلد أفريقي آخر نجد أن الثقافة

الاستعمارية -البيضاء كانت أقوى من أي قطر آخر. كان بسبب المواجهة العنيفة مع هذه الثقافة في كينيا التي تم تحليلها بعبقرية فذة في "المعتقل" ، بجانب قناعاته الماركسية التي جعلته يعود إلى جذوره الثقافية ، للغته الأم/ كيكوي ، من ثم للثقافة الكينية.

رغم المسار التاريخي الذي فتحه واثينغو كوسيلة لحل إشكالية الاغتراب اللغوي وسط النخبة والإنتلجينسيا الأفريقية ،إلا أنه بنفس القدر يفتح بابًا شاسعًا فيما يخص تقييم التاريخ الأفريقي-هنا نستخدم السياق الثقافي الكيني على وجه الخصوص لتمثيل الإشكاليات الثقافية الحرجة التي تواجهها القارة الإفريقية- ،في ظل التباين اللغوي هنا وهناك ،إذا كتب كتاب مختلفين منتمين لمجموعات ثقافية مختلفة ولغات مختلفة داخل كينيا ،كيف يمكن لهذه الأعمال المكتوبة بلغات مختلفة أن تجتمع لتشكل في النهاية الأدب القومي لكينيا؟!

لنذهب أكثر، كيف لهذه الآداب أن تجتمع لتشكل الثقافة القومية الكينية نفسها؟!

ما الذي نعنيه بالثقافة القومية!

لنذهب أبعد قليلًا :كيف لهذه الآداب الكينية تشكيل أرضية بنائية للأدب الكيني القومي وتشكيل وعي سياسي متفرد بأوساط الجماهير الكينية ؟

هذه بعض القضايا التي طفت للسطح عندما تتبعنا المنطق الثقافي التصحيحي التاريخي الذي كشفه لنا نغوغي واثينغو.

هذه الأسئلة بأي حال لا تبطل صحة و براعة الطريق الذي سلكه واثينغو ، فوعي واثينغو بقضية أن تكتب أدب أفريقي بلغة أفريقية و الأخذ بعاتقه المبادرة بحلها لا شك فيه مطلقًا ،ويثبت عبقرية واثينغو تمامًا. على الرغم من ذلك ،السؤال التاريخي والثقافي يجب أن يوجه إلى واثينغو نفسه : ألم يكن من الأفضل تاريخيًا ومدهش ثقافيًا إذا كتب الأدب القومي الكيني باللغة السواحيلية التي أصبحت في السنوات الأخيرة هي اللغة الرسمية في الدولة أكثر من لغات الإثنيات الكينية الأخرى ؟ وهل صحيح أن هناك مسبقًا أدب حي و قوي مكتوب باللغة السواحيلية في كينيا ؟

لا بد أن تكون المسألة واضحة ، فسؤالنا الموجه إلى واثينغو فيما يخص كتابة الأدب الكيني باللغة السواحيلية بدلًا عن كيكويو ،أو كيكامبا أو ماساي لا يحل مسألة التعقيدات الموجودة في قضية اللغات في أفريقيا.

لاوول سوينكا في رده على نفس السؤال الذي طرحناه لواثينغو ،نادى – سوينكا- بوجوب تبني اللغة السواحيلية كلغة التواصل في القارة الأفريقية كلها.

واثينغو قد يحاجج بأن كتابة الأدب ليســت فقط مســألة اللغة التي يجب على المرء الكتابة بها ،وإنما التقنيات أيضًـا بحيث تسـمح بفتح الأفق وتفجير الطاقات الكامنة على مسـتوى الأخيلة ،فهنا يرى واثينغو أنه لمن الأســهل كتابة أدب أفريقي بلغاتنا الأم أفضــل من أن نكتب بلغات أخرى متبناة ، وهذه تذهب لما وراء مفهوم الهيمنة. أرى هنا أيضًا أن اعتقاد واثينغو امتاز بصحة عالية.

لا أريد أن أختم هذه الملاحظات بنهايات مفتوحة ،وهنا أريد أن أؤكد أنه نعم علينا كتابة الأدب الإفريقي بلغات أفريقية متعددة ،لكن السؤال المركزي و الأهم هو ما هي اللغات التي يجب علينا الكتابة بها ؟!

وما هو المنطق الثقافي والتاريخي ، على ســبيل المثال ، نيجيريا نموذجًا :هل على الكتاب النيجيريين الكتابة بكل اللغات النيجيرية الأساسية: ايبو،يربو،هوسا واللغات الأخرى !

أم سـيكون من الأفضـل كتابة الأدب القومي النيجيري بلغة الهوســا فقط ، التي تعتبر هي لغة التواصـل المشتركة لنطاق شاسع بغرب أفريقيا !

لكن هل هذا الخيار يمكن أن يقود المجتمع النيجيري لحرب شعواء و مقاومة عنيفة بين الاثنيات المختلفة ؟!

هذه واحدة من أشرس الأسئلة والتحديات التي تواجهنا نحن الأفارقة عندما نطرح فكرة تبني لغة أفريقية ما دون الأخرى كلغة رسـمية داخل القارة الإفريقية ، والأمر يبدو عسـيرًا في أفريقيا مقارنة بأوروبا ،نسـبة للتعدد الثقافي واللغوي في كل الأدغال والجغرافيات الأفريقية ،لكن رغم ذلك-أؤمن بقوة-أنها ليســت تحديًا إعجازيًا بأي حال...لذا وجب علينا مزيدًا من التفكير.

- أستاذ الدراسات الإبداعية ، جامعة بيتزر، الولايات المتحدة الأمريكية.

حوارات خاصة

حوار مع الدكتور أسامة أبو طالب حول اللغة العربية

حوار: عبير عواد

كان موحيًا, أن يكون لقائي مع دكتور أسامة أبو طالب بندوة شعرية باتحاد كتاب مصر لمناقشة ديوان يجمع مختارات شعرية لواحد من شعراء الإسكندرية المعروفين ..
هي ليلة من ليالي الأربعاء الشعرية التي اعتاد السادة الأفاضل أعضاء الاتحاد و مسئولي شعبة الفصحى به على إقامتها كل أسبوع ، حيث يستضيفون الشعراء من محافظات مصر ، و البلاد العربية ليتشاركون جميعًا في تبادل مختاراتهم الشعرية, و يتبادلون المناقشات النقدية و الفنون الأدبية المختلفة سواء للشعر (فصحى/ عامية) أو السرد القصصي, و الروائي..
ربما بمثل هذا التصميم من القائمين على شعبة الفصحى في الاتحاد, و تلك المثابرة و الحرص على اللقاء بين الشعراء و النقاد و المهتمين بالحياة الأدبية على تنوع و اختلاف توجهاتهم الأدبية و عطاءاتهم الفكرية, تبقى مسيرة الحياة الأدبية في طريقها بما تضخه تلك اللقاءات وقودًا لها..
بلا صخب إعلامي زائف أو بريق يخطف الأضواء, و يسلب العقول بلا تقديم قيمة حقيقية.
أما الأكثر إيحاءً فكان ما تطرق إليه الدكتور أسامة بمعرض حديثه عن ثراء اللغة العربية فقال:
" مهما تعددت الدراسات اللغوية ستبقى اللغة كعطية إلهية, إنها تتطور و تتمحور و تتباين و تتوالد وتنمو و تتجدد, فهي كما وصفها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين كائنً حيّ "
بين الحديث عن المسرح, و المسرحية الشعرية بين صلاح عبد الصبور, و عبد الرحمن الشرقاوي, و الحديث عن الفنون الشعرية المختلفة بين شعر الومضة, و السرد الشعري, بين الفراهيدي و بودلير و السياب و إليوت و أدونيس و جاهين, و فلسفة أرسطو و أفكار بريخت..
بين قراءة شعرية و نقدية و تحليلية لما يكتبه الشاعر و يسكبه من روحه بين شطور و أبيات..
مضت سويعات قليلة, و لكنها ثرية و غنية بما طُرِحَ فيها.
و ختامها مِسّك..
حوار سريع و موجز و عميق مع الدكتور أسامة بشأن لغتنا العربية احتفاءً بيومها العالمي 18 ديسمبر الحالي.

*** هناك ارتباط ملحوظ بين قوة المجتمع الفكرية و اقتصاده الصناعي و تطور اللغة, فهل تعتقد أن ضعف اللغة دليل على ضعف الأمة؟!**

- ليس شـرطًا أن يؤخذ الحكم بشكل جازم ونهائي, ولكنه مؤشـر على هبوط فكري, وحالة تردّي ثقافي ، فعندما تهمل الأمة لغتها معنى هذا أنها تدفن تاريخها وعقول مفكريها وإبداعاتهم, وبالتالي تضـمحل مع الوقت..

ففي العصر المملوكي على سبيل المثال ولأنه كان عصرًا ضعيفا تبارى الشعراء في إنشاد القصائد الركيكة التي لا تعتمد إلا على المحسـنات اللفظية, ولا تحمل قيمة فكرية, وكتابة القصـائد التي تقرأ من البداية كما تقرأ من النهاية, أو التي تعبر عن أرقام أو تدل على رسائل متبادلة, فعصور الضعف هي التي تستشري بها الركاكة اللفظية, والركاكة اللغوية.. بينما ازدهار اللغة أثر لازدهار الأمة, مرتبط بعقل الأمة, ومرتبط أيضًا مع مظاهر ازدهارها المختلفة علميًا, وفكريًا, واقتصاديًا فجميعهم منظومة واحدة مترابطة.

* هل تعاني اللغة العربية من الجمود؟ بما أدى إلى عدم تطورها لمواكبة مقتضيات العصر الحالي؟

- العربية لا تعاني من الجمود, بل هي تتجدد وتتطور باستمرار ودائمًا؛ إنما هي تعاني من سطوة العاميات والدعوة إلى تسيد العامية بمقابل الفصحى هي ظاهرة شعوبية ومحلية تفتت العقل العربي.

فالشـعوب العربية تحديدًا تتميز بما لا يتوافر للشـعوب الأوروبية, التي نجحت في تجسـيد حلم أوروبا الموحدة, فالدعوة لوحدة أوروبا التي نادى بها نخبة المفكرين والأدباء القرن الماضـي, وقبل تحقيق هذا فعليا, نذكر منهم الشاعر الإنجليزي الشهيرت. س. إليوت عندما أطلق دعواه إلى عقل أوروبا الموحد The Mind of Europe؛ رغم اختلافات الأوروبيين ومشـاحناتهم وحروبهم الطويلة التي خاضـوها القرون الماضية, ورغم أنهم لا يجمعهم جنس واحد أو لغة واحدة إنما أجناس, ولغات مختلفة, تم تحقيق الوحدة اقتصاديا فأصبحت لهم عملة موحدة, كما نجحوا إلى حد كبير في تحقيق وحدة ثقافية.

بينما الأمة العربية التي يجمعها عقل موحد, وأديان سـماوية واحدة, ولسـان واحد هو اللسـان العربي, و تاريخ واحد, وميراث ثقافي واحد, ومع هذا فهي مفككة بما يهدد اللغة, إن المناداة باسـتبدال الحروف العربية بالحروف الإنجليزية هو خطر على الأمة وعلى لغتها, ويتضـح هذا جليا فيما يقوم به أبناء هذا الجيل من اسـتبدال الحروف العربية بالحروف الإنجليزية وكتابة الكلمات العربية بها, ومما هو جدير بالذكر أنه في السبعينات قام بعض الشعراء اللبنانيون بالدعوة إلى استبدال الحروف العربية باللاتينية, كما فعلت تركيا عندما قام كمال أتاتورك باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية, وضاع على إثر هذا كل الأدب التركي القديم المكتوب بالحروف العربية, ولم تقرأه الأجيال الجديدة التي لا تعرف العربية.. فما نادى به أتاتورك من علمانية الدولة لم يكن علمانية الفكر العقلي, بل كانت بمثابة اجتراء على الدين واجتراء على اللغة, وإهانة لكليهما.

وأكد الدكتور أسـامة على أن وجود ألفاظ أجنبية في اللغة العربية بحد ذاته ليس خطيرًا, لكن خطورته تكمن في تحويل الجيل الجديد الكلمات الأجنبية إلى اشتقاقات عربية كما يحدث الآن مثل:

فعل "يِشَيّر" المشتق من فعل Share بالإنجليزية أي "يشارك" وغير ذلك من الكلمات.

كما أوضح الفارق بين هذا وبين تعريب الكلمات بواسطة مجمع اللغة العربية بكلمات تتوافق مع المعنى و تكون عصرية و ملائمة و ضرب مثالا بكلمتي "برنامج" وهي تعريب الكلمة الإنجليزية Program وكلمة "التقنية" أي Technology وقارن بين تلك التعريبات الجيدة و الناجحة وتعريبات الماضي التي كانت بكلمات غريبة أو مضحكة مثل: تعريب Sandwich إلى "شاطر و مشطور وبينهما طازج".

واختتم إجابته بالتأكيد على إن اللغة العربية لغة غنية, بل من أغنى اللغات في العالم بمفرداتها, و أنها قادرة على التجدد و التجدد دائمًا.

* قد يجد البعض أن إهمال تعليم اللغة العربية وتركها كلغة اللسان دون الاهتمام بها في السلم التعليمي أثّر على أدائها.. فهل تجد ذلك سببًا كافيا لتراجع اللغة؟

- بالطبع إن إهمال تعليم اللغة العربية أحد الأسباب خاصة مع هبوط المناهج وطرق التدريس بما يشكل خطرًا على اللغة العربية. و إن لم يكن وحده؛ فهناك جريمة تُرتَكب في حق اللغة العربية من الإعلام, عندما يقدم البعض على سبيل المثال نشرات الأخبار بلغة أقرب إلى العامية, دعينا نقول, عندما يحدث هذا في مصر فإنه يشجع الدول العربية الشقيقة باتخاذ نفس الخطوات بتقديم نشرات الأخبار و البرامج بلهجاتها العامية, فمثلا نحن لا نفهم العامية الجزائرية فيتم أحيانًا إضافة sous-titre "شريط ترجمة" ليوضح ما يقال بالعامية الجزائرية. و الحل هو استبدال العامية بالفصحى البسيطة التي يستطيع الجميع فهمها.

إن الدعوات الشعوبية باستعمال العامية تشقق وحدة اللغة و الثقافة المشتركة, فشعوبنا العربية لها ثقافات عريقة موحدة اللغة, و إذا سادت اللهجات العامية فهذا يعني افتقاد الفهم بين تلك الشعوب, فعلى الصعيد الأدبي على سبيل المثال لن يستطيع المصري قراءة ما يكتبه المغربي أو الجزائري اللذان لن يفهما بالتبعية ما يكتبه الإماراتي و السعودي وهكذا يفقد الأدب العربي جزءًا من هويته التي تشتت بين اللهجات العامية المختلفة لكل شعب على حدة.

* على صعيد آخر و من منطلق موقعك المهني كأستاذ جامعي و من خلال تعاملك مع طلاب الجامعة من أجيال مختلفة؛ هل ترى أنهم يفضلون الدراسة بالإنجليزية عوضًا عن العربية؟ وهل تحبذ تعريب التعليم الجامعي كما حدث في بعض البلاد العربية؟

- لا نستطيع أن نعمم هذا بين كل طلاب الجامعة فالأمر يتعلق بالكثير من العوامل أهمها التفوق العلمي و المهارات الفردية و البيئة التي ينشأ بها الطالب, وكذا المستوى التعليمي الذي عليه الطالب في التعليم قبل الجامعي؛ و في هذا السياق علينا ألا نتناسى تأثير تحويل مسار التعليم في بلادنا بعد تجربة حسين كامل بهاء الدين عندما كان وزيرًا للتعليم, و التي تعد بمثابة مؤامرة على التعليم الوطني, فالتحول للتعليم الخاص ساهم في افشال العملية التعليمية, و أثّر سلبيا على تدريس اللغة العربية. فبينما كان بمثابة العار أن يكون لدى الأسرة طالب بالتعليم الخاص, أو طالب يستعين بالدروس الخصوصية, أصبح أمرًا طبيعيا

الآن أن يدرس الأبناء في تلك المدارس الخاصة والاستثمارية والتي في أفضل الأحوال لغتها الأولى هي الإنجليزية, ولاتهتم بتدريس العربية, كما أن تدريس التربية الدينية بطرق وقوالب رديئة تنفر الطلاب من المادة التربية الدينية مما يشكل أحد أسباب ضعف اللغة العربية. وكذلك المواد الاجتماعية "والتي يُطلق عليها الآن الدراسات" والمكتوبة بالعربية, فينفصل الطالب عن تاريخه الوطني وعن لغته وقوميته, وذكر جانبًا من تجربته الشخصية مع ابنته والتي كانت تدرس بنظام الـــ IG Cambridge وبالمرحلة الثانوية انتقلت لمدرسة تقوم بتدريس تاريخ إنجلترا, وبالطبع لا تدرس اللغة العربية بالشكل الجيد مما شكل لديها فجوة بين لغتها الأم ولغتها الدراسية وأصبحت تكتب العربية بحروف إنجليزية "ملوعة ومحرفة" بما يسمى بـ "الفرانكو"؛ لولا قيامها بأنشطة لخدمة المجتمع والعمل التطوعي مما دفعها هي ومجموعة من أصدقائها لإعادة تعلم اللغة العربية والحرص على الكتابة بها.

وتابع دكتور أسامة قائلاً:

في المقابل فإن الكثافة العالية لعدد الطلاب بالمدارس الحكومية الوطنية التي تملكها الدولة, وضعف المناهج الدراسية وطرق التدريس بالإضافة إلى عدم تفعيل الأنشطة المدرسية والهوايات التي تساهم في اثراء مستوى اللغة عند الطلاب وأحوال المعلمين السيئة, كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في هبوط مستوى التعليم هبوطًا حقيقيًا تسبب بدوره في رداءة مستوى الطلاب بالمدارس. وبالتالي الجامعة, مع وجود مشاكل خاصة بالجامعات نفسها مثل ضعف وتأخر الأبحاث, والتوصيات المشبوهة وخلافه..

وحول تجربة التعريب أضاف:

إن سوريا قامت بالفعل بتعريب المواد العلمية بكلياتها, ولكنني لا أستطيع أن أجزم بأن هذا هو الخيار الأفضل؛ لأن الطالب المتفوق بالثانوية العامة والذي يستكمل دراسته الجامعية باحدى كليات القمة , و التي تدرس موادها بالإنجليزية ككليات الطب والهندسة والصيدلة, هذا الطالب يواصل تفوقه رغم دراسته بالإنجليزية, فليس غريبًا أن يكون هناك عدد من الأدباء والكتاب والشعراء خريجي كليات الطب و الهندسة وغيرها من الكليات العلمية مقارنة بالكليات النظرية كالآداب والحقوق والتجارة على سبيل المثال, والتي يعاني الكثير من طلابها من ضعف مستواهم التعليمي, كما أن هناك أقسامًا هامة في تلك الكليات النظرية لا تجد إقبالاً من الطلاب كأقسام الفلسفة واللغة العربية واللغة اللاتينية.

كما أشار دكتور أبو طالب لنقطة هامة وهي احتقار الطبقة البرجوازية الحديثة للغة العربية, وإصرار الأمهات في تلك الطبقة على الحديث مع أبناءهن بلغة إنجليزية ركيكة من قبيل التفاخر عِوضًا عن العربية, وفي ذلك إهانة للغة اللسان اللغة الأم؛ وتشجيع للأبناء على التحدث بلغة ليست لغتهم بما يعد ضربا من ضروب الحداثة الاجتماعية.

* أخيرًا. برأيك ما هي أهم الخطوات التي يمكن اتخاذها لمعالجة علاقتنا باللغة العربية؟

- في كلمة واحدة, التعليم.

كما قال "مهاتير محمد" العودة للتعليم الأولي, بداية من التعليم الابتدائي و ماقبله..
إصلاح المدرسة الابتدائية, و الإعداد الجيد للتلاميذ في مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي, فأكّد دكتور أسامة على ضرورة الاهتمام بمعلمي الحضانة وإصلاح أحوالهم, ذكر أن معلمي الحضانة في أوروبا يحصلون على مرتبات عالية جدا, وعلى الكثير من الامتيازات لأنهم هم من يقومون بإعداد الأطفال في تلك المرحلة.
وقال إننا لا نستطيع أن نطالب المعلمين بأداء أدوارهم المنوطة بهم, و نحن لا نوفر لهم ما يضمن لهم الحياة الكريمة..
كما أكّد على ضرورة إصلاح التعليم الحكومي "الوطني" و إصلاح أحوال المدارس الحكومية, و النظر في كثافة الفصول و توزيع الطلاب, و المناهج الدراسية و طرق التدريس بما يكفل إعادة علاقتنا باللغة العربية.
انتهى الحوار, و إن لم ينته الحديث فهو حديث ذو شجون.

من هو الدكتور أسامة أبو طالب :
أسامة إبراهيم أبو طالب ولد بمارس 1945 حصل على بكالوريوس إدارة الأعمال ، كلية التجارة ، جامعة عين شمس, ثم بكالوريوس في الدراما والنقد ، المعهد العالى للفنون المسرحية أكاديمية الفنون - القاهرة ، عام 1975, و ماجستير في الدراما والنقد - المعهد العالى للفنون المسرحية ، أكاديمية الفنون - القاهرة ، عام 1981. و أخيرًا دكتوراه في الدراما والنقد - جامعة فيينا. أستاذ أنثروبولوجيا المسرح بأكاديمية الفنون - تولى منصب وكيل وزارة الثقافة ورئاسة البيت الفني للمسرح، و هو عضو اللجنة العليا لمهرجان المسرح التجريبي و عضو اتحاد الكتاب و اتحاد الفنانين و المجلس الأعلى للثقافة. وله العديد من المؤلفات الأدبية و الترجمات و الدراسات نذكر منها على سبيل المثال :
المسرح الشعري الحديث- البطل التراجيدي مسلمًا- المسرح و الطقوس ، مؤلف الكوميديا ناقدًا.
استلهام المأثور الشعبي مسرحيا : الدراما المقارنة .
زلزلة المسرح ، المسرح المضاد : مغامرة التجريب المسرحي ، مسرحية الحرية و العدل .
مولد التراجيديا من روح الموسيقى : فريدريش نيتشة.
سيكولوجية النمو الإنساني الممكن : ب . د . أوسبنسكى.
مختارات شعرية من كتاب الموتى : ر.م. ريلكة.
له ديواني شعر هما (أحزان الأم الأولى – الوقوف على أطلال طيبة)
أما ديوانه الجديد (قبلة العشاء الأخير) كتب قصائده منذ سنوات مضت ولم ينشر بعد و سوف يتم نشره قريبًا؛ و هو إهداء لروح الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور.

حوار خاص : ترويض المجاز مع المترجمة السودانية سماح جعفر

حوار: محمد جمال

سماح، كيف هي الإقامة هنا، اعني في مقام الترجمة؟ فمقام القراءة معلوم وكذلك مقام الكتابة، ولكن هذا الذي هو قراءة وكتابة في نفس الوقت، كيف يبدو وما علاقته مع مقامي القراءة والكتابة ؟

"منذ ذلك الوقت، صار عالم القراءة عالمها. لن تكون وحيدة بعد اليوم، لن تفتقد غياب الصداقات الحميمة. صارت الكتب رفقتها ولكل حالة مزاجية تمر بها كان يوجد كتاب. هناك الشعر للرفقة الهادئة. هناك المغامرات حينما تمل من الساعات الهادئة. ستكون هناك قصص الحب حينما تدخل في مرحلة المراهقة وحينما تريد الشعور بالقرب من أحدهم يمكنها قراءة السير الذاتية. في ذلك اليوم، حينما أدركت للمرة الأولى أن بإمكانها القراءة، نذرت بأن تقرأ كتاب كل يوم طالما هي على قيد الحياة"بيتي سميث هي من قالت هذا الكلام وأنا أتفق معها تمامًا . أنت تعرف، بالنسبة لي الأمركله بدأ بقراءتي لهذه النصوص النقية المتفجرة ثم قررت أنني أرغب في ترجمة كل واحد منها .
الترجمة حركة ؛ حركة فائقة الرقة، مقام شائق وشاهق .

البعض يقول أن الترجمة خيانة للنص الأصلي ولكن من ناحية أخرى تبدو الترجمة كوفاء لا نهائي يتجسد في الرغبة في تقديم النص المعني للكل وحفظه في قالب آخر، هل نترجم إذا ما نحبه فقط ؟ وهل تتحول الترجمة إلى عبء عند احترافها أم تحتفظ بشغف الفن ؟

أنا لم أفهم أبدًا هذا الشيء الذي يسمى "خيانة النص". يبدو سيئًا ولكنه لا يعني أي شيء بالنسبة لي. أنا، في معظم الوقت، أترجم ما أحبه. لكن إذا قررت أن تجعل من الترجمة مهنة لك فهذا يعني أن عليك أن تقوم ببعض التضحيات ، كأن تترجم في مجالات أخرى لكسب القليل من النقود. أحيانًا أنجح في الحفاظ على هذه الهالة الشعرية في ترجمتي لكن في اللحظة التي أدع شياطيني تدخل بيني وبينها أخسر بعض منها. وحينما أقول شياطين فأنا لا أتحدث عن النقود أو الناشرين أو أي من الأشياء المادية الأخرى، أنا أتحدث عن أشياء رهيبة تحدث داخل روحي وتجعلني اشعر بالتعب والضجر وحتى بالإنفصال .

هل تتكشف لك أثناء الترجمة أشياء كانت خافية أو مستغلقة عليك من قبل في النص الأصلي ؟

أظل أرى أشياءً كلما اجتزت وادي الموت هذا.

هل تضيف الترجمة إلى النص الأصلي؟ اعني أن لكل لغة قوتها التعبيرية فهل يمكن لتعبير ما أن يتغير او يغتني حال ترجمته إلى لغة أخرى؟ وهل يمكن أن تفتح الترجمة الباب لقراءات وتأويلات جديدة ؟

هذا صحيح لاسيما في اللغة العربية، لأنك تجد أكثر من مرادف لنفس الكلمة وهذا يضفي تنوع وثراء على النص نفسه. لكن الأمر هو أن عليك أن لا تبالغ في ترجمتك لتلك النقطة التي تخسر فيها النص. كثيرًا ما ألاحظ هذا في الشعر، لأن المترجمين يحاولون تعريب النص أكثر من اللازم لجعله يبدو منظوم و مقفى أكثر .

لا يمكن لحديث عن الترجمة إلا أن يقودنا إلى حديث عن اللغة ، في رأيك هل تمتلك اللغة العربية أدوات كافية تمكنها من الحفاظ على التعبيرات الشعرية والنثرية عند الترجمة ؟

من المضحك أنني أجيب عن هذا بالإنجليزية، لكن علي أن أخبرك بسر دفين حتى تفهم ما سبب كل هذا : أولاً، اللغة العربية مهيبة جدًا ، غنية وحتى جديرة بالحب لكنها متزمتة ومعقدة في نفس الوقت ، شكل حروفها وطريقة ارتباطها لتكوين الكلمات مخيفة جدًا . ربما أجدها سهلة حينما لا تكون كلماتي (بطريقة ما هي ليست كذلك). واطمئن نفسي بفكرة أنني مجرد وسيط، أنا لست جزء أصيل من هذا أنا أشبه برسول الملك. ربما حتى أكون مثل تشارلي تشابلن حينما يجد نفسه في تلك المواقف المضحكة التي ينجح في النهاية في الخروج منها، أنا أحيانًا افعل هذا حينما أترجم.

هل تؤيدين استخدام العامية في الترجمة؟ ومتى يكون استخدامها ضروريًا ؟

أحياناً تمنح العامية كثافة للنص . لنأخذ " to the whore who took my poems "على سبيل المثال. أولاً أنا على ثقة بأن تشارلز بوكوفسكي حينما كتب هذه القصيدة لم يكن يحاول التخفيف من حدة الأشياء وإلا فإنه كان سيستخدم كلمات مثل "fool" أو "stupid" أو حتى "bad girl" لقد اختار كلمة "whore" وحينما تترجمها فأنا أتوقع منك أن تستخدم كلمة تعطي نفس الإحساس الذي أحسسته حينما قرأت القصيدة. بالنسبة لي فأنا كنت سأستخدم "شرموطة" وليس "فاسقة" لأنني أبحث عن هذه الانفعالات المكثفة .

أنت تقومين بترجمة جميع الأنواع الأدبية، ما هو الأصعب على الترجمة من بينها ؟ وهل الشعر هو – على حد تعبير روبرت فروست – ما يضيع أثناء الترجمة ؟

الشعر يحتاج إلى الرهافة. الشعر ينمو ويزدهر بين يديك إذا أعطيته المساحة مع القدر المناسب من الروح والكآبة الموسيقية. لكن أحيانًا لا يتعلق الأمر بالأنواع الأدبية بقدر ما يتعلق بالكتاب . هنالك كتاب جيدون، كتاب عظماء، والقائمة تطول إلى أن نصل إلى الكتاب الذين لا يمكن تصنيفهم باستخدام كلماتنا البسيطة والمحدودة للغاية. أسود يهوذا، مزارعي الرب، السحرة، البراهامات، هؤلاء هم من يمنحونك وقتًا صعبًا في مجرد التفكير في كيفية تعاطيك مع كل هذا الجمال .

ما هو الشيء الذي يحثك على الاستمرار في هذا الأمر؟

حينما أترجم اشعر كأنني أفتح صندوق باندورا أو اسقط في حفرة أليس وأجد نفسي في أرض العجائب الخاصة بي، بكل إبداعاتها الرائعة. إنها القصائد المكتوبة جيدًا ، الجمل التي تذوّب الدماغ والنباتات المزهرة النضرة في قلبي ولا شي آخر يمنحني هذا .

هل الترجمة عملية تراكمية؟ وهل توجد مهارات يكتسبها المرء تسهل عملية الترجمة كلما تقدم أم أن كل ترجمة تواجه تحديات مختلفة تجعلها جديدة دائمًا ؟

اعتقد أنك بعد فترة تعثر على طريقك ، العبارات، مثلاً، تصبح أعز أصدقائك وستجد أنه من السهل عليك ان تعيد صياغتها، تصقلها، تشدها، تسحبها، توبخها (ضع في الإعتبار أن هذا أحيانًا يحتاج إلى بعض الحب القاسي). لكن سيظل هنالك دومًا ، دومًا بعض الكتاب الذين سيضحكون في وجهك بشدة وهم يقولون : "لا يا بطل، عليك أن تقوم بمحاولة أخرى، لن تخدعنا بتلك السهولة "، وبالطبع فإن

كافكا، نـابكوف، جلال الـدين الرومي، جـان جينيـه، فـالتربنيـامين والكثير غيرهم هم من بين أولاد الحرام هؤلاء .

ما هي خططك القادمة ؟

أعمـل على عـدد من الكتـب "عيونهم كانـت تراقـب الله" لزورا نيـل هيرســـتون و "يوميـات هنـدريك جرون الســرية 4/831 ســنوات" لهندريك جرون كلاهما من المفترض أن ينشــرفي 2017. وبالطبع ما زلت أترجم نصوصي الأثيرة في مدونتي "الحركات".

سـماح جعفر مترجمة ســودانية مقيمة بالقاهرة، صــدرت لها حتى الآن ثلاثة كتب مترجمة وهي الناقوس الزجاجي لســيلفيا بلاث في العام 2013 عن ســلســلة الجوائزوالحشــيش لفالتربنيامين ورحلة من الاتحاد السوفيتي لديفيد توراشفيلي عن دارالكتب خان في 2016.

تقوم بالنشربصورة دورية في مدونتها الخاصة الحركات

http://alharakat.blogspot.com

الاستطلاع

إستطلاع جيل جديد : نحن واللغة العربية

الثامن عشــر من ديســمبر، هو اليوم العالمي للغة العربية.. واحتفاءً بها كان لنا في هذا العدد من جيل جديد وقفة مع اللغة العربية.. تساؤلات عدة حول ما أصاب لغة الضاد مؤخرًا من ركود.. حول الاختلاط مابين اللغة الفصحى والعامية.. وعن كل تلك العوامل والأسباب التي صنعت هذه المسافة التي نراها اليوم بين اللغة العربية ومتحدثيها.

للغة ارتباط وجداني عميق بمجتمعاتنا.. ليس فقط لأنها لغة اللسان ولها مالها من وجود أصيل في حياة الناس اليومية.. فهي طريقة التواصل والتعبير.. إلا أنها دون ذلك اللغة التي خاطب بها الله عزوجل هذه الأمة فكانت لغة القرآن.. وحظيت بقدر من القدسية فتعزز بذلك مكانها الوجداني عن متحدثيها.

وعندما نفكر حول علاقتنا باللغة العربية ومدى ارتباطها بهويتنا، نجد أننا نقف على الكثير من الملاحظات، تلك الملاحظات التي أخذتنا لطرح تلك التساؤلات على عدد من قراء المجلة ومن أولئك الذين يهمهم أمر اللغة العربية..

كانت الأسئلة بالاستطلاع كالآتي :

هنالك ارتباط ملحوظ بين قوة المجتمع الفكرية واقتصاده الصناعي وتطور اللغة. فهل تعتقد أن ضعف اللغة دليل على ضعف الأمة ؟

هل تعاني اللغة العربية من الجمود؟ مما أدى إلى عدم تطورها لمواكبة مقتضيات العصر الحالي ؟

كيف يمكن أن نقرأ أزمة تعاطينا مع اللغة العربية وانصرافنا إلى بدائل في ظل الاضطرابات الحالية في شتى المجالات بالمنطقة ؟

قد يجد البعض أن إهمال تعليم اللغة العربية وتركها كلغة اللســان دون الاهتمام بها في الســلم التعليمي أثرعلى أدائها.. فهل تجد ذلك سبباً كافياً لتراجع اللغة ؟

على صعيد آخر إن كنت أمام خيار الدراسة باللغة العربية أو الإنجليزية فأيهما تفضل ؟

وما هي التحديات التي تتوقع أن تواجهك أثناء الدراسة ؟

على مواقع التواصل الاجتماعي هل أنت ممن يدققون على اللغة المكتوبة ؟

هل تعتقد أن النشر الإلكتروني المفتوح دون تدقيق لغوي ذو أثر سلبي أو إيجابي على تطوير اللغة ؟

أخيرًا بالعودة إلى ملاحظة الميل إلى اللغة الدارجية فضلاً عن الفصحى أيهما تفضل في قراءة الكتب ؟

برأيك ما هي الخطوات التي يمكن اتخاذها لمعالجة علاقتنا باللغة العربية ؟

***

اتفق المتداخلون في الاســتطلاع على أن اللغة العربية لا تعاني من الجمود ولكن الأمر أكثر ارتباطًا بماهية التقدم العلمي والمعرفي ما يتيح للغة فرصة التمدد والتعبير عن ما هو جديد.. فيرى البعض أن الجمود هو ما أصــاب الثقافة العربية وليس اللغة العربية.. مما دفع عزة عبد الرحمن إلى القول : " أن اللغة جامدة تبعًا لجمود العقل العربي في قوالب قديمة فكريًا وثقافيًا وأدبيًا ومع وجود تحركات حداثية وتجديدية لكنها تظل نخبوية بعيدة عن عامة الناس، الابتعاد عن اللغة العربية له جوانب عدة منها عدم إجادة اللغة بصــورة تتيح التعامل بها بصــورة أكثر وأســهل وذلك لحســاب اللغة الانجليزية عند بعض الدول والدارجة عند أخرى" . وأشــارت فاطمة عوضــي نحو نفس المؤثر قائلة : " لا أعتقد أن اللغة العربية تعاني من الجمود فهي أجمل اللغات على الإطلاق لكن تقدم الغرب عمومًا أثر على الاهتمام باللغة العربية ".

النظر إلى الحراك اللغوي الثري في العصــور الســابقة نراه ينافي جمود اللغة.. كان ذلك مدخلاً لما ســاقته

إلينا ولاء سـليمان من مرافعة صـادقة في حق حيوية اللغة العربية وقدرتها على اسـتيعاب كل جديد فنجدها تقول : " في عصـر ازدهار العلوم في ظل تلك الحضـارة كانت اللغة حاضـرة بقوة في الفلسـفة، المخطوطات، الاكتشـافات، وأسـماء النجوم والخرائط.. الخوارزمي، البيروني، ابن سـينا، الفارابي، سـيبويه، كل أولئك ضـلعوا فيها وكتبوا بها رغم أنها ليسـت لغتهم الأم.. بالتالي النهضـة العلمية والثقافية عامل مهم في حضـور وانتشـار اللغة وسـيادتها.. ذلك الدور الذي لعبته العربية وقتها أكبر دليل على أنها ليست لغة جامدة ".

وبينما نجد في عالمنا اليوم اتجاه عدد من الدول إلى فرض لغاتهم على كل الوافدين إليها.. نجد أننا في كثير من الدول العربية نميل إلى اسـتعمال اللغة الإنجليزية.. وربما واقع الثقافة الغربية من حيث الإنتاج المعرفي والازدهار الاقتصـادي دفع باللغة الإنجليزية لتكون اللغة العالمية الأولى.. في هذه الزاوية يرى خالد نورين أن : " هنالك علاقة قوية بين ضـعف اللغة والمجتمع إذا كان المجتمع مبدع ومنتج فلابد من لغة متطورة ومتجددة ليواكب هذا الإبداع في كل المجالات.. وللأسـف اليوم اللغة العربية أصـبحت لغة غير منتجة للمعرفة والعلم".

أما حسين جادلييا ينظر للأمر من زاوية تاريخية فيقول : " اللغة العربية تعرضت إلى نكسة تاريخية متمثلة في الحروب التـاريخيـة التي اجتـاحـت بلاد الشـام وبلاد الرافـدين لأن الجميع يـدرك حملات هولاكو وجنكيزخان والدمار الذي لحق بمدينة البصـرة والكوفة.. هاتين المدينتين كانتا مركز ثقافي للغة العربية وعلومها. وكذلك الزحف الثقافي والاستعمار الذي لحق بمعظم بلاد العرب " يذهب حسين لأبعد من ذلك فيقول : " إنه لولا وجود القرآن لربما اختفت اللغة العربية تمامًا ".. تاريخيًا أيضًا وضعت ريم جلال الدين ملاحظتها قائلة : " اللغة العربية لم تحظ بمكانة مرموقة بين المجتمعات ذلك لعدم وجود علم مسـتقل يفرض ذاته في ميدان من ميادين الحياة اكتشـفه العرب كالاقتصـاد مثلا أو السـياسـة (بعض المصطلحات كلها تعود للغات أخرى مثل : مناجمنت ،ديموقراطية ...) ،كما أن تضـييق حيزها وإبقائها كلغة لسـان اثر بالطبع وأدى إلى تراجعها..برأيي سـبب هذا الأخير تاريخي بحت فمنذ ظهور الترجمة ودخول المصـطلحات الغربية على اللغة، كذلك الفتوحات الإسلامية التي كانت في مناطق غير عربية كلها عوامل ساهمت بكثرة في اختلال التوازن اللغوي "..

لا يقتصر فعل المحافظة على اللغة وإثرائها على القراءة والكتابة فقط.. فالأمر أبعد من ذلك بكثير ويحتاج إلى جهد كبير من المهتمين لأمر اللغة العربية.. من هنا ندخل إلى ذلك المنعطف حيث تكون السياسة التي تتخذها بعض الحكومات وموجهاتها التعليمية والثقافية ذات دور في تعزيز اللغة أو تهميشها.. يذكر أحد الأساتذة بإحدى الدول العربية موقفًا في أحد مؤتمرات تطوير العمل والتي تُعقد دوريًا بوزارة التعليم بالدولة المعنية أن أغلب المتحدثين قدموا عروضهم باللغة الإنجليزية والمفارقة أن كل الحضور هم بالأساس ناطقين بالعربية.. ويحكى آخر عن أن بعض الدول العربية باتت تتخذ النجاح في اللغة الإنجليزية شرطًا أساسيًا للترقية الوظيفية. في هذا السياق جاءت مداخلة فاطمة أحمد معلمة اللغة عربية : "رأيي أن سياسة الدولة تجاه اللغة وتعليمها تلعب دورًا أساسيًا في تمكين اللغة والدفع نحو تطويرها.. هنالك تجاهل واضح للغة يبدو جليًا في ضعف المناهج العربية.. وتدهور أداء التلاميذ ". ومؤكدًا على نفس المحور عدد حافظ الجزولي عددًا من الأسباب نذكر منها : " ضعف مناهج اللغة العربية وكثرة الأخطاء بها وعدم تدريب وتأهيل معلمي اللغة العربية ".. وليس بعيدًا عن تلك الأسباب ذكر طارق عبد الوهاب نقطة جديرة بالاهتمام وهي اتجاه الأسر إلى الدفع بأبنائهم إلى المدارس الأجنبية وتعاطيهم مع العربية كلغة ثانية فنراه يقول : " مأساة اللغة العربية أنها أصبحت منبوذة من النخب الاجتماعية التي تدفع أبناءها لتعلم لغات أجنبية " ثم ينقلنا طارق في مداخلته مرة أخرى إلى المناخ السياسي والاضطرابات التي تعصف بالمنطقة قائلاً " التردي الذي ضرب كل مناحي حياتنا بسبب فساد الحكم انعكس أيضاً على اللغة ".

هذا الركود الذي تشهده اللغة وبحسب المداخلات ذو صلة قوية بما للأمم وما عليها.. فنرى أن الجامعات التي تبنت سياسة التعريب على سبيل المثال تواجه باستمرار الانفصام بين المادة التي تُدرس في قاعات المحاضرات عربيًا وبينما يجب استذكاره من المراجع بالمكتبات.. فيقول محمد علي طالب بإحدى كليات الطب التي انتهجت التعريب : " يذهب الطالب منا إلى المكتبة بحثًا عن المراجع العربية فلا يجد إلا القليل ".. ربما لبعض الجامعات خاصة السورية منها باع طويل وتجربة قوية في مجال التعريب إلا أن الاضطرابات الإقليمية تطفو مرة أخرى على الساحة لتلقي بظلالها على اللغة ومستخدميها .. فنرى عدد من الطلاب وغيرهم يفضلون الدراسة باللغة الإنجليزية لسهولة الحصول على المعلومة المطلوبة.

بعيدًا عن منافسة اللغات الأخرى لها .. وجدت العربية نفسها في خضم التقاطع المحتوم مابين العامية والدارجة.. فتحول اللغة العامية إلى منافس حقيقي لرصانة اللغة الفصيحة أصبح أمرًا واضحًا يستحق الوقوف عليه .. هنا يقول قاسم قسم السيد معلقًا : " إن استعمال اللغة الدارجة في القراءة والكتابة

أدى إلى تقهقر اللغة العربية الفصحى ". إلا أننا نلاحظ أن عددًا من المتدخلين يفضلون اللغة الفصحى في القراءة .. تقول ريان محمد : " القراءة بالفصحى أفضل لأنها أثرى ولأنها أعمق في الإحساس بالإضافة إلى أنها توسع الذخيرة اللغوية للقارئ ".. كما أجمع أغلب المتداخلين على أن مواقع التواصل الاجتماعي ربما أسهمت في انتشاروتقبل اللغة الدارجة كلغة مكتوبة.. وهنا تقول ولاء : " في مواقع التواصل أفضل دائمًا النصوص المكتوبة بالفصحى وأدقق كثيرًا على القواعد الإملائية والبلاغية وأرى أن انتشار اللهجات العامية بصورة كبيرة في الكتابة سيولد لنا جيل يستحيل عليه فهم (المعلقات السبع) ومحمود درويش وفن مارسيل وموشحات فيروزوفلسفة ابن رشد".

كل ذلك يقودنا إلى التساؤل الأهم كيف لنا أن ننهض بلغتنا.. ما هي الحلول المتوقعة.. مع رصد هذه المعوقات والمسببات لربما بدأت تتشكل لدينا صورة لبعض الحلول المطلوبة.. مما ذكره المتدخلون وآمن به الكثيرون هو الاهتمام بالمنهج التعليمي للغة العربية وتبني سياسة دولية وربما إقليمية لدعم اللغة العربية.. على وجه الخصوص ذكرت فاطمة عوضي : " كخطوة أولى لإنعاش علاقتنا باللغة العربية ضرورة الاهتمام بتعليم القرآن للأجيال الناشئة وتحبيبهم في اللغة العربية ". وأوضحت هدى الهادي أيضًا أهمية دراسة اللغة نطقًا مع التدقيق على مخارج الحروف.. هذا ولا ننسى ما للإعلام من دوارواجب في عملية الارتقاء باللغة.. من حيث المواد المقدمة وجودتها.. ربما لا نستطيع القول بأن أحد الحلول الالتزام بالفصحى ولكن نقول كما قال أحمد سوسال : " لكل مقام مقال.. فمن فضل إحداهما على الأخرى في غير موضعها فقد بعد عن وجدان المتلقي وفشل في الوصول لمرماه "..

في الختام كانت هذه جولتنا الاستطلاعية حول علاقتنا باللغة العربية.. وقفنا فيها على عدة تساؤلات وعدد من المداخلات.. كما استعرضنا مجموعة من الحلول المقترحة لتطوير اللغة.. ومن هنا نشكر جميع الذين استجابوا لهذا الاستطلاع فأثروه بآرائهم .

" إن إمكانيات اللغة العربية لاستخدامها كلغة تصويرية لا حصر لها، فإشاراتها و و عباراتها المجازية وبنيتها اللغوية تضعها في منزلة أبعد من أن تصل إليها أي لغة أخرى.. تُفقد العربية في الترجمة ولكن اللغات الأخرى جميعها تحقق انتصارًا عند ترجمتها إلى العربية . "

- جويل كارميشيل في كتابه (تقدم العرب) -

